# القيــم الأخلاقيــة

# فى

# أراجيز أحمد الزيـن

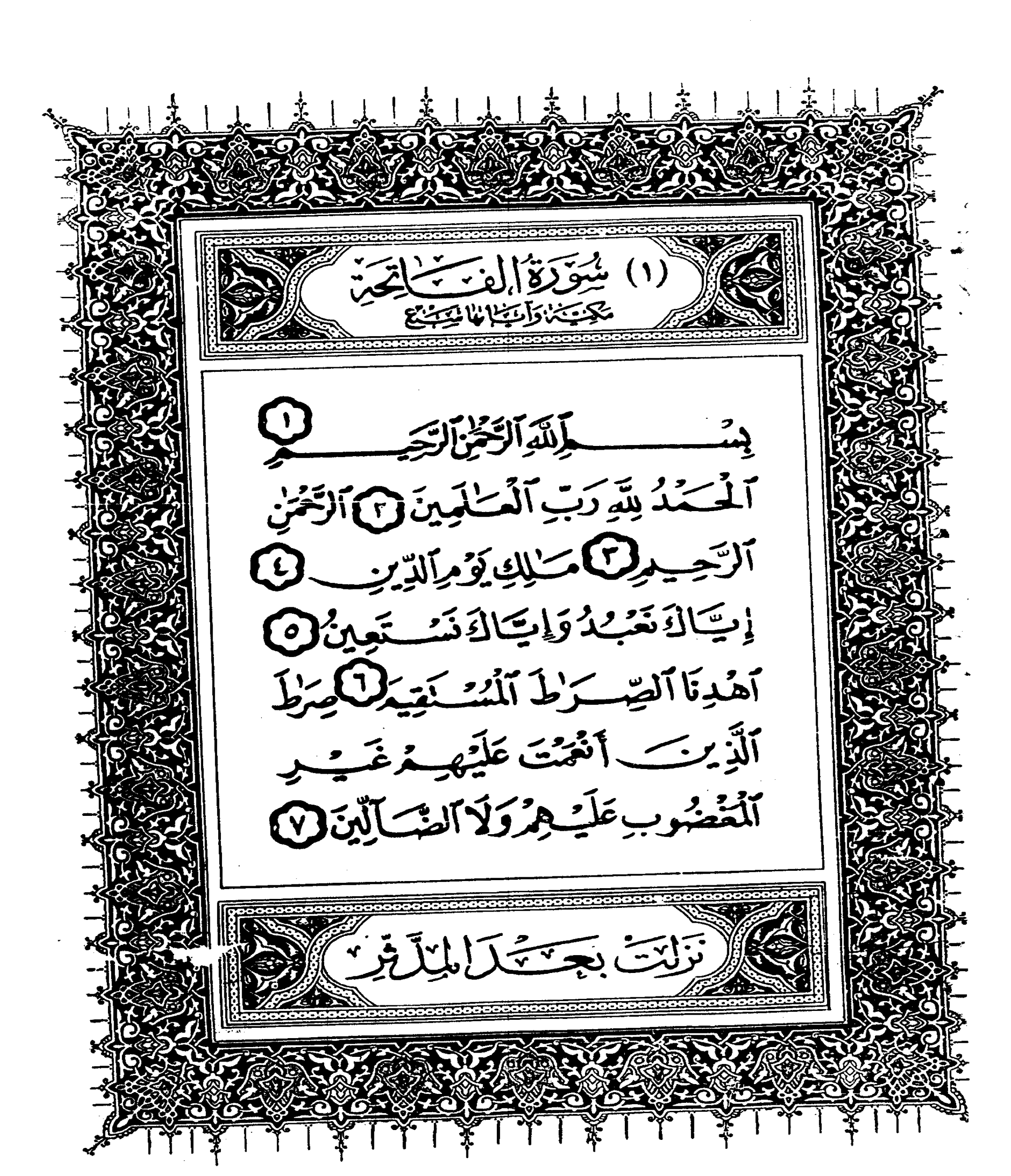
دكتــورة

**نادية أحمد مسعد**

أستاذ الأدب والنقد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر - فرع البنات بالقاهرة



(١) سُورَةُ الفَاتِحَة

مَكِّيَّة وآيَاتُهَا سَبْع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾
ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

نَزَلَتْ بَعْدَ المُدَّثِّر

# المقدمة

القيم كلمة تتسم بالأبعاد الأخلاقية العالية وترتبط بمفهوم السلوكيات الرفيعة ويهدف التمسك بها إلى تكوين المجتمع المثالى الذى ترفرف عليه أجنحة السعادة وتحفه أنوار الاستقرار التى تدفعه إلى البناء الهادف الذى يرقى به إلى حضارة شامخة متجددة العطاء تستمد أصولها من القيم الفاضلة التى بثها الحق تبارك وتعالى فى القرآن الكريم هديته المباركة ونوره المبين الذى جعل سبحانه فيه الهدى والبشرى حيث تنبثق منه الأنوار العليا وتشرق من وحى جلاله الأضواء بالحسنى فقد أنزله العليم الخبير على محمد ﷺ ليكون الأمل والرجاء والشفاء من كل داء ولهذا علمنا ربنا تبارك اسمه فى فاتحة كتابه الدعاء الذى يهدى لحياة آمنة فاضلة نابعة من الالتزام بالقيم الشريفة فقال سبحانه ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾(١) والمتلقى لكلمات الله الشريفة السامية يدرك بقلبه الطاهر وفكره المتفتح أنها دعاء ينبض برجاء يهفو لتحقيق الخير والبركة فالتعبير القرآنى ﴿ أهدنا الصراط المستقيم ﴾ يوحى برغبة مؤمنة شريفة لتحقيق الهداية وتحصيل الاستقرار عن طريق أنوار الله كما أن صراط الله المستقيم يهدى إلى أشرف القيم وأرفع السلوكيات لقد أشرق القرآن الكريم فى فاتحة الكتاب بدعاء شريف يحث على تحصيل القيم الكامنة فى صراط الله المستقيم والقارىء للقرآن الكريم يجد ما ورد فيه من الأوامر والنواهى دعوة من الله للتمسك بالقيم الفاضلة التى تبنى الإنسانية الراقية وعلى سبيل المثال ما ورد فى سورة الأنعام بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قل

---

(١) فاتحة الكتاب : الآية ٦ ، ٧

تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾(١).

حيث غرس القرآن الكريم فى تعاليمه أرفع القيم وأعظمها حتى يحقق لأتباعه حياة فاضلة وقد توج هذه القيم بتوحيد الحق تبارك وتعالى ففى توحيده جل علاه راية الكمال ولواء العزة والكبرياء وفى توحيده سبحانه منبع كرامة الإنسان وثقته بكيانه كما أن من جلال توحيده يفيض النور المطلق للقيم الإنسانية من حق وخير وجمال ويجد المتلقى للقرآن الكريم أن أوامر الحق تجلت فى ضرورة الإحسان للوالدين ورعاية الأبناء وتجنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن وحماية مال اليتيم والحق والعدل فى القول كما يدرك تكرار عبارة ( وصاكم ) لهدف ربانى يرمى إلى صلاح العباد وحثهم على التمسك بالأوامر والنواهى القرآنية التى تتمثل فى الحفاظ على الحقوق لتحصيل الخيرات مما يغرس فى الوجدان الشعور بجمال الحياة .

ومن رياض القرآن الكريم تفيض أنوار قول الحق جل علاه : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣

ولا تنقضوا الإيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ﴾(١) .

ففى الكلمات الشريفة دعوة من الله لضرورة الالتزام بالعدل والإحسان فى جميع المواقف والمحافظة على حقوق الغير وتجنب المفاسد النفسية والاجتماعية والوفاء بالعهود ومن روضة القرآن الفيحاء يشرق قول الحق : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموابالعدل إن الله نعماً يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله اليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾(٢) .

ويجد المتلقى لآيات القرآن الكريم السابقة أن الله جل جلاله ربط بين اسمه وبين الأمر فقال سبحانه ﴿ إن الله يأمركم ... ﴾ ليهدى عباده إلى ضرورة الالتزام والطاعة حتى تتحقق لهم السعادة وتفيض عليهم بركات الخير وفى الآيات دعوة من الحق لأداء الأمانة إلى أصحابها بل والتمسك بأمانة الكلمة مما يساعد على استقرار الوجدان الإنسانى وسلامة الروابط الاجتماعية .

إن القرآن الكريم يفوح بعطر القيم النبيلة وعبير الأخلاقيات الفاضلة التى توثق العلاقات الاجتماعية الإنسانية بين الجماعات وكما حافظ عليها فى النطاق العالمى حرص عليها فى نطاق الأسرة قال تعالى : بسم الله الرحمن

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٠ ، ٩١

(٢) سورة النساء : الآية ٥٨ ، ٥٩

الرحيم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذالكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو أبائهن أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت إيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ﴾(١) .

والآيات الكريمة السابقة تربى فى المؤمنين الأخلاقيات العالية وتنمى فيهم السلوكيات السامية التى توطد العلاقات الطيبة بين الأفراد والجماعات فقد وضع الحق لعباده أرقى أصول التعامل التى تحافظ على عزتهم وكرامتهم ورفعة سمعتهم فحث الرجال والنساء على غض البصر واحترام العلاقات الإنسانية الشريفة وبين جل علاه للمرأة كيفية المظهر الطاهر الذى يصون شرفها وبالتالى يسود الاستقرار داخل الأسرة مما ينشر أجنحة السعادة فى المجتمع الإسلامى كما اهتم القرآن القرآن الكريم بتربية الطفل تربية راقية فوضع المنهج الذى يغرس فى النشء سمو المسئولية وعفاف السلوك قال عز

---

(١) سورة النور : الآية ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١

وجل : ﴿ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم ﴾(١) .

لقد وضع الإسلام لأتباعه أرقى المناهج التى تحقق لهم المثالية ولهذا وصفهم الحق بقوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت لناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ...﴾(٢) .

إن أمة الإسلام هى خير أمة لأن منهجها من وضع الحكيم العليم الخبير الذى وضع المنهج ليحقق لهم السعادة والفوز فى الدنيا والآخرة وهو منهج القيم والأخلاق الشريفة والسلوكيات الفاضلة التى تحقق المثالية فى المجتمع الإسلامى ولهذا يجب على كل مسلم مع كل نبضة قلب أن يعلن نعمة الحق عليه وفضله العظيم ويلهج وجدانه ولسانه بحمد الله : ﴿ قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم ديناً قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾(٣).

وما سبق غيض من فيض فالقرآن الكريم يضم فى كل آية من آياته الشريفة أسراراً عالية تحث على الفضيلة والسمو والنبل وبهذا فالقيم الأخلاقية هبة الله تعالى لعباده هداهم سبحانه لها وجعلها فطرة فى نفوسهم والنداء الحى النبيل الذى يوثق الروابط الإنسانية العالية التى تغرس أصول التعاون والتكامل والتراحم والاستقرار بما يثمر ثمار الرقى الوجدانى والفكرى والاجتماعى كما أن الالتزام بالقيم الأخلاقية ينشر أنوار السعادة بين الأفراد والجماعات وقد فاضت رحمة الله جل علاه حين جعل القرآن الكريم يهدى

---

(١) سورة النور : الآية ٥٩

(٢) سورة آل عمران : جزء من آية ١١٠

(٣) سورة الأنعام : الآية ١٦١

لهذه القيم بجلاء قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾(١) .

فالآية الكريمة دعوة لطاعة الحق والالتزام بما ورد فى القرآن الكريم من الأوامر والنواهى وقد رحم الله عباده رحمة مطلقة حين أرسل محمداً ﷺ ليكون هادياً وبشيراً ومعلماً للأمة الإسلامية فقد كانت أحاديثه المنار الذى يعلن ضرورة التمسك بما ورد فى القرآن الكريم من الأوامر والنواهى وقد كان المصطفى ﷺ القدوة الطيبة الحسنة حيث بين للمسلمين من خلال سلوكياته النبيلة النابعة من تعاليم القرآن الكريم كيفية أصول الرقى الأخلاقى ولهذا وصفه الحق جل علاه بقوله الشريف ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾(٢) .

لقد التزم الحبيب المصطفى ﷺ بالأخلاقيات والسلوكيات الطاهرة الواردة فى القرآن الكريم ليهدى الأمة إلى طريق السعادة والاستقرار وتتمثل هذه الأخلاقيات فى الوفاء بالعهود والأمانة والكرم والإيثار والصدق والتضحية والشهامة والاحترام الود والحياء والتعاون والتآلف كما تحذر من الغدر والكذب والنفاق والرياء والبخل والجبن والخسة وقول الزور... إلخ . كما يستطيع المتلقى أن يتنسم عطر القيم من روضة المصطفى ﷺ التى تفوح من رضوان القرآن الكريم فى كتب الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخارى ومسلم وسنن ابن ماجة والنسائى والترمذى وغير ذلك من كتب التراث النبوى التى جمعت مع التحقيق والتوثيق – أحاديث المصطفى ﷺ وأحاديثه ﷺ نجوم

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٣

(٢) سورة الأحزاب : الآية ٢١

**ساطعة فى سماء القيم العالية التى تعلن أنها مصدر التطبيق المنير لما ورد فى القرآن الكريم وعلى سبيل المثال : قال رسول الله ﷺ ( ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى )(١) .**

**وقال ﷺ (ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه )(٢).**

**وقال ﷺ ( من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت )(٣) .**

**وقال ﷺ ( إن من أخيركم أحسنكم خلقاً )(٤) .**

وقال ﷺ ( لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام )(٥) .

وكلمات رسول الله ﷺ دعوة للأخلاق الوجدانية والاجتماعية التى تحث على الترابط والتراحم والود بين المؤمنين وقد بدأ الحبيب ﷺ الخيط الأول لنسيج البناء الاجتماعى فبين ضرورة الإحسان إلى الجار وتقديم آيات الكرم للضيف والالتزام بقول الخير كما أعلن سيدنا محمد ﷺ التزين بمحاسن

---

(١) صحيح البخارى - باب الأدب جـ٥ ص٢٢٣٨ طبعة بيروت .

(٢) المرجع السابق جـ٥ ص٢٢٣٩ طبعة بيروت .

(٣) المرجع السابق جـ٥ ص٢٢٤٠ طبعة بيروت .

(٤) المرجع السابق جـ٥ ص٢٢٤٣ طبعة بيروت .

(٥) المرجع السابق جـ٥ ص٢٢٥٣ طبعة بيروت .

الأخلاق التـى تدفـع إلـى تحقيـق السعادة الوجدانيـة والاجتماعيـة وحـث علـى تجنب البغض والحسد والخصومـة حتـى تصبـح أمـة الإسـلام رفيعـة المنزلـة عالية المكانة تتوج بالقيم الربانية التى تجعلها خير أمم الأرض .

وقد حبـب رسـولنا فـى قـول الصـدق لأنـه مـن الأخلاقيـات التـى تدعـم أواصر الخير فقال " إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنـة وأن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وإن الكذب يهدى إلـى الفجـور وإن الفجـور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً "(١) والصدق فـى القول من أرقى السلوكيات لأنـه ينشـر روح الأمـن وسـحر الاسـتقرار فيفـوح الخـير وتشـرق أنـوار الحـق ممـا يسـاعد علـى رفـع لـواء الرقـى الاجتمـاعى والفكرى ويتمتع المتلقى الكريـم بروضـة الحبيـب فيرتشـف مـن عبيرهـا قولـه الشريف :

( إن رجلاً قال للنبى ﷺ أوصنى قال ( لا تغضب ) فردد مـراراً قال : ( لا تغضب )(٢) والمتلقى يجد أنها عبارة واحدة ولكنها تحمل بين طياتها نداءً الاتـزان الـذى يحفـظ للإنسـان كرامتـه ويجنبـه الوقـوع فـى المهـالك الصحيـة والاجتماعية والوجدانية كما أنها دعـوة للصفـح الجميـل والتسـامح النبيـل ولـو تمسك كل مسلم بهذه النصيحة الغالية لبزغت شموس الرضا والألفة ولأصبـح المجتمع الإسلامى مـن أقـوى وأرقـى المجتمعـات ففـى عبـارة ( لا تغضـب ) شـمول للأخلاقيـات الشـريفة الداعيـة لقيم الإنسـانية السـامية ولهـذا فروضـة الحبيب جنة ناضرة يانعة ليوم الدين لأنهـا عطـاء اللـه لعبـاده وحديـث رسـول

---

(١) صحيح البخارى جـ٥ باب الأدب ص٢٢٦١ بيروت .

(٢) صحيح البخارى كتاب الأدب ص٢٢٦٧ ، جـ٥ طبعة بيروت .

الحبيب يجعلنا نستحضر قول الحق ﴿ فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ﴾(١) .

وقوله جل علاه ﴿ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لأتية فاصفح الصفح الجميل ﴾(٢) صدق الله العظيم كما أشرقت أحاديث الرسول ﷺ بكل السلوكيات الاجتماعية والفكرية والوجدانية لتهدى إلى كيفية تكوين المجتمع المثالى الذى ينهض بالعزة والشرف السامى النزيه فقد قال الحبيب ﷺ ( الحياء لا يأتى إلا بالخير )(٣) .

والحياء خلق وجدانى نفسى كريم يزين السلوك الخارجى للإنسان ويرتبط به ولا يثمر الحياء إلا البركة والنبل والسمو ويعود على صاحبه بالاحترام وحسن التقدير وعلى من يتعامل معهم بالأمن والآمان فترفرف راية الاطمئنان فى سماء المجتمع الإسلامى لتعلن أنها خير وأفضل مجتمعات العالم . وكلما تنسم المسلم الكريم من روضة الحبيب المصطفى يجد فيضاً من القيم التى تعلن أن الإسلام دين الخير والرحمة والبركة فقد روى أن الحبيب ﷺ قال ( إن الله يحب الرفق فى الأمر كله )(٤) والحديث الشريف يرمى إلى التحلى بالصبر والحلم والاتزان فى العلاقات الإنسانية بصفة مطلقة إن روضة الحبيب ﷺ تفيض بالقيم العالية والأخلاقيات الشريفة ولهذا وصفه جل علاه بقوله ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾(٥) فالمصطفى ﷺ رحمة

---

(١) سورة المائدة : الآية جزء من آية ١٣

(٢) سورة الحجر : الآية ٨٥

(٣) صحيح البخارى جـ٥ ص٢٢٦٧ طبعة بيروت .

(٤) صحيح البخارى جـ٥ ص٢٢٤٢ .

(٥) سورة الأنبياء : الآية ١٠٧

بحسن سلوكه وجمـال هدايته لأتباعه فنعم المعلم ونعم القائد الذى رفع راية القيم الشريفة بوحى ربه العلى العظم الذى وهبنا محمداً ﷺ ليكون لأتباعه كما قال تبارك وتعالى ﴿ يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ﴾(١).

ومما سبق يتبين أن القرآن الكريم وضع للإنسانية أصول القيم التى تثمر ثمار الخير والحق والجمال فى كل زمان ومكان لأنها من وضع العليم الذى خلق عباده وهو أقرب إليهم من حبل الوريد وضع الحق فى قرآنه آيات القيم ورايات الخلق فيجب على البشرية أن تستنير بما ورد فى القرآن الكريم من منابع للخير والهدى وأنوار الحق وأن تهفو إلى رضوان ربها حتى ترتشف نشوة الاستقرار وتعيش فى رحاب الاطمئنان ويجب على الإنسانية أن تعلم فيض رحمة ربها الذى أنعم عليها بالمعلم المبارك الذى علمها أصول السمو والنبل والفضل والشرف وكانت سلوكياته نابعة من القيم القرآنية التى تبزغ بالخير وتشرق بالحق بل وكلما تقدم الزمان تتضاعف بركات جمالها وتدرك الإنسانية تميز بشرية الحبيب وصدق نبوته باستمرار ما حث عليه من سلوكيات فى أحاديثه الشريفة .

وبعد ، فعندما رغبت فى إعداد بحث أدبى يتناول القيم الأخلاقية والسلوكيات الرفيعة التى تمس الواقع الاجتماعى كان الشعاع الذى انبثق أمامى يضم هذه الملامح :

ماهية القيم وميلادها وتطورها ومعلمها وهل تخضع للزمان والمكان فتتبدل أصولها وتتغير مفاهيمها هنا لم أجد سبيلا طيباً لهدايتى إلا روح حياتنا

---

(١) سورة الأحزاب : الآية ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧

القرآن الكريم ونبض قلوبنا أحاديث الحبيب ﷺ لأن فيهما القيم الثابتة الجذور اليانعة الفروع الطيبة الآثار وبعد التنعم برياضهما والحياة الطاهرة في رحابهما تضرعت إلى الله تبارك وتعالى أن يرزقني ببحث يرتشف معين القيم من وحى الإسلام فهداني سبحانه إلى اختيار القيم الأخلاقية في أراجيز أحمد الزين ثم تجولت بين أرجاء المكتبة الاجتماعية والفلسفية حتى أقف على المفاهيم التي دارت بخاطرى فتبين أن القيمة ترمى إلى قدر الشيء ومنزلته كما ترمى إلى الأصول الضرورية للترابط البشرى السليم وقد ناقش فلاسفة الغرب ماهية القيم مثل أفلاطون وأرسطو وهارتمان وكانط وريتشل كما ناقشها فلاسفة الإسلام مثل ابن مسكويه والفارابي وابن سينا وكان محور فكرهم يدور حول طبيعة القيم من حيث الوسيلة والغاية والذاتية والموضوعية وقد أعلنوا أن ثمرة القيم تتبلور في تحقيق الغايات المطلقة للحق والخير والجمال وأن القيم ترتبط بالفكر الإنساني المتجدد ومعنى هذا أن القيم الأخلاقية خاضعة للتطور البشرى ويترتب على ذلك اختلاف الرؤية لمحور القيم وحدوث خلافات بين فكر الأجيال بل ووقوعها بين بيئة وأخرى في نفس الحقبة الزمنية وقد استرعى انتباهي ما طرحته د. سامية عبد الرحمن من أن فكرة اكتشاف القيم يرجع إلى القرن التاسع عشر وقد تحققت على يد الفيلسوف الألماني نيتشه وقد ضاعف من دهشتي سؤالها: ( هل للقيم وجود قبل ذلك الوقت أم كانت في دائرة الأفكار ؟ ) وبعد الإياب من الجولة بين هذه المكتبات فاض قلبي بدعوة خالصة لله حيث رجوته سبحانه أن يجعل القرآن الكريم ربيعنا ويحفظه في قلوبنا لأنه المهد الأول للقيم السامية والأخلاقيات النبيلة وأن يبارك لأمة سيدنا محمد ﷺ الذى فجر ميلاد هذه القيم وكان للإنسانية جميعها نعم المعلم ونعم الهادى ونعم البشير إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ويحضرني في هذا المقام قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون ﴾ صدق الله العظيم ومما سبق يتبين للقارىء الكريم من عنوان البحث أن هدفه إبراز القيم الأخلاقية فى أراجيز أحمد الزين النابعة من وحى الإسلام .

وأحمد الزين شاعر أزهرى متميز له سمات أدبية وخصائص فنية جديرة بالدراسة ومنبع ذلك أن شعره يعكس بجلاء أحوال المجتمع المصرى مما يدل على قدرته التصويرية وعمق تجاوبه الفكرى والاجتماعى والوجدانى ولهذا جذب شعره نظر عبد الرحمن خليل إبراهيم الذى أعد بحثاً جيداً بعنوان ( المجتمع فى شعر أحمد الزين )(١) نشره المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وقدم الكتاب الأستاذ على الجندى وقد تحدث الباحث فى كتابه ( المجتمع فى شعر أحمد الزين ) عن الحياة الدينية فاستخلص من الشعر ما يتصل بالعقيدة والعلماء وبالمسلمين ثم تحدث عن الحياة الخلقية فاستخرج ما يتصل بالنفاق والضمير ومظاهر السلوك الفردى والجماعى وظاهرة الرياء والكذب وعقب بعرض الصلات الأسرية والطائفية ومظاهر الظلم الاجتماعى والبطالة وشرب الخمر والصلات بين الناس فى الدواوين كما عقد حديثاً طيباً عن الاستعمار ودوره فى الجهاز الإدارى وأثره على الجهاز الشعبى المصرى وتناول وضع التعليم والصناعة وقد انتقى من الديوان الأبيات التى تتفق مع عرضه الأدبى لكل فكرة وعلى سبيل المثال عندما عالج ظاهرة النفاق جمع من شعر الاجتماعيات والإخوانيات والرثاء ما يتصل بهذه الظاهرة بمعنى أن القصيدة قد تضم بين طياتها الأفكار الآتية : الوهم – الحياء – الأمانة – الخداع – اللغة العربية ووضعها – التمويه –

---

(١) والكتاب مسجل بهيئة الكتاب المصرية تحت رقم ٤٦٠٨٨ رمز ( نـ ) طبعة ١٩٣٩.

التملق – الظلم – الوباء المرضى – الفقر – العدل – النفاق والأفكار السابقة ضمتها قصيدة (خدعة الثناء وفتنة الأدعياء)(١) يتناول الباحث من هذه القصيدة ما يختص بظاهرة النفاق وقد يكون ما يتصل بالظاهرة بيتاً واحداً أو أكثر وهكذا منهج الباحث فى عرض الكتاب فهو لا ينظر للقصيدة الشعرية من حيث أنها الجسد المتدفق بالروح وأن البيت يمثل نبضة حية فالقصيدة كل متكامل مترابط يوحى بعضه ببعض عبر ألفة وجدانية وتناسق تعبيرى وانسجام تشكيلى ضمته تجربة صادقة وكل بيت فيها يهدى لما بعده ومنهج الباحث يمثل رؤيته الخاصة لطبيعة موضوعه ومن الجدير بالذكر أنه بذل مجهوداً طيباً فى تجميع الأبيات التى تتصل بكل ظاهرة من قصائد الديوان ويحمد له فى كتابه ( المجتمع فى شعر أحمد الزين ) نشره لقصائد أحمد الزين التى لم تنشر فى الديوان .

ومن الجدير بالذكر أن أراجيز أحمدالزين لم تنل حظاً من دراسة الباحث عبد الرحمن خليل رغم أنه أثنى عليها قائلاً " فهذه مجموعة من الوصايا الخلقية والحكم الفردية لتهذيب الأفراد وتطهير قلوبهم ليكون المجتمع الذى يضم بين أقطاره هذه الأفراد قوياً يرفرف عليه علم السعادة والإخاء..."(٢) وبعد دراسة عبد الرحمن خليل إبراهيم تجد على الساحة الأدبية رسالة دكتوراه قدمها حسن عبد السلام إبراهيم المدرس المساعد بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر – القاهرة – بعنوان ( أحمد الزين الشاعر الناقد ) تحت إشراف أ . د محمد عبد المنعم خفاجى أشار فيها إلى أغراض شعر الشاعر

---

(١) ديوان أحمد الزين – بتبويب الأستاذ عبد الغنى المنشاوى – الطبقة الأولى سنة ١٩٥٢م مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ص٣ .

(٢) المجتمع فى شعر أحمد الزين – عبد الرحمن خليل – نشرر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . ص١١٨ .

من اجتماعيات وإخونيات ونسيب ووصف ورثاء كما أشار إلى شعره الذى لم ينشر فى الديوان ثم ركز الأضواء بجلاء وذكاء على موضع بحثه وهو ( الزين ناقداً ) ، فتحدث عن النقد والذوق الأدبى وإنضاج الملكات الشعرية والنقدية وبين أن الشاعر يتمتع بحاسة نقدية جيدة تميز بين الصنعة والطبع وناقش نظرات الشيخ حسين المرصفى النقدية وعلاقة النقد بالقصيدة العربية وعقب بحديث نقدى جيد عن نقد أحمد الزين فذكر أن نقده يتسم بالشمول وبين غلبة منهج النقد الفقهى على مقالاته النقدية كما تناول بالعرض والتحليل منهج الزين النقدى بين النظرية والتطبيق ومن الجدير بالذكر أن الباحث قام بمجهود عظيم فى إعداد بحثه وخاصة أن مقالات الزين النقدية لم تطبع فجمعها من الصحف والمجلات الأدبية والدوريات .

وقد أشار د/ حسن عبد السلام إبراهيم إلى أراجيز أحمد الزين من خلال حديثه عن نتاج الشاعر فقال اشتملت الأراجيز على طائفة من الحكم والمواعظ والآداب العامة التى أحس أن المجتمع فى حاجة إليها كالوفاء والاستكثار من الأصدقاء وحسن معاملتهم وأراجيز أحمد الزين الأخلاقية تشير إلى أنه كان ذا بصر بعيوب المجتمع وأن حسه الاجتماعى كان قوياً وحاداً فمكنه من رصد عيوب المجتمع والتنديد بها(١) .

ومما سبق يدرك القارى الكريم أن رسالة د. حسن عبد السلام نقدية تناولت بالعرض الطيب نظرات أحمد الزين ورؤيته لأصول بناء الأثر الأدبى وتصنيفه لنقاد عصره .

وبعد :

---

(١) راجع رسالة حسن عبد السلام إبراهيم ص٧٤ .

فقد درس أحمد الزين عبد الرحمن خليل إبراهيم فبين أنه شاعر المجتمع ودرسه د. حسن عبد السلام إبراهيم فأعلن أنه الناقد المتميز البصير بجودة الأثر الأدبى أما بحثى - بإذن الله - فسوف يكشف أنه شاعر القيم الأخلاقية فى العصر الحديث وموضوع القيم الأخلاقية من الموضوعات الحية التى تبنى كيان المجتمع لما تنشره من الفضيلة التى تجعل المجتمع يتنفس عطر المثاليات المطلقة المتمثلة فى الخير والحق والجمال كما أنها تمد المجتمع بالشموخ والقوة والعزة لأنها قيم مستمدة من تعاليم الله جل علاه وسنة المصطفى ﷺ فهى قيم لها صفة الاستمرار جذورها ثابتة وفروعها فى السماء فإذا أهملها المجتمع تدهور وتمزق وتلاشى حتى يصبح فى طى النسيان وقد دفعتنى ظروف المجتمع الإسلامى وما يتعرض له من تيارات فاسدة تزعزع أصالة القيم وخاصة فى نفوس النشء إلى إعداد بحث أدبى يتناول القيم الأخلاقية النابعة من وحى الإسلام وعندما تذوقت أراجيز أحمد الزين وجدت أنها تخاطبنا حيث تخاطب المعلم والمتعلم والإخوان والأصدقاء ووجدت فيها دعوة للتمسك بالآداب العامة والنداء الشريف للسمو والمثالية العالية التى يفتقر لها المجتمع بعد أن تغلبت عليه المادية فطمست نجوم الروابط الإنسانية وغارت فى أعماق سحب داكنة متراكمة ولهذا عزمت النية الخالصة لله على دراسة القيم الأخلاقية فى أراجيز أحمد الزين راجية من الله أن يجعلها دراسة حية ودعوة طيبة ليقظة الروابط الإنسانية الإسلامية وخاصة أننى من أبناء الأزهر الشريف الذى يحمل منار الخير ويمثل الصيحة الإسلامية الواعية . ويناشد البحث الأجهزة التعلمية بضرورة إعداد حصص ومحاضرات تتناول القيم الأخلاقية بصفتها مادة مستقلة فى الجدول الدراسى تناقش القيم من خلال الآثار الأدبية والاجتماعية والفلسفية والنفسية .

ومن الجدير بالذكر أن أحمد الزين خاطب بالقيم الأخلاقية الرجال ولكن يمكن للمرأة الآن طرحها ومناقشتها وخاصة التى تعمل فى حقل التعليم بجميع مراحله لأن بناتنا فى حاجة إلى التوعية الرشيدة .

**خطة البحث :** ينقسم البحث – بإذن الله – إلى مقدمة وثلاثة فصول .

بينت فى المقدمة أن القيم السامية التى تفجر السلوكيات الرفيعة منبعها القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى نهر من العطاء المتجدد لكل زمان ومكان كما بينت فيها ضرورة غرس القيم عن طريق مادة دراسية فى جميع المراحل التعليمية .

**الفصل الأول : ينقسم إلى مبحثين :**

**المبحث الأول :** ذكرت فيه الظروف العامة لبيئة المنشىء ثم ترجمة لحياة شاعرنا مع تركيز الضوء على العوامل التى شكلت طبيعة فكرة ورؤيته الاجتماعية وأثرت على خواطره ومشاعره الوجدانية .

**المبحث الثانى :** تحدثت فيه عن أغراض ديوان أحمد الزين ومنزلة القيم الأخلاقية بين هذه الأغراض مع ذكر نماذج شعرية من الاجتماعيات والنسيب والوصف والإخوانيات والرثاء مستعينة بالتحليل الأدبى الذى يكشف قدرة الشاعر التصويرية .

**الفصل الثانى :**

عرضت فيه بالتفصيل القيم الأخلاقية فى أراجيز أحمد الزين حيث تناولت كل أرجوزة بصفة مستقلة باعتبار أن القصيدة بنية حية متكاملة عبر تحليل أدبى فنى يبرز الروافد المكونة لشخصية الشاعر ودرجة تفاعله مع ظروف مجتمعه الأخلاقية .

**الفصل الثالث** : ركزت فيه الأضواء على إبراز الخصائص الفنية للأراجيز فكشفت الضوء عن عناصر تشكيل صورته الشعرية وقدرته على توظيف الصورة لخدمة المعنى مع بيان لطبيعة ألفاظه ومعانيه ودرجة صدقه العاطفى وأثر الإيقاع الموسيقى على الإيحاء الاجتماعى والوجدانى والفكرى ثم عقبت بنتائج وتوصيات البحث .

**﴿ وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾(١)** .

دكتـــورة

**نادية أحمد مسعد محمد**

---

(١) سورة هود : الآية جزية من آية ٨٨

# الفصل الأول

المبحث الأول : (أ) الظروف العامة لبيئة الشاعر

(ب) ترجمة حياة الشاعر

المبحث الثانى : أغراض ديوانه الشعرية ومنزلة القيم بين هذه الأغراض

# المبحث الأول

## الظروف العامة لبيئة الشاعر

يرتبط الأدب بالظروف العامة للبيئة حيث يعكس بجلاء ما يسود الأمة من أحوال اجتماعية وثقافية وسياسية ويكشف عن درجة تفاعل الأدباء بأحداث المجتمع ودورهم الإيجابى فى تصويرها وطرح الحلول المناسبة للقضاء على ما ينتاب المجتمع من فساد وانحراف ووضع المنهج المثالى لاستقرار أحوال الأمة والعودة بها إلى العزة والشموخ الذى يرفع راية المجتمع الإسلامى والباحث الأدبى الذى يعالج موضوعاً فى العصر الحديث يعيش مع الأحداث منذ الحملة الفرنسية حتى يدرك الدوافع الحيوية التى أثرت فى طبيعة الموضوعات الأدبية . تذكر كتب التاريخ أن الفرنسين هاجموا مصر بقيادة نابليون بونابرت وسرعان ما تم له النصر مما أثبت للمصريين ضعف القوى التى تحكمهم فلا قوة الدولة العثمانية ردته ولا قوة المماليك عاقته وحاول بونابرت أن يجلب رضا المصريين فأنشأ لهم مجالس شورى سميت باسم الدواوين كونها بعض رجال الأزهر وبعض الأعيان والتجار وقد عرف بونابرت أن الإسلام هو المقوم أو العنصر الأساسى فى المجتمع المصرى فأدعى أنه مسلم ولبس العمامة زاعماً أنه جاء مصر ليخلصها من ظلم العثمانيين والمماليك ولكنه لم يستطع بذلك كله أن يخدع المصريين فقد أبصروا جنده يحتسون الخمر ويأتون المنكرات ومن ثم قاوموه هو وحملته مقاومة عنيفة بذلوا فيها كثيراً من دمائهم الطاهرة واضطر أن يبرح مصر وتبرحها من بعده حملته سنة ١٨٠١م وكان مما عجل بذلك موقف الإنجليز منه .

وعلى الرغم من مفاسد الحملة الفرنسية إلا أنها تركت وراءها آثاراً حركت الوعى الفكرى والقومى أما ما يرتبط بالوعى الفكرى فمرجعه أن بونابرت استقدم معه نفراً من العلماء الفرنسيين المتخصصين فى العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية وكون منهم مجمعاً علمياً مصرياً على غرار المجمع العلمى الفرنسى ومضوا يدرسون مصر وأودعوا دراستهم تسعة مجلدات طبعت فى فرنسا باسم ( وصف مصر ) وأقام بجانب هذا المجمع العلمى معملاً كيمائياً ومكتبة ومطبعة فرأى المصريون فى تجاربهم الكيميائية أساليب جديدة من البحث العلمى لم يألفوها كما رأوا فى المكتبة العامة التى فتحوا أبوابها لهم جديداً لم يألفوه فى مكتباتهم أما ما يرتبط بالوعى القومى فإن هذا الشعور لم يخمد ولم يمت فى نفوس المصريين حتى فى عهد العثمانيين البغيض إنما كان ينتظر موقفاً يشعل جذوته وكانت الحملة الفرنسية هى الحادث الكبير والموقف الذى حرك بعنف الصحوة الوطنية المصرية التى انتصرت على الفرنسيين بقوة إيمانها بالله وصدق العزيمة . وقد حل بمصر بعد خروج الفرنسيين اضطرابات سياسة انتهت بجلوس محمد على على عرش حكومتها سنة ١٨٠٥م وكان همه منصرفاً فى أوائل ولايته إلى المطامع السياسية بالحروب والفتوحات ويشهد التاريخ أن مصر أخذت فى أوائل ولايته فى اقتباس أسباب المدنية الحديثة لتنظيم الجند وتخريج الأطباء ورجال الإدارة والصناعة والكتابة ونشر العلم والأدب بإنشاء المدارس المختلفة وإرسال البعوث إلى أوربا إلا أنه لم يحافظ على نهضة البلاد حيث أغلق أبواب كثير من المصانع التى كانت تمد جيشه الضخم بالأسلحة والملابس والأحذية إذ نقص عدده فنقصت حاجاته الصناعية وبدلاً من أن يفكر فى توجيه الصناعة توجيهاً جديداً أنزل هذه الضربة القاصمة فقضى على النهضة الصناعية وأصبحت مصر تعتمد على الزراعة فى حياتها

الاقتصادية وكانت الأرض الزراعية فى عهد محمد على والعهود السابقة له ملكاً للهيئة الحاكمة والفلاحون يزرعونها ويؤدون للدولة ثمارها مما أدى إلى تكوين طبقة إقطاعية ثرية من حاشية محمد على وأسرته إلى جانب وجود طبقة مصرية معدمة وقد تعرضت التجارة أيضاً إلى نكسة تمثلت فى تحكم الأجانب وشراذمهم فى اقتصاد مصر حيث أسسوا حوانيت تجارية جلبوا فيها مصنوعات بلادهم إلى جانب افتتاحهم لعدد كبير من بيوت الاستيراد والتصدير حتى أصبحوا أصحاب مصالح ثابتة فى مصر والشعب المصرى يعانى الحرمان والظلم وقد ضاعف من شدة المظالم تمتع الأجانب بالامتيازات التى جعلتهم أصحاب السلطة الحقيقية فى مصر فقد تفشت المظالم مما جعل الشعب المصرى يتطلع إلى زعيم مصرى تلتف قلوبهم حوله ويعبر بقوة عن رفضهم لتحكم الدخيل ويجسد آمالهم فى التخلص من الإنجليز وقد تحقق لهم - بإذن الله - هذا الأمل فى شخصية أحمد عرابى الذى تلقى علومه فى الجامع الأزهر أربع سنين وكان لهذا أثره البعيد فى تكوين شخصية عرابى كزعيم ثورة إذ جعلت منه خطيباً مفوهاً يستولى على عقول سامعية ويهز مشاعرهم ولما بدأت الثورة العرابية أخذ رجال الأزهر يغذونها بكتاباتهم وقصائدهم مما ألهب النفوس وآثار العقول وقد استمر الشعب المصرى فى رفضه للمظالم الاجتماعية والاضطرابات السياسية ففى سنة ١٩١٩م اندلعت الثورة المصرية ضد الاحتلال الإنجليزى بقيادة الزعيم سعد زغلول الذى تخرج من الأزهر الشريف وكان خطيباً مفوهاً وزعيماً سياسياً بارعاً وأعانه فى هذه الثورة بعض علماء الأزهر المستنيرين وكانت الخطب الحماسية والقصائد الوطنية التى تلقى على منبر الأزهر وترددها الصحافة تثير ثائرة الشعب المصرى فيستجيب لهذه الصيحات المدوية ويحولها إلى مقاومة عنيفة تسحق قوة الاستعمار .

ومن الجدير بالذكر أن الانهيار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لم يحجب شعاع النهضة العلمية التي بزغ نورها في رحاب الأزهر فقد كان معظم المبعوثين إلى أوربا من رجاله وفي مقدمتهم رفاعة الطهطاوي وقد نشطت حركة البعوث وحركة الترجمة مما دفع إلى التحام التيار الغربي بالتيار العربي ورغم ازدهار حركة الترجمة من الآداب الأجنبية إلا أن التيار العربي ظل الراية الخفاقة التي تتصل بماضينا المجيد وتبث في نفوس أبناء الشعب المصري اعتداده بنفسه وكرامته وخاصة أن تراثنا الأدبي يعكس آيات العزة ويمثل بجلاء العادات والتقاليد والقيم الإسلامية السامية .

**وخلاصة العرض السابق :**

تجرع المصريون مرارة الاضطرابات السياسية والمفاسد والمظالم الاجتماعية إلا أن شعاع الأمل انبثق عبر النهضة العلمية الأدبية التي بزغ نورها من نشاط حركة البعثات وازدهار الترجمة وقد كان للأزهر الدور الإيجابي الفعال فيهما وحفظ للإسلام مكانته وللشعب المصري عزته وكرامته حفظ الله تبارك وتعالى الأزهر وجعل أهله ورواده يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات(١) .

---

(١) راجع :

( أ ) الأزهر تاريخه وتطوره طبعة ١٩٦٤م . (ب) تاريخ الجبرتي .

(جـ) في الأدب العربي الحديث د. عمر الدسوقي جـ١ الطبعة السادسة دار الفكر العربي – الطبعة السادسة .

( د) الأدب العربي الحديث ومدارسه أ . د محمد عبد المنعم خفاجي .

(هـ) البارودي رائد الشعر الحديث د. شوقي ضيف . دار المعارف – بمصر سنة ١٩٦٤م ، الأدب العربي المعاصر في مصر – دار المعارف .

(و) حافظ إبراهيم شاعر النيل د. عبد الحميد سند الجندي – دار المعارف بمصر .

## ترجمة حياة الشاعر

ترمى الترجمة لحياة المنشىء تجميع كل الخيوط التى شكلت نسيجها ولهذا يجب على الباحث الأدبى الإلمام بالظروف العامة والخاصة لشخصية بحثه ومحاولة التعايش معها حتى يربط بحيوية بينها وبين نتاج المنشىء الأدبى الذى يعكس نتاجه سطراً من مراحل عمر المجتمع الذى تسجله الأعمال المتكاملة لأدباء العصر فى كتاب حى صادق يمثل كل سطر فيه ظاهرة من ظواهر المجتمع ويستطيع المنشىء بقدرته التصويرية ومهارته الفنية نقلها من عالمها الاجتماعى والفكرى والسياسى إلى عالم الأدب الرحيب الذى يستحضر الماضى ويسطر الحاضر ويتصور المستقبل عبر رؤية مستقبلية وشاعرنا أحمد الزين نجم لامع من نجوم المجتمع المصرى فى العصر الحديث مثل ديوانه ملامح من الاضطرابات الاجتماعية والأخلاقية التى انتشر فى المجتمع المصرى قبل الثورة وسوف يعرض البحث - بإذن الله - البذور التى أثمرت شخصية أحمد الزين منذ شروق ميلاده إلى غروب حياته .

### اسمه وميلاده وظروفه الأسرية :

ولد أحمد أبو المعاطى الزين (١٣١٨-١٣٦٦هـ) (١٩٠٠-١٩٤٧م)(١) فى قرية ميت نابت بمركز السنطة بالغربية حرم نعمة البصر وهو لم يزل فى المهد - شب شاعرنا وسط أسرة متوسطة تسكن ريفنا الهادىء ووالد الشاعر

---

(١) الأعلام - الزركلى - جـ١ ص١٢٩ طبعة بيروت ورد فى كتاب الأدب العربى الحديث ومدارسه أ . د محمد عبد المنعم خفاجى ترجمه لأحمد الزين وذكر أن تاريخ ميلاد الشاعر ( ١٨٩٨ - ١٩٤٣م ) ص١٩٦ - مطبعة المكتبا الأزهرية .

قروى بسيط كان يفلح الأرض ويعيش من خيرها بنفس راضية وتمر الأيام فتتراكم على شاعرنا مشاعر الحرمان ومرارة ظلمة البصر وقسوة مظالم الحياة فقد تجرع أحمد الزين داخل أسرته كأس الشقاء مما ضاعف من أحزانه وشعوره بالفقر المدقع إذ لم يرث من أبيه شيئاً رغم أنه كان يمتلك عقارًا ولكن أخاه الشيخ محمد الزين بما أوتى من لباقة جار على أخوته فى الميراث وبالإضافة إلى ذلك لم يكن باراً بأخوته بل كان قاسياً عليهم وكان شاعرنا صاحب زوج وولدين أحدهما تعجلته المنية والثانى شاء له القدر أن يدخل الأزهر ولكنه فشل فى الدراسة الأزهرية فالتحق بمعهد الموسيقى فخاف كذلك[1] .

**روافد ثقافته :**

التحق أحمد الزين بكتاب القرية فحفظ القرآن الكريم ثم دخل الأزهر الشريف ونال شهادة العالمية سنة ١٩٢٤م وعمل فى المحاماة الشرعية[2] ولكن عمق حبه للأدب تحكم فى منهج حياته العملية فدخل دار الكتب المصرية وعمل مصححاً بها فى القسم الأدبى مما يسر له الارتشاف من ينابيع أمهات تراث الأدب العربى وقد غلب علىالزين لقب ( الشاعر الراوية) منذ حداثته لكثرة محفوظاته التى جرت فى شعره أولاً محاكاة وتقليداً ثم لما أفحل سرت فيه جزالة وفخامة[3] . وقد ظل أحمد الزين يعمل بدار الكتب

---

(١) المجتمع فى شعر أحمد الزين – عبد الررحمن خليل – نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ص٣٢ .

(٢) دراسات فى الأدب العربى اللحديث ومدارسه أ . د محمد عبد المنعم خفاجى ص١٩٦ مطبعة المكتبات الأزهرية .

(٣) قصص من التاريخ – أ . د محمد عبد المنعم خفاجى – الطبعة الثانية ص٢٥٦ .

بأجر يومى ضئيل حتى توفى فى التاسعة والأربعين من عمره ومما سبق يدرك المتلقى الكريم أن الروافد التى استقى منها أحمد الزين معين شاعريته وثقافته وصفاته تتمثل فى :

١ - كُتّاب القرية . ٢ - الأزهر الشريف .

٣ - كتب التراث العربى . ٤ - حفظ الشعر وروايته .

٥ - عمله فى القسم الأدبى بدار الكتب .

يضاف إلى ذلك حرصه على حضور الندوات الأدبية .

**علاقاته الاجتماعية وصفاته الأخلاقية :**

عشق أحمد الزين جمال الود بين الأصدقاء وأدرك أن المشاركة الوجدانية بين الإخوان المنبع الشافى للجروح الذى يجفف الإنسان به عيون الألم ويتنفس رحيق الرضا رغم مرارة حياته وقد استطاع شاعرنا بحسن خلقه توطيد العلاقات الطيبة بينه وبين أفراد بيئته الأدبية حيث كان يتمتع بمكانة مرموقة وسط الأدباء فما من مجلس يضمهم إلا وله قصيدة تهز المحفل وكان الأدباء يقدرونه ويعتزون به لما له من صفات إنسانية راقية مثل الحياء والأمانة والبر والوفاء إلى جانب فصاحته البلاغية ومهارته التصوية وقد برزت آياته الإنسانية فى الإخوانيات والرثاء ففى الإخوانيات مثلاً ترنم بفضل الأستاذ أحمد أمين والأستاذ محمد فريد وجدى والأستاذ توفيق الحكيم ود. طه حسين والأستاذ طاهر أبو فاشا كما تبلورت إنسانيته الحانية الوفية فى الرثاء(١) وقد أثنى الأستاذ عبد الغنى المنشاوى على صفاته فقال " عرفت الزين وصادقته وآخيته وزاملته وكان نعم الصديق ونعم الأخ

---

(١) راجع الديوان من ص٨١ : ١٣٢ .

ونعم الرفيق"(١) كما بين ما كان يتمتع به من روح طيبة وظرف مهذب ولطف اجتماعى يضفى البسمة على مجالسه فترفرف فيها البهجة ومع تمتع شاعرنا بروح الخلق القويم والنفس الراضية بقضاء ربها إلا أنه جزع من ضياع أمله فى أن يكون مديراً للأزهر مما دفع به إلى عتابه وإعلان ما وقع عليه من ظلم حرمه من تحقيق ذاته وقد بين شاعرنا أن حرمان العباقرة سمة شائعة فى المجتمع المصرى وانطلق يصور ما فيه من مظالم وموت لكفايات ومواهب متميزة وهو بهذا يعرض بظلم الدخيل وتحكمه فى أبناء الشعب المصرى من خلال نداء وطنى قومى يهدف لصحوة تخلص مصر من ظلام الاستبداد الإنجليزى وسلبية الحكام ودعوة صريحة ليقظة الإصلاح الاجتماعى وقد بين أن من يبعد عن المناصب الحية يرجع لخطة الدخيل الذى يحاول خنق الروح الوطنية واغتيال المواهب المصرية الحرة قال فى قصيدة الملق :

| | |
|---|---|
| ليس للدائب حظ بينهم | لا ولا الجهد سبيل المرتقى(٢) |
| تزن العمر وعمرا امثله | لحظة تبذلها فى الملق |
| فاستبقها فرصة إن سنحت | إنما الفرصة للمستبق |
| لا تقل سهدى وجهدى عدتى | إنما الجهد عتاد الأخرق |
| إيه يا علمى عد جهلاً عسى | ينهض الجهل بحظر موثق |
| يا ذكائى عد غباء استرح | يغبانى من شقاء مطبق |
| كم كفايات نفاها قومها | وجهود ألقيت فى الطرق |

---

(١) ديوان أحمد الزين – تبويت الأستاذ عبد الغنى المنشاوى ص٤ ، ٦ بتصرف .

(٢) الديوان ص١٢ .

ومن قصيدة ( غربة النبوغ ) :

| | |
|---|---|
| وفــؤاد قـــد كان مهد الأمانى | صـار لحداً تسقى الدموع ترابه[١] |
| وذكاء يجــزى عليــه جحوداً | حين يجـــزى الغبى منهم ثوابه |
| .............................. | .............................. |
| وغبـــى يحيا ســعيداً ويعـزو | ن إليـــه مـــن كل فـــن لبـابه |
| حين يشقــى أخو الذكاءويطوى | فيكم العمر حـاملاً أو صـــابه |

ومن قصيدة ( خدعة الثناء وفتنة الأدعياء ) :

| | |
|---|---|
| كم رئيس لولا القـوانين تحمـى | جهـله كان طــرده قانـــونه[٢] |
| ذو جنـــون وزاد فيـــه جنـــوناً | أن يرى – ذا الجمـا يطيع جنونه |
| أىشعب يعطىعلىالظلم أجرا | غير مصـــر ومن طغى يرفعونه |

وهكذا بكى الشاعر ما وقع على أبنـاء مصـر من حرمـان وتفـاعل مـع أحـداث مجتمعـه بصدق وإيجابيـة وقـــد اتخـــذ مـن علاقاتــه الاجتماعيــة وتجـاربه الذاتية سبيلاً لطرح القضايـا الإنسـانية العامـة وقد تحكمت صفاتـه الأخلاقيـة فـى منهـج مناقشـته للمفاسد حيث التزم بالألفـاظ المهذبـة وتجنـب الابتذال التصويرى.

---

(١) الديوان ص١٠ .

(٢) الديوان ص٥ .

## آثار أحمد الزين ومنزلته الأدبية :-

تعد آثار المنشيء مرآة صادقة تعكس درجة نبوغه وتكشف عن طبيعة فكرة ورؤيته لقضايا مجتمعه كما تبرز بجلاء درجة تفاعله مع الأحداث والمواقف الإنسانية وقد مثل نتاج شاعرنا ما يتسم به من حاسة فنية مرهفة غذتها أحاسيسه السامية وترجمة نتاجه الذى ينقسم إلى قسمين :

**١ - النتاج الشعرى :**

يتبلور نتاجه الشعرى فى ديوانه القطوف الدانية الذى طبع فى سنة ١٩١٧م ويمثل هذا الديوان باكورة شعره وقد جمع أحمد الزين فى القطوف الدانية قصائد فى المدح والنسيب والرثاء وختم هذا الديوان بتخميسة لمعلقة أمرىء القيس(١) وبعد صدور القطوف الدانية بسنة طبع الزين ديواناً سماه (قلائد الحكمة) وقد اشتمل هذا الديوان على طائفة من الأراجيز الأخلاقية والحكم والمواعظ والآداب العامة التى أحس أن المجتمع فى حاجة إليها كالوفاء وآداب المعلم وآداب المتعلم وآداب الأصدقاء وآداب الإخوان وآداب الضيافة وصحبة الكتاب وأراجيز أحمد الزين تشير إلى قوة

---

(١) أمرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندى أشهر شعراء العصر الجاهلى على الإطلاق يمانى الأصل مولده بنجد اشتهر بلقبه واختلف المؤرخون فى اسمه فقيل حندج وقيل مليكه وقيل عدى وكان أبوه ملك أسد وغطفان وأمه أخت المهلهل الشاعر فلقنه المهلهل الشعر فقاله وهو غلام يعرف امرؤ القيس بالملك الضليل .
الأعلام جـ٢ ص١١ - طبعه بيروت .

بصيرته وما تمتع به من ذكاء اجتماعى مكنه من رصد عيوب المجتمع والتنديد بها(١).

أما ديوان الزين الذى يضم أشعاره فى طور الإبداع فلم يطبع إلا بعد وفاته بأربع سنوات حيث قيض الله له صديقاً مخلصاً هو الأستاذ عبد الغنى المنشاوى وقد قامت لجنة التأليف والترجمة والنشر بطبع الديوان – ومن الجدير بالذكر أن الأراجيز هى التى جاءت فى ديوانه ( قلائد الحكمة ) وقد ضمها الأستاذ عبد الغنى المنشاوى إلى الديوان وقد اشتملت القلائد على ثمانى عشرة أرجوزة وبذلك تمثل الأراجيز الأخلاقية ربع الديوان تقريباً(٢) .

---

(١) التخميس : وهو أن يؤتى بخمسة أقسام كلها على وزن واحد وخامسها بقافية مخالفة الأربعة قبله ثم بخمسة أخرى من الوزن دون القافية الأربعة الأولى ويتحد القسيم الخامس مع خامس الأولى فى القافية .
وقد أفاض ابن رشيق فى ذكر المخمس ونص على أنه يكون من بحر الرجز خاصة وقد كثر التخميس والتشطير فى الشعر العربى فى العصر المملوكى .
أوزان الشعر العربى وقوافيه – د.محمد على السمان . دار المعارف ١٩٨٤م ، ص٢٤٨ ، ٢٤٩ .
، البناء الفنى للقصيدة العربية – د. محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة القاهرة ص٨٣،٨٤.

(٢) قصص من التاريخ أ . د محمد عبد المنعم خفاجى – المطبعة المنيرية ص٢٥٤ بتصرف .
، – المجتمع فى شعر أحمد الزين – عبد الرحمن خليل ص٥٨ ، ٥٩ بتصرف .
، – د/ حسن عبد السلام إبراهيم رسالة دكتوراه سنة ١٩٧٨م ص٧٤ : ٨٠ بتصرف وعنوان الرسالة ( أحمد الزين ناقداً )

**- النتاج النثرى :** تتمثل آثار الزين النثرية فى المقالات الأدبية والنقدية التى كشفت النقاب عن مكانته فى عالم الأدب وأعلنت أن شاعرنا الراوية يتمتع بملكة شعرية وقدرة تصويرية وأصالة تعبيرية خلقت منه ناقداً له بصمات حية فى عالم النقد الحديث(١) وقد تميزت مقالاته بالموضوعية التى تشرق بطلاقة إبداعية ومهارة فنية ويتركز محور مقالاته فى :

١ - مقالات نشرت فى مجلة الثقافة بعنوان ( من أحسن ما يروى ) وهذه المجلة كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر وهى طائفة ممتعة من المقالات الأدبية تحدث فيها حديثاً جميلاً عن عدة شعراء وأشهر آثارهم الشعرية الطريفة كما تحدث عن أغراض متعددة راوياً ما قاله الشعراء فى كل غرض منها مع الموازنة والتفصيل .

٢ - مقالات نقدية نشرت فى جريدة الأهرام تحت عنوان (النقد الأدبى) وله كذلك مقالات وأشعار فى مجلة الرسالة التى كان يصدرها صديقه أحمد حسن الزيات(٢) وقد ضاعف من منزلة الزين الأدبية ما قدمه من إسهامات حية تخدم التراث الأدبى العربى فقد حقق الأجزاء السابع والثامن والتاسع والحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى وهى من آثاره فى دار الكتب أما آثاره فى غير دار الكتب

---

(١) راجع رسالة الدكتوراه . د/ حسن عبد السلام إبراهيم حيث ناقش بموضوعية وذكاء أدبى مكانة أحمد الزين فى مجال النقد الأدبى والرسالة بعنوان ( أحمد الزين الشاعر الناقد ) كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - القاهرة سنة ١٩٧٨م .

(٢) قصص من التاريخ أ . د محمد عبد المنعم خفاجى ص٢٥٨ المطبعة المنيرية بتصرف ، المجتمع فى شعر أحمد الزين عبد الرحمن خليل - لجنة التأليف والنشر ص٦٠ .

فمنها : أن صحح ديوان شاعر النيل حافظ إبراهيم وكذلك ديوان الوزير محمد رضا وديوان إسماعيل صبرى كما صحح الجزء الأول من كتاب الامتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى وبعض أجزاء من العقد الفريد لابن عبد ربه بمشاركة الأستاذ أحمد أمين والأستاذ إبراهيم الأبيارى كما قام بتحقيق ديوان الهذليين(١) .

---

(١) دراسات فى الأدب العربى الحديث ومدارسه أ. د. محمد عبد المنعم خفاجى ص١٦٧.

، قصص من التاريخ الطبعة الثانية ص٢٥٨ أ . د محمد عبد المنعم خفاجى .

، المجتمع فى شعر أحمد الزين – عبد الررحن خليل ص٦١ بتصرف .

## المبحث الثاني

### أغراض ديوانه الشعرية
### ومنزلة القيم الأخلاقية بين هذه الأغراض

يضم ديوان أحمد الزين بين طياته روضة شعرية رقيقة تترنم بالمعـانى السامية والأفكار النبيلة كما تشرق صورته الأدبيـة ببسـمة الأمـل التـى توحـى للمتذوق الكريم بطبيعة أحمـد الزيـن المرهفـة وأخلاقـه الرفيعـة التـى ارتشـف رحيقها من تعاليم الإسلام .

ومـن الجديـر بـالذكر أن الأسـتاذ عبـد المغنـى المنشـاوى المفتـش العـام بوزارة المعارف أشرف على تبويب وترتيب وتصحيح الديوان(١) .

**الذى ورد بهذا المنهج :**

| | |
|---|---|
| ١ – الاجتماعيات . | ٢ – النسيب . |
| ٣ – الوصف . | ٤ – الإخوانيات . |
| ٥ – الرثاء . | ٦ – الأراجيز . |

والاجتماعيات ترنم فيها أحمد الزين بأحوال المجتمع الأخلاقية وظروفه الثقافيـة ومعتقداتـه الدينيـة ومذاهبـه الفلسـفية ويحتضـن (الشــعر الاجتمــاعى) القصائد الآتية:

| | |
|---|---|
| ١ – خدعة الثناء وفتنة الأدعياء . | ٢ – الرأى . |
| ٣ – الضمير . | ٤ – غربة النبوغ . |
| ٥ – الملق . | ٦ – صرعى الأغراض . |

---

(١) الطبعة الأولى – مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٢م .

٧ – فى دار الكتب .　　　　٨ – كلمة مصر إلى نوابها .

٩ – تحية الشعر للمجمع اللغوى ، ونداء إلى وزير المعارف.

١٠ – بين الحب والحرب .　　　　١١ – وطن محتل وشعب منحل .

١٢ – ليس الحجاب يعوق عن طلب العلا .

١٣ – الصناعات والفنون بين مصر وأوربا .

١٤ – شعراء العصر فى مصر .

وقد تجلت الروح الباكية فى القصائد السابقة لما ساد المجتمع المصرى من جهل نفسى وكبر أحمق وظلم أسود ورياء مسموم وشك قاتل حتى خيم الظلام أرجاء مصرنا الحبيبة ففى قصيدة (خدعة الثناء وفتنة الأدعياء) كشف شاعرنا النقاب عن المفاسد الاجتماعية والأخلاقية التى شرخت جدار القيم لدى فئة سيطرت على الشعب المصرى الذى تجرع كأس الظلم فلم يستطع بيسر حصد جذور الطغيان :

تخذ الإفك والتملق دينا　　　　فجميع الأديان تلعن دينه[1]

ولكم يدعون عطفا على البؤ　　　　س وباسم الفقير ما يجمعونه

ولكم بائس يرى الجوع منه　　　　جسدا لاتكاد أن تستبينه

وعضال الأسقام أذواه حتى　　　　لا تحس الأساة إلا أنينه

والمتذوق للأبيات السابقة يسمع صرخة الشاعر التى أعلن فيها انتشار الإفك والتملق والكذب والنفاق وتحكم فئة وضيعة فى مصير شعب وديع مسالم تجرع آلام الفقر والحرمان والمرض العضال ويشعر المتذوق لمحة العتاب من شاعرنا لمجتمعه :

---

(١) الديوان ص٣ .

أى شعب يعطـى على الظلم أجرا غير مصر ومن طغى يرفعونـــه

ومتـى تضمـــن العدالـــة والظا لم فيهـــا أرزاقـــه مضمـــونه

وهذا العتاب الباكى كشف عن ضرورة التمسك بالقيم الأخلاقية الرفيعـة ففى قصيدة ( الـرأى ) بيـن أحمد الزيـن أن انتشـار المفاسـد تولـد مـن تمـزق الأخلاقيات السامية والقيم العالية فى النفوس :

وازهـــد فيمـــا بنـــــاه الرياء وأصـــدع بالـــرأى مهمـــا هـــدم(١)

فأهـــون علــــى بدينا النفـــاق وجـــــاه ينـــال ببيـــع الذمم

هو الرأى روحـك فاحرص عليه فمـــا بعـــد روحـك غيـر العـدم

ومنها :

فـــلا تغبطــــن أخا خطـــوة فمـــا نالهـا برخيص القيـــم

ولكنـــه بـــاع فيها الضــــمير وألقـــى العقيدة تحت القـــدم

وســـاوم بالنفـــس فعل البغى رمت بالحيـــاء ابتغاء اللقـــم

وكم أسخط الحق فى موطن وكم ألبس النور ثوب الظلم

والقصيـدة تندد بالريـاء والنفـاق والحقـد والحسد فهـى صرخـــة عاليـــة للتمسك بالقيم النبيلة التى غرسها الإسلام مثل الأمانة والعدل والصدق والوفـاء وإغاثة الملهوف ورفع راية الحق حتى نعز إسلامنا ونرقـى بمصرنـا العزيـزة وهذه الأحاسـيس الفياضـة ألهمـت شـاعرنا بدعـوة راقيـة سـجلها فـى قصيدتـه (الضمير) وهى تعبر عن أفكار شريفة تكشـف عـن قيمـة الضمـير فـى البنـاء الاجتماعى والوجدانى فهو منه ونعمة جعلها الله داعية لنداء الخير ولهذا :

---

(١) الديوان ص٦ .

هو صوت السماءفيعالم الأر ض وروح من اللطيف الخبير[1]
وشعاع تذوب تحت سناه خدع العيش من رياء وزور
هو سر يحار في كنهه اللب ب وتعيا به قوى التفكير
.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. ..
هو روح من الملائك يسمو بسليل الثرى لعالم نور
قد تولت بالأنبياء عصور وهو باق على توالي العصور
حافظًا في الزمان ما خلفوه قائماً في الصدور بالتذكير
حاملا من شرائع الخير كتبا قدست من صحائف وسطور

والمتذوق لقصيدة الضمير يقف أمام لوحة فنية ناطقة تجسد فضائلة فنبين بالشكل والصوت والحركة أنواره التي تحمي الإنسان من ظلمات الشيطان الذي يغرس في بعض النفوس الشر ويقتل الأمل وينشر ضباب الحرمان فيسود بين الناس الحقد والحسد وقد ترنم شاعرنا ببكاء المكروب بهذه المعاني في قصيدته ( غربة النبوغ ) التي وضحت كيفية محاربة المصري النابغ من الدخيل المحتل الذي يتمنى قتل الكيان المصري الذي يتجسد في النبوع :

يالجهد قد كان يذكو التهابا أخمدالغبن والعقوق التهابه[2]
وفؤاد قد كان مهد الأماني صار لحداتسقى الدموع ترابه

---

(١) اليوان ص٨ .

(٢) الديوان ص١٠ .

وذكـــاء يجزى عليـه جحودا    حين يجزى الغبى منهم ثوابه

ونبوغ يضيـع بين جهـــول    وحسودبالضغن ضل صوابه

والقصيدة أنشودة حزينة تشيع أنغام المرارة والحسـرة لمـا حـل بـالوطن المصرى العريق وصرخة للصحوة المصرية ورفض لوجود المحتل الأجنبى الذى يقتل النبوغ المصرى لإدراكه أن فى هذا القتل قضاء على شـعب عزيـز متميز :

إن قتل النبوغ قتل لشعب    وعنـــاد لله فيمـــن أنابـــه

ويبكى أحمد الزين لغربة الشعب المصرى فى داره ويندد بالأخلاقيـات الاجتماعية الفاسدة التـى اقتلعت القيم العاليـة فغـابت شـمس الحريـة وتلاشـى ضوء المدينة ويجد المتذوق فى قصيدة (الملق) صرخات الشاعر ضـد الريـاء والمحسوبية والرشوة والغش والخداع ولهذا تمنى زوال فطنته التى تسـبب لـه الأحزان لما يجده فى البيئة المصرية من مفاسد :

يا ذكائى عـــد غباء أسترح    بغبائـــى من شـــقاء مـطبـق(١)

كـــم كفايات نفاها قومـــها    وجهـــود ألقيت فى الطرق

لقد كـان أحمـد الزيـن شـاعرًا وطنيًـا مصريًـا أحـب بلـده وأدرك دور الأزهر فى صحوة الشعب فكان نبضة إسلامية مصرية أزهرية تندد بالمظـالم والمفاسد التى نزلت بالوطن الحبيب وكان شعره جهادًا صادقًـا ودعـوة واعيـة لليقظـة الأخلاقيـة والاجتماعيـة يسـمع المتـذوق صوتهـا فـى أغـراض شـعره وقصيدته ( صرعى الأغراض ) تعكس غرضـه :

---

(١) الديوان ص١٢ .

لا يدع العدل قوم فى عد التهم ... صرعى الكفايات تشكو ظلم أهليها[1]

ولا المساواة والأفهام لو وزنت ... مع الغباوة فيهم لا تساويها

ولا الحضارة من تجزى نوابغهم ... وحشية تسكن البيداء والتيها

إذا البلاد تخلت عن حياطتها ... يد النبوغ تداعت من صياصيها

دع الحديث عن القسطاس فى عصب ... ما سودت بينها إلا مرائيها

.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. ... .. .. .. .. .... .. .. .. .. ..

أرخصتم غالى الأخلاق فى بلد ... لم تغل قيمة إلا بغاليها

يارب نفس أضاء الطهر صفحتها ... أفسد تموها فزلت فى مهاويها

وكم قلوب كساها الحسن نضرته ... دنستموها فعاد الحسن تشويها

أغلقتم سبل الأرزاق لم تدعوا ... لفاضل الخلق سعيا فى نواحيها

مدارس تغرس الأخلاق فى نشأ ... ومغلق الرزق بعد الغرس يذويها

لا تلح طالب رزق فى نقائصه ... إن الضرورات من أقوى دواعيها

ما أطهر الخلق المصرى لو طهرت ... تلك الرياسات من أهواء موحيها

والمتذوق للأنغام السابقة يتعايش مع نبرات باكية تنعى ظلم أصحاب السلطة الذين أطلق أحمد الزين عليهم ( صرعى الأغراض ) وهو اسم القصيدة فقد أدرك أنهم بؤرة التدهور الاجتماعى والأخلاقى وفى القصيدة نداء مصرى وطنى للصحوة ضد مظالم المحتل وأصحاب السلطة الذين يجهلون منزلة الشعب المصرى وأخلاقه العريقة المنبثقة من أنوار الإسلام .

---

(١) الديوان ص١٤ ، ١٥ .

وقد أبدع شاعرنا الأزهرى فى قوله ( مدارس تغرس الأخلاق ) وهو بهذا يشير إلى دور الأزهر الشريف فى البناء الفكرى والوجدانى والاجتماعى ويبين أنه الشعاع الذى كان يغرس الأمل في النفوس الطهارة ولكن مع دوره العظيم كان يحارب فى بناء الكيان المصرى الشريف وجميل أيضًا من أحمد الزين زفرته الحزينة :

ما أطهر الخلق المصرى لو طهرت ... تلك الرياسات من أهواء موحيها

والبيت نبضة باكية وزفرة مرة تناجى كل صوت حر وقلم شجاع لرفع الظلم عن شعب خلوق طاهر الوجدان .

ويستمر بكاء شاعرنا فى اجتماعياته التى غاص بها الجزء الأول من الديوان حتى فى قصيدته ( فى دار الكتب ) فيبكى ما حل بروادها من مهانة وذل وتعسف مع أنهم أهل النبوغ والعلم والرفعة ومرجع ذلك خطة المحتل المستبد :

دار هوان قد حللنا بها ... كما يحل الصيد فى قده(١)

أيسر ما فى وصفها أنها ... تفجع ذا الجهد على جهده

إن يطلب الرفد بها متقن ... ( فرفته ) أقرب من رفده

تثيب من يهزل فيها كما ... تسوء ذا الجد على جده

لا يظفر المحسن فيها ولو ... بالخادع الممطول من وعده

ليس من الأحياء من حلها ... بل ميت آخر عن لحده

لا موت مهما قلت فى وصفه ... يعدل موت اليأس فى برده

---

(١) الديوان ص ١٧ .

ودار الكتب توحى للمتلقى بالفكر المتفتح وتبين أن عميلها يتمتع بمنزلـة شريفة ويتميز عن غيره بنيل المنزلة ولكن هيهات فى ظل المحتل الدخيل فقد أصبحت دار الكتب موطنا لسفك الحـق وبؤرة للوشـايات ومـا ذلـك إلا لتفجـر عيون الاضطرابات الاجتماعية النابعـة مـن الفسـاد الأخلاقـى ممـا دفـع أحمـد الزين إلى الصياح فى وجه نواب مصر سجل فيـه حـق مصـر عليهـم وحـث على ضرورة الوفاء لها ورفع قدرها وتنفيذ وعودهم لشعبها وتحقيـق زهـور الحرية وقد أطلق على هذه القصيدة اسم ( كلمة مصر إلى نوايها ) :

| | |
|---|---|
| يـــا حـــاملين أمـانـــة الأبنـــــاء | الله فـى مصـــــر وفى الشـهداء[1] |
| فتحت لكم صحف الفخار فسـطروا | ما يذخــــر الأبـــاء للأبنـــــاء |
| لا تورثوا أعقـــابكم ماذقتمــــو | فـــى الأســـر من محن ومن لأواء |
| . . . . . . . . . . . . . . . . . . | . . . . . . . . . . . . . . . . . . |
| يا مقســمين بحــب مصــر وإنـه | قســـم أحـــق بحرمة ووفـــاء |
| ومـحملين وديعـــــة مســـئولة | عبء الودائـع أثقـل الأعبـــاء |
| عرضت على السبع الطباق فأشفقت | وأبين مـــن ضـــعف ومـن إعيـاء |
| رفعتكم الأجيـــال مـا أعــــددتم | بصـحائف الأجيال مـــن أنبــاء |
| وتطلعـت نحـــو الحيـــاة أجنــــة | أحيــــاة يأس أم حيـــاة رجـــاء |
| وأطلـت الشـــــهداء مـــن جناتهـــا | لترى ثمـــار الغرس فـــى الأحيـــاء |
| فتداركوا أمل البـــلاد فقد مضـــت | بمنـــى البـــلاد ضـراعة الرؤساء |

(١) الديوان ص١٩ .

والقصيدة اجتماعية سياسية تنادى نواب مصر باليقظة الواعية للحفاظ على كيانها وشرفها ويحذر من خيانتها ومن الانخداع ببريق السلطة وقد استطاع أحمد الزين بمهارته الأدبية إثارة مشاعر الولاء والانتماء لمصرنا الغالية فى صورته (فتحت لكم صحف الفخار فسطروا ما يذخر الآباء للأبناء)

فالتعبير ( ما يذخر الآباء للأبناء ) بين الواجب الفطرى والغريزى تجاه الحبيبة الغالية مصر فكما يفضل الأباء أولادهم ويضحون من أجلهم بل ينسون أنفسهم أمام رفعة أكبادهم وشرفهم يفرحون بتقدمهم ويسعدون بفوزهم كذلك يجب أن تكون العاطفة تجاه مصرنا نعشقها ونضحى من أجلها ونسعى لرفعتها بين الأمم .

إن التعبير الأدبى ( ما يذخر الأباء للأبناء ) شحنة عاطفية تثمر خلق الإيثار.

ويشدو أحمد الزين بنغمات وطنية تكشف عن مصريته وغيرته الشريفة فينادى المسئولين عن مصر بالعمل علىإسعاد أبناء الوطن وحمايتهم من تحكم الأجنبى المحتل وقد عبر بأسلوب عميق يكشف عن محنة مصر فى صياغته:

لا تورثوا أعـــقابكم ماذقتمو فىالأسر من محنومن لأواء[1]

فقد ذاق المصريون صنوف العذاب والعناء ولهذا يرجو شاعرنا كشف الغمة عن الجيل الجديد حتى لا يصبح الذل والعذاب سمة ثابته يتجرعها المصريون .

إن لمصر حقا يجب رعايته ألا وهو الوفاء والولاء والتضحية لقد قدم أحبابها أرواحهم من أجلها وهم اليوم ينظرون من جنةالفردوس دور إخوانهم:

---

(١) اللأواء : الشدة

وأظلت الشـــهداء مـــن جناتهـــا لترى ثمـــار الغرس فـــى الأحيـــاء

صورة بديعية حية تثير العواطف الوطنية والمشاعر الإسلامية التى استقى شاعرنا أنوارها من الأزهر الشريف لقد أبدع أحمد الزين حينما جعل أرواح الشهداء البذور الطيبة التى تثمر الآمال المشرقة والأمانى الراقية التى تتبلور فى تحقيق الحرية للشعب المصرى والبيت دعوة للوفاء وتقدير للتضحيات التى قدمها الشهداء ولهذا يجب على أبناء الوطن المصرى تقديم حياته لمسايرة ركب الحضارة وتجنب المصالح الذاتية :

سبيـــل العلا ما تسلكون وإنـــما تأوى الصـــعاب مسالك العلياء

ليست كـــراسى النيـــابة رتبـــة يعلو بها من كـان فى الوضعاء

دار النيابـــة فتحـــت أبوابهـــا مـــاذا أعدً لهـــا من الأراء

إن شئتـــم كانت لمصـــر نعمـــة أو شئتم كانت سبيـــل شقـاء

إن القصيدة نغمة رجاء تترنم بحب مصر وتشدو برفعتها وشـرفها والمتلقى يقف على عمق وطنية أحمد الزين وأصالة مصريته ونداء الشاعر الوطنى لا يقتصر على الصحوة السياسية بل يمتد ليشمل الحفاظ على الفكر الإسلامى المصرى العربى ولهذا سطر الشاعر قصيدته ( تحية الشعر للمجمع اللغوى ونداء إلى وزير المعارف ) وهى لحن بديع يتغنى بالمجد الأدبى الـذى خص الله به العرب فجعلهم أمة البيان وأهل الفصاحة وروضة الفنون ونجوم الفكر ورفع منزلتهم ببركة القرآن الكريم الذى غرس فى نفوسهم العزة والكبرياء الشريف :

روض البيـان بها كم كان مزدهرا شـــدو البلابل فـــى أفنانـه عجب

**كم أشرقت في نواحـــي أفقها شهب سرت علىضوئهاالأجيال والحـقب**

**كم أهدت اليد للدنيا حضارتهــــا صريحة لم يشبها الغش والكــذب**

**حضارة رفع الفــــرقان ذروتها أساسها وحدة الإنسان لا الغلـــب**

**المتأمل للأبيات يقف على عمق فرحة الشاعر بالصحوة الأدبية اللغويـة التي تحافظ على كيان اللغة العربية وفي هذا حفـاظ علـى كيـان اللغـة العربيـة وحفاظ علىحضارة الإسلام وعروبة مصر والصورة الأدبيـة ( روض البيـان بها كم كان مزدهرا ) تدل على مـا كـانت عليـه النهضـة الفكريـة الأدبيـة فـي عصورها الذهبية الجاهلية . والإسلامية والأموية والعباسية وقد أبدع شـاعرنا حين أفصح عن درجة الأزدهار بقوله ( شدو البلابل في أفنانه عجـب ) حيـث صور المجد الأدبـي للعرب وذيوعـه فـي أرجـاء العـالم وانتشـار عبيره بيـن رياض الأدب العالمي (بشدو البلابـل) ممـا يـدل علـى تميزه بالجمـال وتفـرده بالسحر ولفظه ( شدو ) توحي بما كان للأدب العربي من نشوة فنية وانسـياب تعبيري ورنق أسلوبي ودلالات بيانية بديعة تجذب الألباب وتهيـم بالخيـال فـي دنيا الأحلام وقد أبدع أحمد الزين حين جعل الأدب العربي شمسا تنير لـلآداب طريق النظـم إلـى أن تصـل لمرحلـة الإبـداع الذي يتجلـى فـي عمـق التـأثير والتفاعل بين العمل والمتلقي وتعبيره :**

كم أشرقـــت فينواحي أفقها شهب سرت على ضوئها الأجيال والحقب

تدل على ريادة نجوم الأدب العربي فـي الشـعر والنـثر مـن أمثـال ابـن الرومي وأبي العلاء ([1]) ويبين شـاعرنا أن الحضـارة الإسـلامية أهدت للدنيـا حضـارة مشـرقة منيـرة راقيـة وشـاعرنا بهـــذا ينـدد بالغـش والـرياء

---

(١) ستأتي – بإذن الله –ترجمة لهما .

والتزوير الدخيل على الأمة المصرية ويوحى بأن الحضارة الأصلية هى النابعة من فؤاد أولادها وتعبيره ( الغش والكذب ) دعوة للتمسك بالأصالة العربية التى رفعها ( القرآن الكريم ) :

حضـــارة رفع القـــرآن ذروتهـــا أساســـها وحدة الإنســـان لا الغلب
لو اســـتظل بضـــافى ظلهـــا أمم فى الأرض ما اختصموا يوما ولا احتربوا

وتعبيره ( لو استظل ) دقيق الصورة جيد الخيال يعطى للمتخيل الإحساس بالمتعة ويثير فى نفسه ضرورة الانتفاع بالظل لا رتباطه بتوقيت وبوحى شعورى وتخيل واضح الملامح يدرك المتصور أن أحمد الزين صور الظل الذى يحتاجه الإنسان لحمايته من الهجيرة القاتلة والهلاك اليقينى بالحضارة التى يرتشف منها منها أنوار حياته ونبض وجوده فالعلوم والمعارف تحمية من الضياع النفسى والهلاك الاجتماعى لو استظل بالقليل من ظلها الظليل ومن يمعن فى الصورة يجد أن شاعرنا يحث على الانتفاع بهذا الظل قبل زواله فالإنسان يستظل به وقت الظهيرة والحضارة يستظل بها وينهل من معنيها وقت الشباب والصورة خيالية تأليفية حية بديعة تحتاج للغوص بين ملامحها والتعبير ( لو استظل ) يوحى بأن البناء المتكامل الحضارى لن يثمر ثمرته المرجوة إلا مع الاستمرار ومتابعة الغرس حتى يستمر الجنى .

وينادى أحمد الزين وزير المعارف فى رجاء يحفه التمنى للحفاظ على لغة الفرقان أصل الحضارة والرقى :

قل للوزير بقاء الخير فى عـــمل بالعـــاملين فقـــدر حين تنتخـــب(١)

---

(١) الديوان ص٢٢ .

لا يخدعنكم جـــــاه ولالقب     فكم أضـــاع علينـا الجـاه واللقـــب

لايعجبنكم فـــى الحشــــد كثرتـه     قد يفعـــل الفرد ما لاتفعل العـــصب

ولا تكن شـــهرة الأســماء رائدكـم     رب اشـــتهار يمحض الحظ مكتسـب

.. .. .. .. .. .. ..... .. .. .. .. ..     .. .. .. .. .. .. ..... .. .. .. .. ..

كلوا الأمور إلى قـــوم ذوى دأب     لا يفترون ولا يوهبـهم نصــــــب

مستـــر شديـن بذوق فى بحوثهمو     من يفقد الذوق لم ينـهض بــه الدأب

والاجتهـــاد بغيـــر الـذوق مضيعة     ذو الجهد إن لم يعنه الذوق محتطب

وهينـــوا لعظيـــم الأمـــر عدتـه     من الكفاة ولا تغرركـــم الرتـــب

حمـلت مصـــر لواء الشرق قاطبة     فالشرق من حولها يرجو ويـــرتقب

تقطعت قبلك الأرحـــام وابتعـــدت     واليـوم فى المجمع المصرى تقترب

والقصيدة نداء صريح للحفاظ على اللغة العربيـة والعروبـة حتـى يسلم إسلامنا ويبين أحمد الزين للوزير الأسس الأخلاقية التى يجب أن يعتمد عليهـا فى الاختيار أبرزها تجنب الهوى والشهرة الزائفة والحرص من الأسماء التـى طـار ذكرهـا بمحض المصادفة ولكن علـى الوزيـر انتقـاء أصحـاب الـذوق المرهف والشخصية المستقلة والفكر المنير والطموح المثمر والعطاء المتجدد.

وجميل من شاعرنا إعلانه الوطنى :

حملت مصر لـــواء الشرق قاطبة     فالشرق من حولها يرجو ويرتـقب

والبيت يدل على مصرية شـاعرنا وإخلاصـه لوطنـه ورغبتـه فـى رفـع رايـة مصـر خفاقـه فمصر رايـة ولـواء للشرق وفـى رفعتهـا عـزة وكرامـة

والصورة توحى بدلالة وطنية واجتماعية ووجدانية نبعت من تجربة شعورية صادقة أدت إلى خلود الأثر الذى يصلح التغنى به فى المواقف المماثلة .

والقصيدة دعوة لإحياء التراث العربى واختيار الرواد الذين يعشقون اللغة العربية ويذوبون فى رياضها ويتنفسون رحيقها وينبض قلبهم بسحرها ويتمتعون بذوق رفيع يدعم أركانها ويرون فى اللغة العربية الحفاظ على كيان مصر والشرق ويتمنى شاعرنا عودة لواء العروبة فى المجمع المصرى الذى يشيع بين العرب جلال العروبة وينشر زهور الحب ويقتلع جذور البغض التى تشعل جذوة الحروب ففى آداب اللغة العربية احترام للفكر البشرى والوحدة الإنسانية :

حضـــارة رفع الفرقان ذروتها        أساسها وحدة الإنسان لا الغلب

لقد أبدع أحمد الزين فى دعوته للوحدة الإنسانية التى تدل على عالمية الإسلام الذى ينادى بالحب المطلق وتبادل العواطف السامية لبناء حياة فاضلة وقد أبرز المنشئ سمو هذه الدعوة فى قيثارة شعرية أطلق عليها ( بين الحب والحرب ) ترنم بخواطر راقية ومشاعر رفيعة تحتضن البسمة وتغرس الأمانى وتنفث فى الحياة عبير السعادة ويندد بالحروب ومظالمها مفاسدها ويعلن بغضه لها ولمن يشعل نارها :

حـــاربوا ما شئتـــــم أوسالمـــوا        واعمروهـــا أو دعوها بلقعـــــا[1]

ليس لى ما عشـــت فى دينــــاكم        مـــا أراه يستـــــحق الطمعـــا

لست أبغى رى آمــــالى بمـــــا        سفك الظلم دمـا أو أدمعــــــا

---

(١) الديوان ص٢٤ .

| | |
|---|---|
| مطلبى أطـــــهر من أن يرتعـــى | جنــث الإخــــوة يبــغى شـيعا |
| قدعــوا قــــلبى وما يشغلــــه | لم يـــدع فيـــه الهوى متسعا |
| غــرس الـــحب به دوحتـــــه | فزكت أصــــلا وطــالت أفرعا |
| صــادفت منبتها فانبســـــــقت | وأصابت من وفائــــى منبعـــا |
| وجناهــا اليــــأس إلا أنهــــا | بسطـــــت من ظلها ما أطمعــا |
| يتغنــــى الشعـــر فى أفيائهــا | مرسلا فى كل لحــن مدمعـــــا |
| باعثا فى النفس من ذكرى الهوى | ما شــفى اللوعـة أو ما أوجعــا |
| يا منـــى نفســى تعالى نبتـدر | من جنـــى أيـــامنا أينعـــا |

والقصيدة تعلن عن دعوة أحمد الزين للسلام وغرس بذور الحب لبناء مصرنا العزيزة ولعل نغمته الوجدانية تصرح بطبيعته :

| | |
|---|---|
| لست أبغـى رى آمالى بما | سفك الظلم دما أو أدمعـــا |

فالبيت يكشف عن رقة شاعرنا ومشاعره الصافية وعواطفه النبيلة فهو لا يطمع فى رى آماله الذاتية لأنه يدرك ذوبانه فى دوحة مجتمعه المصرى وكيف تسعده أمنية يقطف ثمارهـا ومصره الحبيبة تعانى نزيفا من الدموع والدماء ويلمح المتذوق شعاع الأمل فى نشر أجنحة السلام فيتغنى بالمنى وثماره التى تخفف من وحدة شعوره بالألم الدفين كلما نظر لوطنه المحتل وما أصاب الشعب المصرى من انحلال أخلاقى ويستشف المتلقى هذه المعاناة الواجدانية لشاعرنا فى قصيدته ( وطن محتل وشعب منحل ) حيث تكشف عن درجة التدهور السياسى والاجتماعى والأخلاقى والقصيدة فغمة حزينة ثائرة على أوضاع مصر المضطربة :

عصـــــفت بها ريح الخلاف بلجة    لم يـدر غايتها سـوى مرسيهـــا(١)

ربـاه إن أخـذت قادتهـــا بمــا    كسبوا فنج برحمـة مـــن فيـــها

صـدقـوا الجهـاد وفرقتهم عصبة    أنت الـــذى بذنوبهــا تجزيهــا

.. .. .. .. .. .. .. .. .. .. ..    .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. ..

يا فتنة عصفــت بمصر ومـالهـا    جلـد لعاصفـة الخـلاف يقيهـا

قـد مـكنت للغاجيـن بأرضهـا    ومشـى إلـى إذ لا لهـا مـا شيها

أودت بأخـلاق الشبـاب ودنسـت    مـا أخجـل الأزهـار من صافيها

وأتت علـى أسـر البلاد ففـرقت    بيـن الفتـــاة وأمهـا وأبيهــا

ذهبت بمـا ترجوه مصر وأهدرت    ما سال من دمنـا علـى واديهـا

فكأننـا لـم نفـدها بنفوسنـــا    حيـن استبـد عدوهـا بذويهـا

رباه ضـل سبيلهــا كبراؤهــا    فـأفض عليهـا حكمـة تهديهـا

لقد أبدع شاعرنا فى بيان درجـة الفوضـى والقلق والأضطرابات التـى تحكمت فـى حياة شعب طـاهر ودود وقد عبر شاعرنا عن هذه الأحـوال بالصورة ( عصفت ) التى أوحت بعنفوان الإضطـراب وقد ساعد على نقل حركة القلق والاضطراب المساحة الصوتية للتعبير ( عصفت ) الذى كرره المنشئ :

يا فتنة عصفت بمصر ومالها    جلد لعاصفة الخـلاف يقيهـا

---

(١) الديوان ص ٢٦

والتكرار التعبيرى يرمى لعمق حزن الشاعر وما أصيب به من هزة وجدانية جعلته يجد تفريغ شحنته النفسية فى لفظة ( العاصفة ) وتتجلى روح شاعرنا الإسلامية الأزهرية فى الدعاء والمناجاة .

ربِّاه ضل سبيلها كبراؤهـــا　　　فأفض عليها حكمة يهديهـــا

رحماك قد ملأ النفاق سرائرا　　　لم تعرف التضليل والتمويها

والمتذوق للقصيدة يشعر بدقة وصف الشاعر لما أصاب الأسر المصرية الطاهرة من تفكك وقلق وما أصاب الشباب من انحلال اجتماعى وأخلاقى وقد أعجبنى تفانى شاعرنا فى تجربته الشعورية المصرية وذوبانه العاطفى الذى تجلى عبر الايقاع الموسيقى الوجدانى .

فكأننا لم نفديها بنفوسنــا　　　حين استبد عدوها بذويهـا

فتعبيره ( فكأننا لم نفديها بنفوسنا ) بكاء نفسى ترجم به أحمد الزين أحزان شعب مصر كما أن تعبيره بنا الدالة على الفاعلين ترمز لوحدة كيان مصر وأن بنضها نبض رجل واحد ويصرخ شاعرنا صرخة الألم المصحوبة بأنين الحسرة .

حشـــد الزمـــان عليكم أعـــداءكم　　　وأمدها الفـــتن التى تـــوريهـــا

أولم تروا كيف انطوت بخلاقهـــا　　　أمم أطـــاعت فى الهـــوى غاويهـــا

وقد جسد التعبير ( حشد الزمان ) تلاطم الفتن وانتشارها وتغلغلها فى أحشاء البيئة المصرية ويحذر شاعرناها من الدخيل الذى يدنس العلاقات الإنسانية المصرية ويبث سمومه فى وجدان وطنيته هذه السموم التى تقضى على كيانه وتعصف بحضارته وهو ما يتمناه المحتل الدخيل .

لقد سطر أحمد الزين فى هذه القصيدة أحزانه على ما أصاب مصرنا الغالية من تحكم الأجانب وضاعف من حزنه ما أصاب الشعب المصرى من كارثة اجتماعية أخلاقية دفعت إلى تحكم المحتل الغاصب لهذا توالت صيحات أحمد الزين للصحوة وصرخاته لليقظة .

ودعوته للعودة إلى رحاب الخلق الإسلامى الرفيع ففى قصيدته ( ليس الحجاب يعوق عن طلب العلا ) وهى قصيدة رائعة تغنى فيها الشاعر بحكم الليالى وفراق العلم كما تغنى بالحجاب الإسلامى وبين فضله فى الرقى الأخلاقى :

| | |
|---|---|
| نفسى الفداء لزهرة أمس لها | بين الجنادل والثرى أكمام[١] |
| أودت فأودت بالقلوب همومها | وتشققت لمصابها الأقلام |
| خلفت للعلياء قلبا خافقا | وتركت دمع المجد وهو سجام |
| ومع الحجاب بلغت أبعد غاية | فى المجد تقصر دونها الأفهام |
| قالوا السفور فقلت شعب جاهل | والناس ما جهلوا فهم أنعام |
| إن السفور مع الجهالة محنة | هل يدفع الأسد الهصور سوام |
| هاعملوها وافعلوا ما شئتمو | فالعلم حصن لا يكاد يرام |
| إما الحجاب أو السفور أردتمو | والخير فيما اختاره الإسلام |

(١) الديوان ص ٢٨ .

والقصيدة فى رثاء باحثة البادية ملك حفنى ناصف[1] والمتذوق يقف عبر أبياتها على رقة مشاعر المنشئ وسمو خلقه ونبل شيمه وقد تجلت مشاعره العالية فى نبراته الإيقاعية الحزينة التى سجل فيها حسرته لفراق باحثة البادية التى تمتعت بالقيم الجمالية والأخلاق الرشيدة فكانت زهرة يانعة وسط الأشواك الجارحة ونجمة ساطعة تخترق السحب الداكنة لتطل على عالم الرفعة والشرف ولهذا خلفت للعلياء والعلا من يسير على منهجها ولكن فراقها حفر فى النفوس الراقية مرارة الحرمان وقسوة الفراق وغرس فى القلوب أنين اللوعة وحسرة الأشجان وقد أجاد أحمد الزين فى صورته التعبيرية ( وتركت دمع المجد وهو سجام ) حيث جسد المجد وشخصه فجعله يدرك قدر المصاب فتنهمر دموعه بغزارة واستمرار .

وقد بين شاعرنا فى القصيدة جمال الالتزام وعلو شأن الطهر والنقاء وكأنه يندد بما ساد فى المجتمع من أخلاقيات فاسدة وسلوكيات هابطة دفع إليها سغور المرأة وقد تجلت فى الأبيات الروح الإسلامية التى تفوح بروضة ناضرة والتى ارتشف شاعرنا رحيقها من الأزهر الشريف .

---

(١) ملك بنت حفنى ناصف : كاتبة شاعرة خطيبة كانت أشهر فضليات المسلمات فى عصرها مولدها ووفاتها فى القاهرة تعلمت فى المدارس المصرية واحرزت الشهادة العالية ( الدبلوم ) وأحسنت الإنجليزية والفرنسية واشتغلت بالتعليم فى مدارس البنات الأميرية ثم تزوجت بعبد الستار الباسل لها كثير من المقالات فى الجريدة جمعتها فى كتاب سمته (النسائيات) ولها كتاب سمته ( حقوق النساء ) فحالت وفاتها دون تمامه والأنسة ( مى ) كتاب سمته ( باحثة البادية ) أحاطت فيه بما كان لصاحبة الترجمة من الأثر فى النهضة النسائية وميلاد ملك حفنى ١٨٨٦ ووفاتها ١٩١٨م .
الأعلام – الزركلى – جـ٧ ص١٨٧ – بيروت – بتصرف .

وجميل تعبيره ( هل يدفع الأسد الهصور سوام ) الذى رمز لثمرة الانحلال وانتشار سمومها فالسفور شر مستطير يساعد على تراكم الأهوال الأخلاقية فالمرأة السافرة تمهد سبل الشر وتغرس فى النفوس المريضة بذور الاستهتار فتجعلها كالأسود الضارية وحشية والعلاج هنا فى الحجاب الذى يقضى على براثن الأغلال وشاعرنا الإسلامى الأزهرى يعلن ضرورة التمسك بالحجاب .

لقد تغنى أحمد الزين فى عصره بظاهرة اجتماعية دخيلة على مجتمعنا الإسلامى ونحن اليوم فى حاجة إلى استمرار هذه الأنغام التهذيبية حتى ينتصر الإسلام على العواصف المسمومة التى تحاول نشر عادات وتقاليد فاسدة بدعوى الحضارة والمدينة وما هى إلا سهام غادرة تهدد كيان المجتمع الإسلامى الذى يحارب من التيارات الأجنبية التى تحاول بث عوامل الكسل والجهل حتى لا تنهض الأمة الإسلامية وقد أدرك أحمد الزين هذه الحرب فنظم قصيدة تندد بالكسل وتحث على طلب العلم والمعرفة سماها ( الصناعات والفنون بين مصر وأوربا ) وهى صيحة عالية تبين أن الحضارة والمدينة لا تتحقق إلا بالإرادة والكرامة والعزة :

| | |
|---|---|
| يا حالمين بمجد مصر الزائل | هيهات تبنى ركنه يد عاطل[1] |
| وضح الهدى والقوم بين أخى كرى | لا يستفيق وبين صاح غافل |
| قل للذى طلب المعالى قاعدا | لا مجد فى الدنيا لغير العامل |
| بنت الشعوب على الصناعة عزها | فالنجم يرمقه بعين الذاهل |

(١) الديوان ص٣١ .

دعموا الحضارة بالعقول وصبروا ... مدينة الأسلاف زخرف باطل

تركوا الزهادة فى الحياة لعاجز ... راض من الدنيا بعيش الخامل

وتراءت الدنيا لهم فى جدها ... إذ نحن نرميها بعين الهازل

خلقلوا من العدم الوجود وأوشكوا ... أن يجعلوا للصخر عقل العاقل

والمتأمل فى الصياغة الأدبية ( يا حالمين بمجد مصر الزائل ) يشعر بمرارة المنشئ وحسرته على ما انتاب مصرنا من تدهور حضارى واستسلام للاضطرابات الأخلاقية ويسخر شاعرنا من الذين يعيشون مع أحلام الماضى ويرددون أمجاده عبر أنغام الرحيل وألحان الغروب التى تعلن قدوم النهاية ويبين شاعرنا أن المحب لمصرنا يعمل بصدق إيمانى على تجديد مجدها بالكفاح والعمل والأبتكار حتى يفوح عطر مجدها بين رياض الأمجاد أما الغناء بذكرى مجد الأباء فهو كالبكاء على الأطلال لا يثمر إلا السراب والضياع لقد أبدع الأجداد فى خلق حضارتهم وتقديم عزها ولهذا يجب علينا الحفاظ عليها وتنميتها وتدعيم أركانها ويبكى أحمد الزين تضرعا للأبناء راجيا منهم اليقظة ويحذرهم من استمرار الكسل والاستغراق فى الأحلام حتى لا ينهار الصرح ونغرق فى بحر الضياع وتصبح مصر فى طى النسيان فالمعالى والعلياء لأهل العلم والكفاح وأصحاب السعى وينادى شاعرنا المصريين بضرورة صحوة الصناعة والعمران حتى يتكون البناء المصرى الشامخ الذى يعتز بنفسه ويشرق على الدنيا كما أشرق مجد الأباء .

ويتنهد المنشئ ويصيح فى وجه الشباب المصرى الذى ترك العمل والبناء والمجد والشموخ وجلسوا لارتشاف متعة زائلة تهدم الكيان البشرى :

زخرت نـوادى لهـوكم بمجـالس موصـولـة غدواتهـا بأصـائل

للنـرد والشـطرنج فيهـا ضجـة فتخالهـا قـد بـدلت بمعامـل

وتهـدها بالعـاطلين مـدارس تهمـى بسـيل مـن بنيهـا هاطـل

ضاقت رحـاب الأرض وهى فسيحة عنهـم وضـاق بهـم ذراع العـائل

.. .. .. .. .. .. .... .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .. .... .. .. ....

وإذا البـلاد دعتهمـو لمصابهـا فدعاء مخـذول أهـاب بخـاذل

كم ذا تؤدبنا الخطـوب بنصحهـا وكأن صوت النصح صوت العاذل

ونصيح بالمـجد القـديم ولأرى صيحـاتنا إلا تثـاوب كاسـل

فتجرعوا عقبـى البطـالة موردا رنق المشـارب لايسـوغ لنـاهل

لا تظلموا صـرف الليـالى إنما سـبح الورى ووقفتمو بالسـاحل

والمتذوق للأبيات يشعر بنغمـات الأسـى والمـرارة التى حلت بالشعب المصرى الذى انصرف عن الأمجاد إلى لعب النرد والشطرنج وقـد أدى ذلـك إلى الانهيار الاجتماعى والفكرى ويندد شاعرنا بما حدث للمجتمع المصرى من خمول صرفهم عن البناء وحبسـهم فـى الهـلاك وقد أجاد شـاعرنا عندمـا جسد الخطوب فصورها بالناصح الأمين الذى يحذر من وقوع الكارثة ويتمثـل هذا فـى حدوث الفتن والاضطرابـات ولكـن هيهـات أن يسـتجيب الشـعب المصرى وأبدع شـاعرنا عندمـا بيـن أن صـوت النصـح يشبه صـوت العـاذل بالنسبة للمصريين وهو بذلك يرمز لمـا يغرسـه الأجنبـى الدخيل مـن دسـائس مسـمومة وفتن سـوداء وشـكوك عاصفـة ويشـعر المتلقى بعد ثـورة شـاعرنا العارمة بصوت حزين منكسر يحذر من الخمول والتدهور :

ونصيح بالمـجد القديم ولأرى صيحـاتنا إلا تثاؤب كاسـل

يبين المنشئ أن المجد القديم لبنة أولية تحتاج لاستمرار البناء وجميل من شاعرنا تعبيره :

لا تظلموا صرف الليالى إنما   سبح الورى ووقفتمو بالساحل

حيث صور حركة التقدم التى تحفظ حياة الإنسان وكيانه من الغرق فى أعماق الجهل بالسباحة التى توحى بالسعى وأجاد فى اختياره للفظة ( سبح ) التى توحى بأن العلم والمعرفة بحر سخره الله لينهل منه العباد .

وتعجب أحمد الزين من موقف الشعب المصرى الذى وقف بالساحل يرى ما يفعله العالم ولا يتحرك وكأنه يسخر من حالة الجمود والتحجر إنها صورة جميلة رائعة جسدت الحركة السريعة لأصحاب العلوم والمعارف ودرجة غوصهم وطبيعة استمرارهم فى البحث والتنقيب ويختم شاعرنا اجتماعياته بأمل مشرق يبث فى نفسه البشرى الطيبة التى أعلنت عن ميلاد صحوة أدبية وكأن شاعرنا يواسى نفسه بهذه الصحوة راجياً من الله أن تكون المنار الذى يفجر ينابيع اليقظة فى كل مجال وقد تغنى ببعض رواد النهضة الشعرية فى قصيدة أطلق عليها ( شعراء العصر فى مصر ) غرد فيها بصورهم الأدبية وطلاقتهم التعبيرية ومهارتهم الفنية وتميزهم فى الإيقاع الوجدانى عن طريق الدلالات اللفظية والنغمات الصوتية والإيحاء المعنوى ومن هؤلاء الشعراء أحمد الكاشف(١) .

---

(١) أحمد بن عمر الكاشف ( ١٨٧٨ - ١٩٤٨م ) شاعر مصرى قوقازى الأصل قيل عنه ( الكاشف ناصح ملوك وفارس هيجاء ومقرع أمم ومرشد حيارى ) وكان له اشتغال بالتصوير ومال إلى الموسيقى ينفس بها كربه واتهم بالدعوة إلى إنشاء خلافة عربية يشرف عرشها على النيل فتدارك أمره عند الخدوى عباس حلمى فرضى عنه وكذبت الظنون وأمر بالإقامة فى قرينه ( القرشية ) فكان لا يبرحها إلا مستتراً له ديوان شعر فى جزأين الإعلام الزركلى جـ١ ص١٢٤ - بيروت .

وقد بين أحمد الزين ما يتسم به شعر الكاشف من عمق فكرى وحس مرهف وتعبير ساحر تفيض ألفاظه بالصدق العاطفى وتنطق بالطلاقة الفنية.

كما وصف أحمد الزين شعر أحمد محرم(١) فنبين أنه سلس العبارة جيد الصياغة متين النسج قريب المأخذ خصب الخيال واضح المعانى إلا أنها تدور فى فلك المعانى التقليدية كما ذكر فى قصيدته (شعراء العصرفى مصر) أحمد نسيم(٢) وإسماعيل صبرى(٣) فوصف أيضاً شعرهما وصفاً دقيقاً يكشف عن خصائصهما الفنية .

ومن التعايش مع اجتماعيات أحمد الزين يدرك المتلقى ما تتميز به من صددق عاطفى وقدرة تعبيرية بيانية نبعث من روح إسلامية مصرية أزهرية

---

(١) هو أحمد محرم بن حسن عبد الله شاعر مصرى مرهف الحس حسن إلى صف نقى الديباجة تركى الأصل ولد فى إيبا الحمراء من قرى الدلنجات بمصر تلقى مبادىء العلوم وتثقف على يد أحد الأزهريين وسكن دمنهور بعد وفاة أبيه فعاش يتكسب بالنشر والكتابة حفلت أيامه بأحداث سياسية . له ديوان محرم وديوان الإسلام أو الإلياذه الإسلامية توفى ١٩٤٥م

الأعلام الزركلى - جـ١ - ص٢٠٢ - بيروت .

(٢) هو أحمد نسيم بن عثمان بك محمد شاعر مصرى ولد وتعلم وتوفى بالقاهرة كان يلقب بشاعر الحزب الوطنى فى شعره جوده ورقة له ديوان شعر جزأن وله وطنيات أحمد نسيم توفى سنة ١٩٣٨م

الإعلام - جـ١ ص٢٦٤ - بيروت .

(٣) إسماعيل صبرى باشا من شعراء الطبقة الأولى فى عصره امتاز بجمال مقطوعاته وعذوبة أسلوبه وهو من شيوخ الإدارة والقضاء فى الديار المصرية كان شديد الحياء بارع النكتة سريع الخاطر توفى عام ١٩٢٣

الإعلام - الزركلى جـ١ ص٣١٥ - بيروت .

طاهرة نقية عشقت مصرنا فخفق شعرها بوطنية خالدة تشدو قيثـارة الشـعر بها بعزة وكبرياء.ويتحرك ركب الرحلةالشعريةفنجد شاعرنا يتغنى بخلجـات النفس وعواطف القلب فيباب (النسيب) الذييضم بين روضته القصائد الآتية:

١ - العاطفة .　　　　٢ - معاودة الذكرى .

٣ - مع طيفها .　　　　٤ - ابتسامة .

٥ - مع النسيم .　　　　٦ - سحر الحديث .

٧ - العهود الممطولة .

٨ - بين حب جديد وسلوة عن قديم .　　　　٩ - بنان على بيان .

١٠ - الذكرى .　　　　١١ - القبلة الممنوعة .

وقد أشـرق بقصـيدة ( العاطفـة ) التـى تغـرد بميـول النفس ونزعاتهـا وتغوص فى أعماقها لتعبر جسـور الأحاسيس والمشـاعر وتعيش مـع سـحر الذكـ... ونعومة الماضى الجميل(١) :

ت تهفو بقـلب الشجى　　　　هى سـر الحياة فى كل حـى

ى والروح فى فؤادك صنوا　　　　ن وفيض من عـالم عـلوى

هىذكرى بعدالمشيب وسلوى　　　　فـى اكتهال وصبوة للفتـى

ومنى للغـلام يهفـو إليهـا　　　　وحنـان يحوط مهد الصبى

رافقت رحلـة الحياة وآخت　　　　نضو أسفارها إخـاء الوفـى

هـى القـلب نعمة أو شقـاء　　　　كم سعيـد بها وكم من شقى

والمتذوق الأدبى عندما يستنشق عبير الأبيـات يقـف علـى رقـة معانيهـا وعمق مشاعرها وانتشار إيقاعها السحرى فالصورة (خلجات تهفوبقلب الشجى)

---

(١) الديوان ص٤٣ .

جعلت العاطفة النبض الحى للقلب الإنسانى الذى يعشق جمال الحياة وقد أبدع شاعرنا حينما صورها بخيال علوى يداعب منى النفس وآمال الروح ونشوة الوجدان والقصيدة نغمة حالمة فى دنيا الوجدان فهى ذكرى وسلوى يهفو بها القلب فى الاكتمال فتغرس فيه الأمل الذى يثمر زهور الحنان ويمتع النفس بحنين الأشجان .

وجميل من شاعرنا تصويره العاطفة بأنها رفيقة وفيه لرحلة الحياة التى تعاودها ذكريات الماضى التى جعلت أحمد الزين يسطر قصيدته ( معاودة الذكرى ) تغنى فيها بأنين القلب وشجون العواطف وأحلام الأمانى(١) :

| | |
|---|---|
| عاود القلب حنينه | من على الشوق يعينه |
| ويح قلبى من غرام | هاج بالذكرى كمينه |
| يالخفاق إذا ما | قر هزته شجونه |
| وأصل من صد عنه | صائن من لا يصونه |

والمتذوق لنغمات النص يشعر بخفقة باكية ونبضة هائمة وأحلام تسبح فى ذكرى حبيب هاجر لروضة الوصال :

| | |
|---|---|
| كنت روضاً حالياً بالوصـ | ـل قد رفت غصونه |

لقد كان الماضى بهجة وسروراً وغصوناً يانعة تتراقص من نعيم الوصال والآن ضاعت الأحلام فى واقع الأنين وانقطع الرجاء فى لقاء نسيم الشوق مع بسمة الحنان التى تحتضن طيف الأحبة ترنم به المنشئ التى ترنم به قصيدته ( مع طيفها )(٢) :

---

(١) الديوان ص٤٥ .

(٢) الديوان ص٤٧ .

كل شــيء فى الحيــاة روى    رغـم مـا فى الوهـم يعتقد
شافهم عهـد الصبا فــرأوا    فى خيـال الطيف ما عهدوا
كان ضــوء الصبح موعده    ومضـى ليت الدجــى أبـد
ليتــه ليــل بغيــر غــــد    وأمــانى العـــاشقين غــد
نعمـــة للقـــلب خالصــــة    لــم يكـدر صفوها حســد

والقصيدة لمسة عشق وبسمة حنين وعبير يفيض بنـور اللقـاء وفرحـة الأشواق ورجاء يفوح بالأمل الوردى ينادى طيفها طيف المنى الذى ينير ليـل حياته والقصيدة تكشف عما لأحمد الزين من رقة مشاعر وخيال حى وعاطفـة جياشة تبدد ظلمات الحياة وتشرق بابتسامة تناجى الصباح الذى يجسد ابتســامة المنى ولهذا أفرغ المنشئ مشاعره وشحنته العاطفية فى قصيدته ( ابتسامة ) :-

يــا منــى النفس يا مثابة حبى    أبسمــــى يبسم الــرجاء بقــلبى[1]
أسفرى عن شعاع ثغرك يسفر    لفؤادى نور من الحسن يصبـى
-------------------    -------------------
أبسمى للظلام يبســـم بصبـح    وأبسمى للصبــاح بسمة عجب
أبسمى للرياض يبسم لك الزهـــــــر ويكسى النبات نضرة خصب
يا شفــاها كأنها ورق الــورد    شقتها خمــر الرضاب بعـذب
يالــورد تشـــع فيـه الثنايــا    بسنا يسحــر القــلوب ويسبى

والأبيات لحن حالم فى عالم الأمانى ومناجاة لمنى النفس التى يشعر أن بسمتها نور لقلبه وشفاء للسقيم وسعادة للصديق وفرحة للزمان وجمال للأحبـة

---

(١) الديوان ص٤٩ .

وتفتح للزهور ونضارة للرياض وفى بسمتها لطف النسيم ورقة الأمانى التى تترجمها شفاه فى رقة ورق الورد وجمال لونه وعذوبة منظره وطيب رائحته وسحر ابتسامته التى تماثل سحر النسيم الذى يرسل الأشواق عبر موجات عاطفية تخفق بالهوى الذى سطره المنشئ فى قصيدته ( مع النسيم ) التى تعكس خلجات وجدانية يترجمها سحر النسيم الذى ينبض بالحنين ويهفو بمشاعر هائمة تغرد أنشودة اللقاء :

| | |
|---|---|
| يـا نسيما أهـدى إليهـا اشتياقى | مــا أبـــر النسيــم بالعشـــاق(١) |
| يا رقيقـا كم حمـــلوك رقيقـــاً | مـــن منـــى عذبـة ومن أشواق |
| -------------------- | -------------------- |
| عجيــب كتمـــانه السـر فيـــه | وهـــو يسرى به إلـــى الآفـــاق |
| يــا له كيـــف لا يحول سمومـــاً | بالذى فيه مــن جــوى واحتراق |
| حامـــل النـــار كيف يبرد مســا | أى واق منهـــا لــــه أى واق |
| كم عيـــون رويت عنها فسميت | بليـــلاً والفضـــل للآمـــاق |
| وفـــــؤاد حمــلت عنه خفوقـــاً | بالهـــوى فـــى فـــؤادك الخفاق |

والقصيدة تنبض بالأشواق الرقيقة وتفوح بعطر المنى وتذوب مـع روح الحبيب فى عناق وجدانى خفاق يشدو بنشوة اللقاء الذى يغـرد بسـحر الحديث وعذوبته مع المحبوبة ويشعر المتذوق فى قصيدة أحمد الزين (سحر الحديث) بنبرات الأمانى ورقـة حديث المحبوبـة وأثـره السـحرى علـى العـود والنفس والنسمة والأذن والعين :

---

(١) الديوان ص٥١ .

| | |
|---|---|
| أسمعينـــا نبـــرات أخجـــــلت | وتــر العــود حنانــاً وحنينــاً(١) |
| وانطقــى تصغى الأمانــى عســى | أن تشـــائى قول : كونــى فتكونا |
| وابعثى شجـــو الهوى من منطق | يــلمس النفس فيذكيهــا شجـــوناً |
| وانفثى مــن سحــره فــى ميت | تبعثيــه قبـــل بعــث العـــالمينا |
| واهمــسى فــى يابــس النبت بــه | تلبسيـــــه نضـــرة للنـــاظرينا |
| ------------------- | ------------------- |
| تتمنـــى العيـن فيـــه لوغـــدت | أذنـــاً تحظـــى بحــظ المنصتينا |
| ومنـــى الأذان إذا تسمـــع عـــن | مجتلـــى حسنك لــو كانت عيــوناً |

والأبيات بديعة المعانى رقيقة الخيـال يتذوقها المتلقى فيرتشف رحيق المنى ويرتوى بسحر الجمال فنبرات صوتها رقيقـة ناعمـة هامسـة تفـوق نغم العود فى الحنان والحنين وصوتهـا يذكـى الشجون ويشعل العواطـف ويجدد الأمانى والقصيدة جميلة إلا أن بها بعض المبالغة كقوله :

وانفثى من سحـره فى ميت      تبعثيه قبـل بعث العـــالمينا

وكقوله :

وانطقى تصغى الأمانى عســى      أن تشــائى قول : كونى فتكونا

والواقع أن الجمال الشعرى يتجلى فـى مصداقيـة الصـورة وبعدهـا عـن المبالغة وقد أجاد وأبدع حين جعل العين تتمنى لو أصبحت أذنـاً لتنعم بجمـال صوتها الفاتن وأن الأذن تتمنى أن تصبح عيوناً لتتمتع بسحر حسنها والقصيدة لطيفة جيدة ساحرة الألفاظ عبرت عن الحنيـن لصـوت المحبوبـة التـى تمـاطل العهود لتعصف بقلب العاشق وقد نظم أحمد الزين قصيدته (العهود الممطولة) ليبين فيها المعاناة النفسية التى يتجرعها الحبيب من محبوبه :

---

(١) الديوان ص٥٣ .

عللينـــا بالأمانـــي وأبخـــلي وعدينـــا بالتدانـــي وامطـــلي[1]

وإذا لـــم تسعـــدي الشاكي بما يرتجيـــه أسعـــدي بالأمـــل

-------------------- --------------------

رب يـــوم قـــلت أشكو فرنت نظـــر العطف وإن لـــم تفعل

لـــم تكد تعطف حتـــى ردهـــا عن حديث العطف صمت الخجل

وجـــرى بيـــن يديها مدمعي فاتحـــاً أبـــواب قـــلب مقفـــل

فأجـــالت عبـــرة تمسكهـــا خشيـــة الـــواشي فـــلم تنهمل

لست أخشى عاذلاً مـن غيرها إن تيـــه الغيد اقـــوى العـــذل

والمتذوق الكريم يدرك أن القصيدة أنشودة باكية يحفها عتاب المحب العاشق الذى تمنى الوداد والوفاء وعشق الوصال ولكن حبيبه تلاعب بوده وعواطفه وعهوده ويشعر المتلقى أيضاً بحرارة الحرمان وعنفوان العذاب والأبيات تترجم حديث النفس وخلجات الفؤاد وتعكس مشاعر قلب حائر ساقها شاعرنا عبر أصوات عذبة وصورة واضحة الملامح .

لقد تمتع شاعرنا بحس مرهف ومشاعر رقيقة ترنم بها فى وادى الذكريات الذى سطر لشاعرنا أنغام قصيدته ( بين حب جديد وسلوة عن قديم ) داعب فيها عواطفه بين غرام قديم مضى وعشق جديد تولد ذكر فى هذا الهمس الوجدانى حبيبة الأمس وما غرسته فى قلبه من لوعة وألم وصد وجفاء وما تعرض له من العذال والوشاة أما حبيبته اليوم فقد غرست بذور الود وداعبت أوتار القلب بنور الحب وحنين الوصال وبسمة السرور ويعلن

---

(١) الديوان ص٥٥ .

شاعرنا في نهاية قصيدته أن الحب حياة للقلب والوجدان وهو فطرة للوجود البشرى :

فدعى يا حبيبة الأمس قلبى    لوصول تجزى المودة مثلاً(١)

تعرف الصب كيف يقتله الحب    فرقت ولم تزد فيه قتلا

لم تطع فيه عاذلاً وإذا ما    صدق الحب لم يطع فيه عذلاً

وإذا ما بذلت غالى حب    بذلت من فؤادها الحب أغلى

ولعل الأبيات همسات نفس حزينة ذاقت وبال الحرمان فنسجت خيوط الوهم الذى يتناسى به الإنسان واقعة المرير .

إيه يا دمع كم تفيض لذكرى    لمحة لن ترى لها الدهر ظلا

ذهبت كالحباب أو مثلما جفف    حر الشعاع فى الروض طلا

البيتان معاودة لذكرى الحبيب القديم الذى صوره المنشئ بهيئة الظل المفقود وبديع تخيله للحبيب بالظل والصورة إمعان فى الحرمان لأن الأصل فى الظل الزوال ومع ذلك لم ينل أحمد الزين من حبيبته لمحة بل تجرع آلام الحرمان وحرارة الأشواق حتى فى أحلامه .

لقد تغنى شاعرنا بالعواطف والأشجان وتغنى بالحب والأشواق وغرد بنسيم العشق وأنغام الهوى وقد تجلى ذلك فى قصيدته ( البيانو ) .

وافتن فى سحر النهى    شدو الأنامل واللسان(٢)

---

(١) الديوان ص٥٧ .

(٢) الديوان ص٥٩ .

وهفـــا بلبك فـــى أفـــا نيـــن الصـــبابة ســـاحران

رنـــــات ساحـــرة الغنـــا ء تجيب رنــــات المثانـــى

ثبـــت الأوتــــار مـــن حـــــر الصبابـــة مـــا تعانى

كـــم أودعـــت ألحانهـــا فـى الشوق من سحر المعانى

------------------ ------------------

وحـــى تنـــزل مـــن سمـــا ء قريحـــــة ذات افتتـــان

والنغمات الســابقة تبين أن صوت البيـانو يحـرك خيـال العشـاق ويثير جمال المنى ويشعل حرارة الصبابة كما يداعب الأشواق ويناجى الصبابة عبر شدو الملائكة الساحر والمتذوق الكريم يعيش مع القصيدة عبر ذكريات حالمـة فى دنيا الحب المفقود والأشواق التى عصفت بها الأيام فـى مهدهـا ممـا جعـل شاعرنا يعيش مع ذكرياته الماضية فى قصيدته ( الذكرى ) :

أدكاراً بعد مـا ولى الشبـــاب ومـــن الذكرى نعيم وعـــذاب(١)

لا تقـــل تعزية عـــن فائـــت كـم عـزاء فى ثنـــاياه المصاب

وإذا الـــدار جفـــاها أنسهـــا فمغانيهـــا مـــع التـــرب تـــراب

وإذا الـــروض ذوت أوراقـــه فغناء الورقفىالروض انتحاب

وإحمرار الشمـس فى مغربها دمعها القـــانى أو القلب المذاب

إنمـا الذكرى شجون وجـوى يسكن القلب لهـــا وهى حراب

رب نفس عشقت مصـــرعها كفراش النـــار يغريه الشهاب

---

(١) الديوان ص٦١ .

ولـــكم أنس وفيـــه وحشـــة     واقتــراب هــو نأى واغتراب

------------------     ------------------

كــم تمنينا عقيمـــات المنـــى     ودعوناوصدىالصوتجواب

ورضينـــا بقليـــل منـــك لـــو     أن مشتاقاً علـــى الشوق يثاب

ومتذوق قصيدة الذكرى يدرك شاعرية الزين المرهفة وخياله المبدع وعواطفه الجياشه وصوره الحية التى تناجى القلوب وشاعرنا فى قصيدة الذكرى يسترجع ذكريات الماضى الذى يمثل نبض الشباب وحيويته ويربط بين صورة الشباب وجماله وطموحه ونضارته وبين جمال الروض فى ربيعه وبين حاله عندما يحل الخريف ويذبل أوراق الأزهار والرياحين ففى ربيعها بسمة المنى وفى خريفها بكاء الفناء وهكذا الإنسان فى شبابه فرحة الأمانى وفى كهولته أنين الوحشة وغربة الوحدة وكأنه ينظر للغروب فيرى فى شفقه دموع الوداع ولوعة الفراق للأمانى والآمال والحياة .

ويتغنى بتجربته الذاتية التى جزعت من مرارة الوحدة وشجون الذكرى فعشقت النهاية وأصبحت تقترب من أسباب مصرعها وهى تعلم أن فى ذلك أسباب الفناء كالفراش الذى يغريه الشهاب وفيه هلاكه .

وجميل تعبيره :

وإذا الــــروضُ ذَوَتْ أوراقُـــه     فغناءُ الورق فى الروض انتحاب

وإذا مـــا الزهـــر ولّـــى حسنُه     فبقايـــاه عبـــوس واكتئـــــاب

وإحمـــــرار الشمس فى مغربها     دمعها القـــانى أو القـــلب المذاب

إنما الذكرى شجـــون وجـــوى     يسكن القلب لها وهـــى حـــراب

والأبيات شحنة عاطفية باكية تحتض أوراق الظلام وتتجرع مرارة الحرمان وتذوب مع دموع الرحيل عبر روضة تحفها سهام الغناء فقد سقطت أوراقها فتفجرت ينابيع دموعها بانتحاب يخدع سامعها الذى يظنه غناء والبيت يعكس بمصداقية الشعور الداخلى للإنسان عندما يغادره الشباب وتفارقه نضارته ويخدع نفسه بسحر الأمانى ويترنم بعشق الحياة ولكنه ترنم يشوبه عبوس القلب واكتئاب الوجدان وقد أبدع فى صورته ( دموعها القانى ) ففى غروب الشمس غروب الشباب وشفقها الأحمر القانى الذى يعلن نهايتها يترجم نزيف القلب الذى يستقبل ناقوس الفناء .

وفى نهاية الصورة يتعجب المنشئ من تعلق الإنسان بالذكريات مع أن فيها بكاء الأشجان وخيوطاً تنسج ثياب الوداع ويختم المنشئ ترجمته الشعورية باستسلام القلب للذكريات لأنها واقعة .

ويسدل شاعرنا ستار أحزانه فى باب النسيب بقصيدته (القبلة الممنوعة)(١) وهى وجدانية تغنى فيها الشاعر بالعواطف الجياشة وبسحر اللقاء وجمال المودة التى تنعش نفس المغترب الذى ودع الشباب وغزل أحمد الزين عفيف رفيق يشعر المتلقى فيه بحرارة العاطفة وصدق التجربة وجمال الصورة وانبثاقها من الوجدان .

وينتقل ركب البحث إلى الغرض التالى للنسيب وهو ( الوصف ) والمتلقى لقصائد أحمد الزين يجد أنها تنم عن حس مرهف وصياغة أدبية عالية وقد أشرق وصفه بقصيدة ( المسرة ) التى ترنم فيها فقال :

لم تتخذ للسفار زادا ولم تذق فى الرحيل خطبا

---

(١) الديوان ص٦٣ .

ولا جهـدت المطى حتى | شكت لعرض الفلاة كربا
كأن عـرض الفضاء فيها | ناد يضم الرفـاق صحبا
أمينـة لا تـذيع سـرا | لمن قـلى أو لمـن أحبا
حفيظة لا تضيـع حرفـاً | ولا تـزيد الكلام كذبـا

فالمسرة وسيلة لغرس ثمار القرب وزهور المحبة لما تتصف به من الأمانة والصدق الذى يستنشق المتلقى أريجه من المشاعر الصافية التى تسرى فى نسيم الأشواق عبر ( طاقة الزهر ) وهى قصيدة رائعة أنغامها عبير العطر وحروفها عبق ساحر تحاكى النسيم برقة وتداعب الخيال برشاقة وتناجى النفس بدلال العاشق :

أهدت إلى النفس ريا نشرها العبق | والطيب فى الزهر يوحى طيب الخلق(١)

--------------------- | --------- ----------

تداعـب الزهـر فـى رفق أناملهـا | كالنـوم داعـب جفن الساهر الأرق
كلاهمـا بالهـوى يرنـو لصـاحبه | فاعجـب لمختلـف بالحـب متفـق
تحنـو عليـه فتنسـيه منابتـه | فى الروض يندى بمنهل الحيا الغدق
كلاهمـا زهـر فـى كفـا صـاحبه | فانعـم بزهريـن ملثـوم ومنتشـق
هـذا يعيـد بريـا نفحـه رمقـا | وذاك بالوجـد لا يبقـى علـى رمق
هذا على الصدر يسبى العين منظره | وذاك فى القلب يغرى لاعج الحرق
كم صور الزهر من معنى يجيش به | كلب الشـجى ويعيـى فطنـة اللبـق

---

(١) الديوان ص٦٩ .

وكم يحمله العشاق لوعتهم صوناً لمكنونها عن طائش نزق

والأبيات نسمات رقيقة تتراقص مع زهور الرياض فى رشاقة ولطف وقد أبدع شاعرنا عندما جعل طيب الزهور كطيب الخلق كلاهما ينشر السعادة والبشر والسرور والأمل وبهجة البسمة ورقة الأشواق ويصور المنشئ أن المعانى الرفيعة تحاكى رقة عطر الزهور ويربط الشاعر بين رقة طاقة الزهور ورقة النسيم ورقة مشاعر العشاق ففى الزهر البديع معانى جياشة لونه صوت هامس وعبيره إحساس وردى رائحته سحر الأشواق والقصيدة نغمة حالمة فى عالم الحنان النابعة من رياض السرور وبستان الأمانى الذى يشدو بأوتار ( العود)(١) والعود قصيدة تمزج بين حرارة الأشواق وجمال الحنين وعطر المنى وشروق الأمال قال المنشئ فى قصيدة العود :

| | |
|---|---|
| كلما مست يداها وترا | حسد الآخر ما مست يداها |
| تمنح الأوتار كفا رخصة | أشجت الأوتار من قبل شجاها |
| ويكاد العود يدمى كفها | قبلا لو أن للعود شفاها |
| لحنها يبعث فى ميت المنى | نضرة العمر ومعسول صباها |
| خفقات يخفق القلب لها | هي أنات فؤادى أو صداها |
| وحنين كاد من رقته | أن يذيب اللحن فى العود مياها |
| وشجون طالما أخفيتها | نفذ العود إليها فحكاها |
| واستشف النفس عن أسرارها | لم يدع خافية إلا جلاها |

(١) الديوان ص٧١ .

صـــور اللوعة فـــى مكمنهـــا كيـــف تخبو ثـــم يشتد لظـــاها
ودبيب الحـــب فـــى أولـــه والجـــوى ملتهباً حين تنـــاهى

------------------ ------------------

كل هذا نطـــق العـــود بـــه وتناجى هـــو والنفس شفاهـــا
لغة الأوتـــار فـــى عجمتها تقصر الألسن عـن درك مداها

والأبيـات جيدة النسج رقيقة المشـاعر تنـاجى فيهـا المعـانى الخيـال . وتحتضـن الصـورة فـى لمسة حانيـة بالإحسـاس إلـى عـالم علـوى والصـورة الأدبية ناعمة تصور رقة بنانها الـذى يداعب أوتـار العـود فيثير فيـه الشـجن وجميل من شاعرنا بثه الحياة فى أوتار العود حيث جعله يطرب ويشـجى مـن لمس بنابنها وأبدع حينما جعل الأوتـار تبـالغ فـى تقبيـل هـذه الأنـامل ( ويكـاد يدمى كفها ) .

إن ألحان الحبيبـة تبعـث البهجـة والمنـى وتغـرس زهـور الأمـانى التـى يخفق لها القلب خفقات تذوب من لحنهـا والصـورة الأدبيـة فـى قصيـدة العـود تشع بعواطف ملتهبة يضاعف من التهابها الحرمان الذى جعل الأوتـار تتغنـى بالعشق وتنشر دبيب الهوى فى نبض القلوب التى تعلن عن حرارة الأشواق .

والقلب منبع الحب وموطن المشاعر والأحاسيس ولهذا نظم أحمد الزين قصيدته ( وصف القلب )(١) قال فيها :

من لقـــلب بين الجـــوانح عـــان جمع اليأس والمنى فـــى مكـــان
شاعر فى الضلوع يحقق بالمعنى فيعيـــا عنـــه بيـــان اللســـان

---

(١) الديوان ص٧٣ .

كم خيـال لـه يضيق بـه اللفظ      فيسمـو إليـه بالخفقـان

وأمانـى فيه كالزهـر منها      ما ذوى والقليـل فى ريعـان

يناجى الشاعر قلبه الجريح الذى يعانى من مرارة اليأس وحرمان المنى ويبكى آلامه وينعى آماله ويصور شاعرنا أن خفقان قلبه تعجز عن وصفه الألفاظ وينبض الخيال من تصوير معانيه ويبين المنشئ أن قلبه ينبض بأمانى ناضرة كالزهر طيبة العطر ساحرة الندى ويشدو بقلبه عبر كلمات رقيقة المعانى رشيقة الصورة :

فهو كالعـود فىيـد الدهر يشـدو      بالذى شـاء دهـره من أغـانى

قطع العيـش بين خـوف وأمـن      ورجـاء نـاء وآخـر دان

---------------------      ---------------------

وتـراه يسيل كالمـاء لطفـا      وتراه كالنـار فـى الثـوران

صامت وهـو لاينى عـن حديث      مطمئن فـى ثـورة البـركان

يقف المتذوق للأبيات السابقة على رقة شاعرنا وعمق صياغته وبعد تأمله وجمال أنغامه فقد صور القلب بالعود فى يد الزمان يشدو بأوتاره كيف يشاء فقد يترنم بالحرمان وقد يترنم بالأشواق وتارة أخرى بأمل اللقاء الذى يعلن الفراق فالقلب عود فى يد الزمان يمنحه الأمن أو يفزعه بالخوف لقد أبدع شاعرنا المرهف فى هذا التصوير الذى يدل على شاعرية نادرة فى عصر تدهورت فيه الصياغة العربية وقلب شاعرنا قد يتدفق بالأمان فيصبح كالماء المنساب عذوبة ورقة وقد تتغلب عليه أوهام الفراق فيشتعل فيه نيران الغضب ويتنهد المنشىء متعجباً من قلب صامت ولكنه يترجم فيضاناً من

الأحزان ويحذر من اطمئنان يهدد ببركان مدمر والمتأمل فى الصورة يدرك أنها تكشف عن شاعر مرهف الحس صادق الإحساس .

ولشاعرنا قصيدة وصفية أطلق عليها اسم الساعة أثنى فيها على هذا الاختراع الحى فقال :

| | |
|---|---|
| مع الزمان دائرة | وبالحساب سائرة[١] |
| من عمد العمران والدنيا | إليها ناظره |
| قد قنعت ناحية | منها وأخرى حاسرة |
| -------------- | -------------- |
| تحوى الزمان كله | أوله وأخره |
| تريك ما تعنى به | من الزمان حاضره |
| أتيه فى الغيب وما | مضى طلول دائرة |
| تبدأ حيث تنتهى | دائبة مثابرة |
| تظل طول عمرها | قادمة مسافره |
| حائرة وهديها | فى أن تظل حائرة |
| -------------- | -------------- |
| لسانها عقارب | تزحف غير غادرة |
| حسبك من وفائها | نومك وهى ساهرة |
| تحفها معالم | حول الطريق دائرة |

(١) الديوان ص٧٦ .

والقصيدة لطيفة رشيقة المعانى تمثل نغمة خفيفة مع خيال لطيف وعاطفة راقصة تخفف عن نفسها الآلام المبرحة التى تجسدت فى الذكريات والعهود .

ووصف أحمد الزين ما يحرك مشاعر غضبه ويثير أحاسيس مقته فقال فى وصف مغن يسيىء إلى فن الغناء :

| | |
|---|---|
| أردت بين الغناء مزجاً | فجاء خلطاً بغير فن |
| ما بين شرق وغرب | حيرت فى حالتيك ظنى |
| فى كل مغنى تنوح قل لى | أنادب أنت أم مغنى |

وقال فى مغن آخر(١) :

| | |
|---|---|
| حمار لا يمل من النهيق | يضيق به التجلد أى ضيق |
| مغن يجلب السلوى ويغنى | بقايا الشوق فى قلب المشوق |
| ------------------ | ------------------ |
| دعانى للسماع رفيق سوء | فقلت عرفت عذرى يا رفيقى |
| وأوسعنا مغنيها عناء | يزيل السكر من كأس الرحيق |

والأبيات تثير لدى المتذوق ابتسامة ساخرة عندما يتصور الهيئة ويستحضر النغمة الصوتية ولعل المنشئ يتهكم من المطربات والمطربين الذين عاصرهم كما أنه يسخر من تصنعهم الانفعال العاطفى الذى يثير فى نفس السامع النفور ويغرس فى نفسه الأحزان التى تجعله يبغض نفسه ولحظة

---

(١) الديوان ص٧٧ ، ٧٨ .

وجوده فى الحياة ويذكرنى هذا الوصف بصور ابن الرومى الشاعر العباسى فى وصف أهل غناء عصره مثل وصفه لشاغل وشنظف وكنيزة من النساء وجحظة وابن سعيد وسليمان الطنبورى من الرجال(١) وقد اعتمد وصفه على التشكيل التعبيرى الجيد الذى ينقل للمتلقى طبيعة الصوت ودرجته وأثره على السامعين ففى وصفه لابن سعيد المغنى (٢) قال :

وتغنـــى كأنك صــــوتك مـــن أنــ    فك صوت الزنبور فى جوف كوز

واللوحة الفنية تبرز بجلاء صوت المغنى الذي يشبه صوت الذباب حين يتكاثف فى إناء مفرغ فيتعالى طنينه ويرتفع مع إحداث ذبذبات متتالية سريعة مطموسة النغمات شاذة الأصوات وقد استطاع تقبيح المغنى عندما جعل صوته يخرج من أنفه وهى درجة صوتية يطلق عليها لفظ الخنن والخنة وهو صوت فوق الغنة(٣) وأقبح منها .

كما وصف كنيزة بصورة ساخرة ناطقة حية فقال :

---

(١) هو على بن العباس بن جريج المعروف بابن الرومى شاعر كبير من شعراء العصر العباسى يعد من طبقة بشار والمتنبى وهو رومى الأصل كان جده من موالى بنى العباس ولد ونشأ ببغداد مات فيها مسموماً داس له السم القاسم بين عبيد الله وزير المعتضد له ديوان شعر جمعه كامل كيلانى وله ديوان شعر آخر جمعه وحققه أ.د حسين نصار نشر الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧م .

الأعلام - الزركلى - جـ٤ ص٢٩٧ طبعة بيروت راجع ديوان ابن الرومى تحقيق د. حسين نصار جـ٦ ، جـ٥، جـ٣ .

(٢) ديوان ابن الرومى تحقيق د. حسين نصار طبعة ١٩٧٦ جـ ٣ ص ١١٥٩ .

الزبنور : ضرب من الذباب لساع - مادة / ذبنر / لسان العرب .

(٣) مادة : / خنن / لسان العرب .

| | |
|---|---|
| صـــوتها بالقلـوب غير رفيق | بـل له بالقلـوب عنف وبطش[١] |
| وتغنـــى فتـورث السمع وقرا | فعليهـا لمــن تغنيــه أرشــــى[٢] |
| تدعـى غنة الشـباب ويأبـى | ذاك صـــوت لها جرش أجش[٣] |
| فـإذا رققتـه بالجهـد منهــــا | خلت فـى حلقهـا شعير يجش |
| تتناغـــى وعودهــــا بنهيــق | كنهيــق الحمـار ناغاه جحش |

ووصف ابن الرومى لصوت كنيزة يوحى بغلظة صوتها وقسوته وعنفه وقد عكست صياغته ( بطـش ) هـذه الأثـار الوخيمـة التـى تجعـل القلـوب فـى تهالك يصل إلى الغناء ويبن ابن الرومى أن صوتها حاد النـبرة مرتفـع النغمـة يصيب من يسمعه بالصمم ولهذا يقترح ابن الرومى فى سخرية لطيفة تعويض السامع عما أصابة من عاهة مستديمة وجميل تعبيره ( فتورث) الذى يدل على استمرار إصابة من يسمعها بل ومن يتحدث عن صوتها لغيره ويمعن المنشـئ فى تقبيح درجة صوتها فيبن أنها تحاول جاهدة تحسينه وتخفيف حدته وترقيـق نبرته ولكن هيهات حيث يخرج صوتها أقبـح خشـونة وأشـد غلظـة وقـد حـدد المفتن درجة الصوت بعد محاولة تحسينه بالصورة التعبيرية ( خلت فى حلقها شعير يجشى ) فنقل للأسماع بدقة وجلاء طبيعة الصوت وما فيه مـن اهـتزاز وخشخشة منفرة وأبدع شاعرنا حينما جمع بيـن الشـعير وبيـن صـوت عودهـا وصوتها الذى يدل على النهيق والمتخيل للصورة الأدبية يجد أن ابن الرومـى استطاع فى هذه اللوحة الفنية ابراز أثر الصوت وطبيعته كما استطاع بمهـارة

---

(١) ديوان ابن الرومى – تحقيق د. حسين نصار – جـ٣ ص ٢٤٤ الأبيات من ٢٠ : ٢٤

(٢) الإرش : الدية مادة / أرش / لسان العرب .

(٣) الجرش : حك الشئ الخشن بمثله فيحدث صوتاً مادة جرش لسان العرب .

فنية تصوير هيئة شكلية سمعية حينما صورها وهـى تنطلق فـى الغنـاء بهيئـة الحمـار الـذى يستمر نهيقـه مـع نغمـات عودهـا التـى تمثـل صـوت الجحـش والمتأمل لوصف أحمد الزين ووصف ابن الرومى فى أهل الغناء يجد تفوق ابن الرومى وتميزه التعبيرى وقدرته البيانية مع مهارته التصويرية التى تبرز درجـة الصـوت مـع طبيعـة الحركـة وكـأن لوحتـه ماثلـة أمـام المتخيـل الـذى يستحضر مكونات الصورة بيسر وسهولة ومن الجدير بالذكر أن ابن الرومـى من أشهر شعراء التصوير الساخر(1) .

وثمرة المطاف يضم وصف احمد الزين القصائد الآتية :

١ – المسرة . ٢ – طاقة الزهر .

٣ – العود . ٤ – وصف القلب .

٥ – الساعة . ٦ – فى وصف مغن يسيىء إلى فن الغناء .

٧ – فى مغن سيىء الصوت سقيم .

ووصفه نغمة رقيقة فى أنشودة شعره العطرة تغنى فيه بمشاعره الذاتيـة وترنـم بدقـات قلبـه وذاب مـع حنيـن وجدانـه حتـى تفجـرت ينـابيع أشـجانه وصرخت بالغروب الذى يعلن النهاية إلا أن رغبـة الشـاعر فـى ميـلاد المنـى جعلته يخفف عن نفسه بالوصف الساخر ليضحك ضحك الاستسلام الذى يحفه الأمل فى شروق بسمة الرضا بالحياة والتى تجلت فى ( الإخوانيـات ) وتضـم روضة هذا الغرض القصائد الآتية:

---

(١) الوصف بين ابن الرومى وابن المعتز – رسالة دكتوراه – إعداد د. نادية أحمد مسعد– كلية الدراسات الإسلامية والعربية جامعة الأزهر – إشراف أ .د. مصطفى محمود يونس ١٩٨٥ .

- إلى الأستاذ أحمد أمين . - هدية .
- دائرة معارف القرن العشرين . - تحية الشعر . .
- إلى الأستاذين أحمد أمين وزكى نجيب محمود .
- إلى الأستاذ عبد العزيز البشرى .
- تهنئة إلى الأستاذ توفيق الحكيم .
- تحية إلى الدكتور طه حسين .
- تحية الشعر إلى الأستاذ عبد الحميد العبادى .
- تحية كتاب .
- تحية الشعر إلى الدكتور محمد صبرى .
- أبيات بعث بها إلىالأستاذ أنطون الجميل عند منحه لقباً جامعياً خطيراً.
- إلى الأستاذ أنطون الجميل بمناسبة وسام أنعم عليه من الحكومة اللبنانية .
- شوقى وشاعريته - من الأستاذ الزين إلى الأستاذ أنطون الجميل.
- النتائج السياسية للحرب العظمى .

٦ - ديوان طاهر أبو فاشا .

- تحية الأستاذ كامل كيلانى بمناسبة صور جديدة من الأدب العربى .

٧ - إلى أنطون الجميل بمناسبة تعينه بمجلس الشيوخ .

٨ - الملك الضليل للأستاذ محمد فريد إبى حديد .

- تحية الشعر إلى الأستاذ عبد الرحمن الرافعى .

- إلى أنطون الجميل .

وتعبر إخوانيات أحمد الزين عن ترجمة صادقة عن طبيعة علاقته بزملاء وأصدقاء وأصحاب عمره وتكشف عن درجة إيمانه بخلق الوفاء وضرورة الترابط الاجتماعى الذى يفجر ينابيع الود والرحمة ويولد روضة تثمر العواطف النبيلة التىترقى بها سلوكيات الأمة ومن إخوانياته الرقيقة التى كتبها مقطوعته فى الأستاذ أحمد أمين عندما أهدى له كتابه ( فيض الخاطر) الذى أثار أعجاب شاعرنا فبعث بهذه الأبيات التى تجسد شدة تقديره(١) :

| | |
|---|---|
| قد سحرت النهى بسحر مبين | فاتق ا لله يا يراع أمين(٢) |
| وسلبت القراء أفضل ما أو | دعه الله فى سليل الطين |

---

(١) الديوان ص٨٢ .

(٢) هو أحمد أمين ابن الشيخ الطباخ عالم بالأدب غزير الإطلاع على التاريخ ومن كبار الكتاب اشتهر باسمه أحمد أمين مولده ووفاته بالقاهرة قرأ مدة قصيرة فى الأزهر وتخرج بمدرسة القضاء الشرعى ودرس بها إلى سنة ١٩٨٢م ثم عين مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية كان من أعضاء المجمع العلمى العراقى ببغداد وهو من أكثر كتاب مصر تصنيفاً وإفاضة ومن أعماله إشرافه على لجنة التأليف والنشر مدة ثلاثين سنة ومن تأليفه ( فجر الإسلام ) و ( ضحى الإسلام ) و ( ظهر الإسلام ) و ( يوم الإسلام ) .

و( النقد الأدبى ) و ( زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ) و ( إلى ولدى ) توفى عام ١٩٥٤م .

الأعلام - الزركلى ص١٠١ جـ١ بيروت .

وعجيب لسارق حده الشـــر عى فيناً تقبيـــل تلك اليميـــن

جنة فىيراعك الخضب تؤتى أكلها طيب الجنـــى كل حيـن

قـــلم لـم يقده فى الطرس إلا دفـــع شك أو اجتـــلاب يقين

وتتجلى فـى الأبيـات روح المداعبـة اللطيفـة التـى سـاقها الشـاعر عـبر صورة أدبية واضحة بين فيها ما يتمتع به أسلوب أحمد أمين من جمـال بيـانى وسحر تعبيرى ووعى فكرى وخصوبة خيالية ومن أخوانياته التى تترجم نبـل الخلق وسمو المشاعر ما كتبه إلى الأستاذ محمد فريد وجدى(١) أستاذ النهضـة العلمية فى مصر .

---

(١) محمد فريد مصطفى وجدى مؤلف ( دائرة المعارف ) من الفضلاء الباحثين ولد ونشأ بالأسكندرية وأقام زمناً فى دمياط وكان أبوه وكيل محافظ فيها وانتقل معه إلى السويس فأصدر بها مجلة الحياة ونشر رسالة سماها ( الفلسفة الحقـة فـى بدائـع الأكـوان ) سـنة ١٨٩٩م وكتـاب (تطبيـق الديانـة الإسـلامية علـى نواميـس المدنيـــة) كتبـه أولاً باللغـة الفرنسية وترجمه إلى العربية بهذا الاسم وسماه فى طبعة أخرى ( المدنيـة والإسـلام ) سكن القاهرة فعمل فى وظيفة صغيرة بديوان الأوقاف أنشأ بعدهـا مطبعـة أصـدر بهـا جريدة (الدستور) اليومية مدة ثم ( الوجديات ) وهـى مجلة شـبه أسـبوعية ونشـر كتابـه (دائرة الوجديات) وهى مجلة شبه أسـبوعية ونشـر كتابـه ( دائـرة المعـارف ) وعكـف على المطالعـــة والتأليف فنشـــر من كتبـــه ( ما وراء المـــادة ) و ( صفـوة العرفـان ) و (المرأة المسلمة) وفى الرد على (المرأة الجديدة ) لقاسم أمين و ( كنز العلـوم واللغة) و ( نقد كتاب الشعر الجاهلى لطه حسين ) وتولى تحرير مجلة الأزهـر وكـان مترفعـاً عن غشيان المجالس العامة كلمـا يـرى فـى حفـل أو مجتمـع يـأنس زواره فـى بيتـه أن يجيب دعوة توفى بالقاهرة سنة ١٩٥٤م .

الأعلام - الزركلى - ص ٣٢٩ - جـ٦ بيروت .

بـــدر يـديـر مـن الكؤوس كواكباً ... تعنو لها شهب الدجى وكواكبه(١)

فـــى لحظة حـور وبين شتيتـــه ... خصــر مقبله فيـــروى شـــاربه

لاحظتــه فإحمـــر زاهر خـــده ... خجلا وأطـــرق والفـــؤاد يعاتبه

نفح العبير يضوع مـــن أعطافه ... يزرى بـــروض باكرته سحائبه

ما أن شـــربت ولا شهـدت وإنه ... شعـــر تأنق فـــى النخيـــل كاتبه

عجبـــا ألشربهـــا وذاك محـــمد ... راح النهـــى آرواه ومذاهبـــه

أفريد أوضحت الطـــريق لأمة ... تعشو بليل مـــا تـــريم غياهبـــه

--------------------

أهـــلا ( بدائرة المعـــارف ) إنها ... ثمـــر النهى تجنى لمصر أطايبه

عـــلم كما فـاض النمير ومنطق ... فصـــل إذا ما البطـــل أوهم كاذبه

حجج قواطـــع لورميت ببعضها ... جبلاً مـــن الشبهـــات هدّم غاربه

ومباحث فاضت بمايشفى الصدى ... فكـــأنها بحـــر تجيش غواربـــه

تغنى أحمد الزين بعلم النهضة العلمية فى مصر ( محمد فريد وجـدى ) فوصـف مـا يتمتع بـه هذا العـالم مـن صفـات شكلية بديعـة توحـى بالنجابـــة والشرف وحسن المنزلة ورفعة الشأن وطيب الأصل ويصـور أحمد الزيـن وجـه ( محمد فريد وجدى ) بصـورة البدر المنير المكتمل والمراد شمول معارفه وعمق مداركه ووضوحها مما يجعلها تنير ظلمات الفكر والبديع فى الصورة تشبيه محمد فريد وجدى بالبدر وعلومه الناضجة التى تنثر اللؤلؤ فى العقول وتنشر الأنوار فى القلوب بالكواكب فهو بدر وعلومه كواكب منيرة .

---

(١) الديوان ص٨٣ .

ويتغنى شاعرنا أيضاً بما يتمتع به ( محمد فريد وجدى ) من هيبة المنظر وجلال الهيئة وطيب الجلسة التى يفوح عطرها بعبير الشرف وعطر المكانة والمنشئ بهذا يفصح عن اكتمال الصور المعنوية والشكلية والفكرية لمحمد فريد وجدى .

ويصف المنشئ عظم النتاج العلمى الذى قدمه ( وجدى ) بأنه ثمرة ناضجة لمصر الغالية ففيه المعارف والحجج والبراهين والأدلة الشافية وقد صور هذه المعارف بالبحر الذى يجيش بالأمواج التى تنثر حبات اللؤلؤ على شاطىء ناهل العلم فيشبع حسنه العين ويغذى بالوجدان ويرقى بالفكر وقد أجاد شاعرنا فى صورته :

بشت بك الدنيا لمصر بعدما      أروته بالدمع الهتون نوادبه

يوحى البيت بدلالته المعنوية ما كانت تتجرعه مصر من آلام مبرحة أنزلها عليها المحتل الدخيل وقد خفف نبوغ محمد فريد وجدى عن مصرنا النحيب فكان بسمة أشرقت بها الدنيا فى وجه مصر وغرست به بذور الأمل لصحوة اجتماعية فكرية سياسية وجدانية بعدما جفت دموع مصرنا وأصبحت صامته البكاء والبيت دعوة لليقظة وحث على النهضة وقد أكد هذا المعنى قوله :

ولــو أن للأيام نــور ذكائه      كان الظلام ضحا تضىء جوانبه

ولــو أن أمتــه جزته بفضله      ملأت نواحى أرض مصر مواكبه

والصورة السابقة ترمز إلى ما كانت عليه مصر من ظلام داكن ينشر وحشته فى النفوس وغربته فى العقول وأثر فكر محمد فريد وجدى فى نشر أجنحة النور وهتك ستار الظلام ويحث أحمد الزين مصرنا على

تقدير نبوغ العلمـاء الذين يقدمون لها أرواحهم بصـدق الـولاء وشـرف الانتماء حتى يفيض نهر العطاء العلمى وجميل منه تجسيد درجة عطاء محمد فريد وجدى :

ولـو أن أمتـه جزته بفضـله ملأت نواحى أرض مصر مواكبه

هذا العطاء الذى لو قدر لتحركت من أجله مواكب الوفاء تحية وتقديراً.

والقصيدة جذابـة المطلـع قويـة الصياغـة نبيلـة الهـدف وبهـذا تعكـس أخوانيات أحمد الزين رقة خلق ونبل السلوك كما تدل على مـا كـان يتمتـع بـه أحمد الزين من وطنيـة عاليـة أصيلـة تهفـو إلـى تحريـر مصـر ورفـع رايتهـا ووطنيته تبرز الطراز المتميز الذى استقى نوره من الأزهـر الشـريف وأحمـد الزين بهذا مصرى وطنى يتمتع بالفكر الإسلامى الرفيع .

كما أن إخوانياته تعلن عن تهنئـة رقيقـة وتحيـة رشيقة وإعجـاب جليـل ومشاعر فياضة طاهرة نقية وثناء جميل على نتاج يضيف فكرة جديدة لـلأدب العربى ترقى به وتسمو بموضوعاته .

لقد عشق أحمد الزين الشاعر المصرى الوطنى الأزهرى مصر الحبيبة فتغنى لها بالولاء والانتماء والوفاء عبر ترنمه بالمجتمع والإخوانيـات وتجلـى هذا بوضوح فـى الرثـاء الـذى يعد مـن أعمـق أغراضـه عاطفـة فـالمتذوق الكريم لقصـائد الرثـاء يشـعر بصـدق العاطفـة ، ومـرارة الحرمـان الـوجدانى فعندمـا يعـزى ينظـم كلمـات تكشـف عـن نظرتـه للحيـاة وتعكـس طبيعتـه الودودة المحبة للخير التى تشـارك الأصحـاب مشـاعرهم الإنسـانية تبكـى مـع أحزانهم وتنعى آلامهم لأنها آلامه . إن أحمد الزيـن ينظـر لصـاحب المصـاب وكأنه ينعى نفسه ويواسى مشاعره ولعـل المتـذوق يقـف علـى ذوبـان المنشـئ

النفسى فى الرثاء خاصة ففى مريثة لإسماعيل صبرى جسد أحزانه وترجم حسرته فقال(١) :

| | |
|---|---|
| كيف العزاء ولست أبصر بهجة | فى الدهر إلا ودعت مذ ودعا(٢) |
| وبشاشة الدنيا حوتها حفرة | فى الأرض قد خطت لصبرى مضجعاً |
| دفنوا شمائل كالسلافة رقة | والماء ريا والرياض تضوعاً |
| شيم هى الإيناس يجلو وحشة | أو نعمة الدنيا تصادف مدقعاً |
| خلق هو الجنات لو يجزى به | ذو طاعة لم تلف إلا طيعا |
| عف اللسان عن الجليس إذا نأى | يرضيك حاضره وغائبه معاً |
| وإذا توسط فى الندى رأيته | يرضى الشمائل سامعاً أو مسمعاً |
| يسبى قلوب الزائرين ببشره | أكرم به مستقبلاً ومشيعاً |
| هش لزائره أأكثر أم ونى | لم يلقه سئما ولا متمنعاً |
| - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - | - - - - - - - - - - - - - - - - - - - - |
| خلق طواه الموت عنا غدوة | فطوى على الحسرات منا أضلعاً |
| أمجمع الأخلاق رزؤك لم يدع | حزناً من الأحزان إلا جمعا |

والأبيات تجسد هول التفجع ومرارة الفراق فقد تركه رفيق العمر يعانى وحشة الوحدة وغربة الحرمان .

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) الديوان ص١١٢ .

وقد أعجبنى المنشىء فى تعبيره ( لست أبصر بهجة ) وهو يرمى إلى الإحساس بالسعادة والرقى الوجدانى واستقبال البصيرة لمنابع النشوة أعمق من استقبال البصر فقد يرى الإنسان جمالاً ولا يحرك فيه سحر الإعجاب والفتنة وقد يهيم بخياله فى دنيا الجمال الوجدانى ويعلن شاعرنا أن هذه الدنيا الحالمة ودعت بوداع إسماعيل صبرى .

ويبكى شاعرنا ما كان يتمتع به صديقه من صفات رقيقة فقدت بفقده مثل البشاشة التى تسعد القلوب ونبل الشمائل التى تشبه رقة السلافة وحسن السلوك الذى يفوق الماء عذوبة كما ينعى ما كان لصديقه من شيمة الألفة والإنس وعفة المنطق وسلامة الفطرة الإنسانية ولهذا اختطفه الموت ليغرس فى ضلوع أحبته مرارة الفراق وحسرة الوداع ولعل أحمد الزين يشير إلى ضن الدنيا على مصر بلمسة حنان أو شعاع أمل او نبضة ولاء وكأنه يوحى للمتلقى بما ساد فى المجتمع من ظلم وظلام أصبح حقيقة يتنفسها المصريون مما دفعه لصرخة مكتومة يعلن من بين أصواتها الحرمان من النسمة الطيبة وكأنه يحث المصريين على استرداد منزلتهم ومكانتهم وشرفهم ورفع رايتهم مما يدفع الدنيا إلى تقديس مكانتهم بل وإقبالها عليهم بالخير المعنوى والمادى ويتنهد المنشئ فيتذكر سلاسة شعر إسماعيل صبرى :

| | |
|---|---|
| شعر لو أن الدهر أقفر حسنه | نشرت صحائفه فكانت مربعاً |
| ملك النفوس بسحره فتخاله | نغماً على نبض القلوب موقعاً |
| هو سلوة العانى ونعمة بائس | وبشير مغترب يحاول مرجعاً |
| الطبع والأخلاق ينبوع له | والشعر يصفو حين يصفو منبعاً |

يصف أحمد الزين فى نغمة باكية ما كان يتمتع به إسماعيل صبرى من شاعرية جياشة وطلاقة فنية فشعره لحن يشدو به الزمان ساحر الأنغام تنبض

به القلوب لتمتعه بالصدق فقد كان إسماعيل صبرى يتغنـى بمشـاعر الإنسـانية ويذوب فيها ويسكب قلبه فى قلبها فيشعر بحزنها ويترنم بسعادتها .

وقد أجاد المنشئ حينما وصف إسماعيل صبرى بأنه سلوة للعانى ونعمة للبائس وبشير للمغترب وكأن شاعرنا يبين أن الفقيد منبع النزعات الوجدانية ورافدها وقد أمعن فى وصفه بالإنسانية حين قال :

طب النفـوس يعيـد فى ميت المنى      روحاً ويبعث فى القنـوط المطمعـا

فالصورة الأدبية ( طب النفوس ) توحى بذروة السمو الأخلاقى وأحمد الزين يعتمد فى رثـاء الفقيد علـى تجسيد صفاتـه المعنويـة العاليـة بمصداقيـة ورقة إبداعية تنطق بما لأحمد الزين من طلاقة فنية وقدرة تصويريـة تغوص فى أعماق المعانى فتجسدها وتشخصها بمهارة أسلوبية :

وعندما ينظر الباحث الكريم فى رثاء أحمد الزين يجد أنه تناول شعراء وكتاب عصره الذين مثلوا بسمة الأمانى ونشوة الأمل للمصريين ويضم هذا الغرض القصائد الآتية :

١ – أبيات يعزى بها والداً عن ولده.
٢ – فقيد الصحافة داود بركات.
٣ – رثاء إسماعيل صبرى .
٤ – وقفة على قبر الشاعر الكبير المرحوم الأستاذ محمد الهراوى .
٥ – فى ذكرى الأربعين لجبريل نقلا .
٦ – ذكرة حافظ إبراهيم ( ١٥ مارس سنة ١٩٣٧م ) .
٧ – قصيدة فى الرثاء .
٨ – من قصيدة فىالرثاء أيضاً.
٩ – رثاء عبد المطلب .
١٠ – رثاء فقيد الشرق تيمور باشا.
١١ – فى ذكرة تيمور باشا .

ورثاء أحمد الزين فياض بالمشاعر الإسلامية والوطنية وقد برز ذلك في نغماته الباكية التي انهمرت على حافظ إبراهيم(١) :

وفى لمصر لم يدنس فريضـــــة ... بحمـــــد خنون أو بإطراء كاذب(٢)

وفى وفاء الرسل بين معاشــــر ... نَصيب الحمى منهم وفاء الثعالب

-------------------- ... --------------------

متى تخلص الأقلام للنيل وحـــده ... فمن شاعر عالى الشعور وكاتب

إذا الشـــعب بالنواب عز مكانه ... فشـــعرك إن تنصـــفه أبلغ نائب

-------------------- ... --------------------

لقد فقــدت مصـــر بفقدان حافظ ... لســاناً كوقع المرهفات القواضب

فسل عنه فى الموتى كرومر إنه ... ســـقاه بكأس الشعر سم العقارب

ألم يرمه فى دانشـــــوى بضربة ... سرىوقعها فى شرقها والمغارب

يشـ[illegible] الكريم من معانى الأبيات السابقة ما لحافظ إبراهيم من منزلة وطنية ومكانة سياسية فقد كان يعشق مصر ويحب أرضها ويتغنى

---

(١) حافظ إبراهيم : محمد حافظ إبراهيم فهمى الشهير بحافظ إبراهيم شاعر مصر القومى ومدون أحداثها توفى أبوه وهو يخطو على عتبة السنة الرابعة من عمره فانتقلت به أمه إلى القاهرة حيث كفله خاله – اشتغل حافظ بالمحاماه ثم التحق بالمدرسة الحربية وتخرج ١٨٩١ وسافر مع حملة السودان وألف مع بعض الضابط المصريين جمعية سرية وطنية اكتشفها الإنجليز فحاكموا أعضاءها منهم حافظ إبراهيم فأحيل إلى الاستداع توفى عام ١٩٣٢م الأعلام الزركلى – جـ٦ ص٧٦ طبعة بيروت .

(٢) الديوان ص١٢١ .

بترابها ويغرد بما لنيلها من انسياب يحرك العواطف ويداعب الوجدان ويبين أحمد الزين أن شاعر النيل مصرى أصيل ثار لمصريته وعشق وطنه الحبيب فانطلق يدافع عنه بشجاعة وإقدام وإخلاص وعندما يتأمل المتذوق عبارة ( لم يدنس ) يقف على درجة وطنية حافظ إبراهيم فلم يسلك أسلوب الرياء والنفاق ليصل إلى منصب مرموق كما أن العبارة تبين ما يتمتع به حافظ إبراهيم من رقى أخلاقى وأصالة مصرية ويصور المنشئ وفاء حافظ بوفاء الرسل ليوحى للمتلقى تضحيته من أجل مصر وشرفها ومنزلتها وعزتها ويرمز للأخلاقيات التى سادت بين أصحاب المصالح الذين يعشقون المناصب والشهرة على حساب الشعب المصرى ويصرخ شاعرنا صرخة رجاء تجلت فى نداء وطنى واجتماعى وسياسى :

متى تخلص الأقلام للنيل وحده      فمن شاعر عالى الشعور وكاتب

وفى البيت تعريض بم يكتب ويهتف وهدفه مصلحة ذاتية ويتغنى بما كان لحافظ من عشق للنيل ومن حس مرهف ووطنية صادقة يسمو حافظ بها ويشدو بأنغامها ويبكى أحمد الزين بكاء الحسرة والمرارة لغروب أمل مصر الذى جعلها تتنفس سحر الكرامة ويتنهد أحمد الزين تنهد الألم فقد كان حافظ إبراهيم لسان الشعب ا لمصرى وصوت إنسانيته وقلبه النابض وسيفاً على رقاب الأعداء فقد تجرع منه اللورد كرومر سياط الثورة وأمواج الغضب النفسى والاجتماعى التى عبرت عن بغض الشعب المصرى .

وجميل من شاعرنا التعبير ( سقاه بكأس الشعر سم العقارب ) فقد صور أن الشعر كأس تجرع منه اللورد السم الذى يمزق فكرة ويقطع وجدانه ثم يقذفه بين أمواج متلاطمة ويعلن أحمد الزين مالحافظ إبراهيم من مهارة شعرية وقوة تعبيرية وجلال وطنى وأصالة مصرية جعلت شعره يسرى فى وجدان الدنيا ويعلن أن لمصر صوتاً عالياً شامخاً والتعبير ( سرى وقعها فى

شرقها والمغارب ) حيث بينت لفظة ( سرى ) درجة انتشار أنغام حافظ وأثرها على المتلقى .

ومن العرض السابق الذى تغنى فيه أحمد الزين بالشعر الاجتماعى والنسيب والوصف والإخوانيات والرثاء يستشف المتذوق أن المنبع الذى استقى منه الشاعر فكرة ومعانيه واستمد منه تأمله وخياله مصريته ووطنيته والأزهر الشريف وقد تشابكت هذه العناصر فى تكوينه فقد غزته مصر بمشاعرها الحانية فوهبته المعانى النبيلة والأفكار السامية واحتضنته داخل قلبها فعشقها وترنم بحبها فتفجرت فى وجدانه ينابيع الوطنية العذبة التى ذاق سحر جمالها بين رياض أزهرنا الشريف وهذه العناصر الرفيعة جعلت شعر شاعرنا يتميز بالسمة الأخلاقية ففى الاجتماعيات ينادى بصحوة الضمير والتمسك بالعادات التقاليد والعالية وتجنب النفاق والرياء والخداع والكذب وكذلك فى النسيب يجد فيه المتلقى علامات العفة والطهر والنقاء والدعوة إلى الإخلاص فى المشاعر الإنسانية والتزين ينبل الخلق وإن كان فى نسيبه لمحة حزن وأنين فراق فالنسيب أنشودة باكية يشوبها عزة الكبرياء ونقاء الخلق وقد أعلنت إخوانياته عن دعوته للفضيلة من خلال النداء الذى يوثق العلاقات الإنسانية القائمة على عطر الوفاء وجمال الثناء وصفاء المشاعر ويتجسد فى الرثاء عمق صدقه العاطفى ورقته الشعورية وعمق وطنيته ومصريته مع اتزان شجاعته ووعى فكرة وبعد نظره والباحث فى ديوان أحمد الزين يجد أن شاعرنا لم ينظم فى المدح والهجاء والفخر - بصورة تقليدية معهودة وإنما نظم فى هذه الأغراض بما يتفق مع رؤيته الخاصة بالحياة ومشاعره الذاتية وطبيعة تكوينه الاجتماعى والثقافى فقد مدح الوفاء وطلب العلا والتضحية والإيثار والشجاعة والكرم ومدح الأخلاقيات الرفيعة والمتذوق لديوانه يجد

نبرة الهجاء والسخرية من النفاق والرياء والغش والكذب والأنانية والحقد والحسد والكسل والتحجر والجمود أما الفخر الذاتى والاجتماعى فلا ملامح لهما فىالديوان الذى يفوح بالأخلاقيات فى الاجتماعيات والإخوانيات والنسيب والوصف والرثاء والتى تجمعت أنوارها وأشرقت بالأضواء الساطعة فى نظم الأراجيز التى تضمنت ما يلى :

١ – أرجوزة فى الأخلاق .
٢ – الوفاء .
٣ – فى الاستكثار من الأخوان والإقلال منهم .
٤ – فى الكلام والصمت .
٥ – أدب المعلم .
٦ – آداب المتعلم والحث على طلب العلم .
٧ – النهى عن إدعاء العلم والتيه به .
٨ – آداب المجالس .
٩ – آداب الأصدقاء .
١٠ – آداب عامة للأصدقاء .
١١ – آداب الإخوان .
١٢ – نصيحة .
١٣ – من يعاتب من الإخوان ومن لا يعاتب .
١٤ – صحبة الكتاب .
١٥ – آداب الأكل .
١٦ – آداب الضيافة .
١٧ – آداب متفرقة .
١٨ – فى معاملة الناس والسير معهم والإحسان إليهم .

والقصائد السابقة هى لب موضوع البحث والتى ترنم فيها الشاعر بالقيم الأخلاقية الرفيعة وتغنى بالفضائل النبيلة والسلوكيات العالية وسوف يتعرض البحث فى فصل مستقل لهذه الروضة التى عبق سحرها أغراض الديوان .

ومن عرض معانى أغراض ديوان الشاعر يتبين للمتذوق أنها تتغنى بالأخلاقيات الفاضلة والمثل العالية والسلوكيات النبيلة والمعانى السامية عبر طاقة وردية تفوح بسحر القيم وقد تجمع عطرها لينشر أثيره عبر الأراجيز التى تعد الروح الحية والقلب المتدفق لأغراض الديوان فمن يتذوق الأراجيز يرتشف من رحيقها طبيعة المعانى التى يترنم بها الديوان وبهذا فالأغراض التى يتغنى بها الديوان جسد روحه الأراجيز إنها نسمة رقيقة تولدت لتخفف من عنفوان نيران الغضب التى تجلت فى أغراض الديوان .

# الفصل الثانى

## القيم الأخلاقية فى أراجيز

## أحمـــد الزيـــن

## القيم الأخلاقية فى أراجيز أحمد الزين

غرد أحمد الزين بالقيم الأخلاقية الرفيعة التى ازدهرت ثمارها وعبق رحيقها فى مجموعة أراجيزه(١) التى شغلت الجزء الأخير من الديوان وقد شاعت الأراجيز فى الفتوحات والمعارك الإسلامية الأولى وكانت تتغنى بالثناء على الله ورثاء الشهداء ومدح الأفذاذ من المجاهدين ومن الواضح أن الأراجيز وهى تكاد تكون لأزمة من لوزام العربى فى الجاهلية والإسلام فخرًا ببطولة وآية إقدام أو ترويعاً لخصم ومقاتل أو تثبيتاً لردئه ومظاهره إلى ما تمثله بوزنها الخاص من دفقات شعورية قوية صادقة .

وقد شاعت الأراجيز فى العصر الأموى شيوعاً كثيراً حتى كان رؤبة العجاج(٢) ينظم بها لجمع غرائب اللغة ويقال أنه أول من أطال الرجز وقصده وشبب فيه ووصف الرحلة إلىالممدوح ويقف الباحث فى العصر الأموى

---

(١) الرجز بحر من بحور الشعر ونوع من أنواعه يكون كل مصراع منه مفرداً وتسمى قصائده أراجيز واحدتها أرجوزه وهىكهئية السجع إلا أنه فى وزن الشعر ويسمى قائله راجزاً . مادة - رجز - لسان المعرب .

وأجزاء بحرالرجز ( مستفعلن ) ست مرات ثلاث فى الشطر الأول وثلاث فى الشطر الثانى.

أوزان الشعر العربىوقوافيه د. محمود علىالسمان دار المعارف ص٥٠طبعة ١٩٨٤م.

(٢) رؤبة بن العجاج : هو رؤبة عبد الله العجاج بن رؤبة التميمى السعدى أبو الجحاف راجز من المشهورين من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية كان أكثر مقامة فى البصرة وأخذ عنه أعيان اللغة وكان يجنحون بشعره ويقولون بإمامته فى اللغة مات فى البادية وقد أسن وله ديوان رجز توفى عام ٧٦٢ م .

الإعلام جـ٣ ص٣٤ - طبيعة بيروت .

بازاء متون لغوية تؤلف بازاء أشعار تصاغ ويعبر بها أصحابها عن حاجاتهم الوجدانية أو العقلية فقد تطور الشعر العربى وأصبحت الأرجوزة منه بخاصة تؤلف من أجل حاجة المدرسة اللغوية وماتريده من شواهد وأمثال والأرجوزة الأموية من هذه الناحية تعد أول شعر تعليمى ظهر فى اللغة العربية ثم تطورت الأرجوزة من الجانب التعليمى اللغوى فى العصر الأموى إلى نظم لكليلة ودمنة فى العصر العباسى كما استعملت الأراجيز فى وصف الطرد والصيد ثم تفنن الشعر فى الرجز فتعددت ألوانه وضروبه ونظموا من الأراجيز الطوال - وهى ما زادت على عشرة أبيات(١) والمتذوق الكريم لأراجيز أحمد الزين يجد بها أنغام العلا والمجد والرفعة والشرف كما يلمس فيها ملامح الشعر التعليمى الأخلاقى الذى يرمى إلى ترقية السلوك الإنسانى الذى يغرس فى الفكر والوجدان النبل والعزة والكرامة وهو هدف أحمد الزين من النظم فى القيم الأخلاقية وقد أدرك أحمد الزين بحسه الفنى أن نغمات بحر الرجز تعكس بصدق وجلاء رحيق معانيه كما أن رقة أصواته وما فيها من فيض شعورى وتلاحم عاطفى تعمل على إثارة مشاعر المتلقى .

ومن الجدير بالذكر أن القيم الأخلاقية تناثرت فى ديوان أحمد الزين وكان معينها الأراجيز التى اكتمل فيها بدر الأخلاقيات ولعل المتذوق يدرك بذور هذه القيم بجلاء فى بعض قصائد المنشىء الاجتماعية التى تغنى فيها بالسمو الوجدانى والسمو العقلى مثل قصائده :

١ - خدعة الثناء وفتنة الأدعياء .　　٢ - الرأى .

٣ - الضمير .　　٤ - الملق .

---

(١) تاريخ الأدب فى العصر الأموى - المكتبة الأزهر ط ١٩٧٨م ، البناء الفنى للقصيدة العربية الطبعة الأولى أ.د. عبد المنعم خفاجى .

وخدعة الثناء وفتنة الأدعياء قصيدة اجتماعية أخلاقية صورت بصدق اغتيال القيم السامية مما أدى إلى الاضطراب السلوكى والأخلاقى وضياع المعنويات الرفيعة وسط أمواج طاغية من الضلال المزخرف والانحراف المزين الذى يهدف إلى تدمير الوطن الإسلامى المصرى عن طريق طمس معالمه الاجتماعية والروحية وقد استطاع شاعرنا المرهف التعبير الجيد عن أفكاره وخواطره باقتدار فنى تمثل فى السمو والرقى البيانى والتمكن اللغوى والقصيدة تناقش قضايا حية تمس البناء الاجتماعى والوجدانى من خلال الأفكار الواقعية التى تولدت من تجارب اجتماعية صادقة عاشها الشاعر فى مجتمعة المصرى :

| | |
|---|---|
| كاد يهوى بها إلى القاع فوضى | من دعاوى الجهالة المأفونة(١) |
| نجهارب إننا قد جعلنا | كل فن فى غير من يحسنونه |
| كل من صاح بالنبوة فينا | قام أوس وخزرج ينصرونه |

فى الأبيات نحيب من شاعرنا على ما حل بالمجتمع المصرى من بلاء تولد نتيجة لتبدد القيم فى النفوس وضياعها وسط ظلمات الفساد والجهل وسيطرة فئة من الأدعياء على الأمور وهذه الفئة الفاسدة تتسم بالأنانية وحب الذات وتسعى لتحقيق مصالحها الشخصية من خلال شعارات مزيفة تحاول بها خداع الأبرياء وتحليل مذهبها الذاتى بما يناسب هوى نفوسهم وقد تجاهلت هذه الفئة بحمق أن مجرى المقادير خاضعة لله وأنه سبحانه جعل قيادتها لمن يقدر الأمور بوعى وبصيره حتى تصل سفينة الحياة إلى بر الأمان ولهذا اضطربت أمور الحياة وشاعت الفوضى التى أثمرت الضغينة ونشرت سحب المرارة فى النفوس وتتجلى وسط هذه الآلام شعاع من نور الإيمان فى نصر الله العظيم.

---

(١) الديوان ص٣ : ٥ .

( نجها رب ) وهى لمحة إسلامية تنبثق منها الرغبة فى أمل يشق ظلام الحمق وجميل من شاعرنا تعلقه بحبل الله القدير ويستمر شاعرنا فى البكاء على ضياع القيم وتفشى الإفك والتملق والكذب والشك والرياء والنفاق:

| | |
|---|---|
| تخذ الإفك والتملق ديناً | فجميع الأديان تلعن دينه |
| ولكم يدعون عطفاً على البؤ | س وباسم الفقير ما يجمعونه |
| ولكم بائس يرى الجوع منه | جسداً لا تكاد أنه تسبينه |
| وعضال الأسقام أذواه حتى | لا تحس الأساة إلا أنينه |

والأبيات نداء لصحوة دينية واعية والبيت الأول يكشف أثر الجهل فى الضحك على الأبرياء وفى الأبيات نبرة هجوم وهجاء لهذه الفئة التى هتكت أخلاقيات الإسلام ونشرت بين الناس المفاسد الأخلاقية وهى مستترة تحت ستار الدين الحنيف مع جهلها التام بأصول الشريعة السامية مما أدى إلى انهيار كيان الشعب الإسلامى المصرى ويصرخ شاعرنا من تبدد القيم الأخلاقية واستسلام الشعب المصرى للمظالم مما يعرضه للذل والهوان :

| | |
|---|---|
| أى شعب يعطى على الظلم أجرا | غير مصر ومن طغى يرفعونه |
| ومتى تضمن العدالة والظا | لم فيها أرزاقه مضمونه |
| غلب المدعون فى الفن حتى | أخرسوا بالصياح من يتقنونه |

والأبيات تبكى بمرارة وحسرة ما حل بالشعب المصرى حتى أصبح ينزف دموع الحرمان وتحتضنه سحب سجام صامته وكأنه يعلن الاستسلام والصورة الأدبية ( أى شعب يعطى على الظلم أجرا ..... ) توحى بسخرية الألم ومرارة الندم .

وقصيدة ( خدعة الثناء وفتنة الأدعياء ) قصيدة اجتماعية أخلاقية جسدت المفاسد التى طحنت مصرنا فى فترة تمكن الدخيل منها ونشرت فى المجتمع سلوكيات فاسدة ترتب عليها غروب القيم الأخلاقية لقد بين أحمد الزين قتل معالم الحق والخير وانهياركل جمال فى سماء الوطن المصرى العزيز.

والقصيدة تبكى القيم عبر صورة أدبية متكاملة البناء جيدة الصياغة حيث يقف المتذوق على تشابك عناصر القصيدة وتلاحمها فالأفكار واضحة تندد وتهاجم التلاعب والفساد كما تهاجم استسلام الشعب المصرى الذى فقد شخصيته فى هذه الحقبة وأصبح يردد ما يفرض عليه بسلبية جاهلة :

ليس ذنب الدعى هذا ولكن ذنب شعب بالزور يمتد حونه

كل يوم يكرّمون دعيا كان عدل الجزاء لويرجمونه

لقد بلور المنشىء أفكاره عبر تشكيل تعبيرى يتسم بدقة الألفاظ ووضوح الأساليب وقدرة فنية على التوظيف الجيد الذى يخدم غاية النظم المتمثلة فى صحوة الشعب المصرى والتى تتفجر بنداء العودة إلى القيم .

وقد تناسقت عناصر الصورة الشعرية ألفاظها ومعانيها مع الصياغة التشكيلية عبر تجربة شعورية وإيقاع موسيقى تجلى من الدلالات الاجتماعية والفكرية والسياسية ويدرك المتذوق الأدبى ما يتميز به نظم أحمد الزين من قوة أداء تجسد الأصوات والأشكال والهيئات المادية والوجدانية عندما يتعايش مع ظروف بيئة الشاعر ثم موضوع النص يقف على العلاقة الترابطية بين ما سبق وبين الصورة الشعرية التى يحسن تذوقها من خلال تكامل البناء حتى يدرك المتذوق منبع الجمال . ولعل المنهج الذاتى التأثرى مع الموضوعى فى تقدير الصورة الشعرية يثمر ثمرة طيبة فى تذوق عمل المنشىء .

والمتذوق للقصيدة ( خدعة الثناء وفتنة الأدعياء ) يدرك أن شاعرنا خصب الملكة الشعرية حيث تبلور صورته فى التناسق بين عناصر البناء وقوة الأداء التعبيرى وعند تذوق هذه الأبيات ندرك تكامل بناء الصورة

| | |
|---|---|
| كل يوم يكرمون دعيا | كان عدل الجزاء لويرجمونه |
| كلما أرسل الحمار نهيقاً | ظن أهل السماء يستمعونه |
| ويخال السبع السموات نشوى | من فيوضات جهله والرعونة |
| قد تفشى التموية فى مصر حتى | تحسب الزهر موهوًا تزيينه |
| ومحا الإدعاء كل يقين | فشككنا فى الشمس وهى مبنية |

والأبيات صورة حية تثير البسمة الباكية فى تجسيد ناطق يعكس درجة غباء الأدعياء وحمقهم وغرورهم وجهلهم ويصل المنشئ إلى ذروة السخرية الباكية فيصرخ غضباً عندما صور المستغل الدخيل بالحمار وأمعن فى تحقيره حينما قال ( ظن أهل السماء يستمعونه ) ، ( يخال السماوات السبع نشوى ) فجسد هيئة جديدة للغرور الأحمق مع بيان نوعية الشخصيات التى تملك زمام مصر .

والمتذوق للقصيدة يقف على صورة حية للأخلاقيات التى سادت فى مصرنا الحبيبة والتى أدت إلى انهيار القيم فقول الشاعر:

| | |
|---|---|
| قد تفشى التمويه فى مصر حتى | تحسب الزهر موهوا تزينه |
| ومحا الإدعاء كل يقين | فشككنا فى الشمس وهى مبينة |

فتعبيره ( تفشى ) تنقل صورة تمكن الوضع الأخلاقى وانتشاره وتشعبه فى كل مجال وقد ساعد صوت الشين على نقل هذه الصورة للمتلقى .

وأجاد شاعرنا عندما صور انهيار القيم والحالة الوجدانية للشعب المصرى عندما عبر بالتعبير ( محا ) مما يشير إلى القضاء على جميع القيم والسلوكيات وقد تم هذا بصورة تدريجية بفعل الدخيل وكأن الشاعر فى هذه الصورة يحذر من خطر الأجنبى الذى يحكم معنويات الشعب المصرى ويغرس فى نفسه الشك المرضى وهذه الصورة دعوة وطنية للصحوة المصرية وقد أعجبنى تعبيره ( فشككنا ) حيث ذاب مع أبناء وطنه مما يدل على أن الأبيات نابعة من تجربة ذاتية اجتماعية ويبرز أحمد الزين فى صورة أدبية جيدة زيف الشعارات وبعدها عن الحقائق مما يدل على تبدد القيم .

فاستمع للغناء تسمع صياحاً　　　كخوار الثيران لو يصفونه

فالعبارة ( استمع للغناء ) تبين زيف أقوالهم ومحاولتهم القضاء على جميع القيم الرفيعة للشعب المصرى وقد جسدت الصورة الساخرة طبيعة صياحهم بقوله ( كخوار الثيران ) ولفظة ( غناء ) تصور أولاً محاولتهم خداع الشعب المصرى ثانيًا تشبيه طبيعة الصوت للمتذوق والإسيحاء بإحساس بالنفور وبما يكنه هؤلاء للشعب المصرى .

وفى القصيدة ( خدعة الثناء ) يصور شاعرنا انهيار القيم وضياع ملامح العادات والتقاليد المصرية :

وليال تضبح منها الليالى　　　تدع الليل لا يذوق سكونه

والبيت يكشف عن تفشى المفاسد وانتشار سبل الإنحلال كما يكشف عن رفض الشرفاء الذين يحاولون القضاء على ظاهرة الفساد حتى أصبح الليل شحنة قلق واضطراب وجميل من شاعرنا تعبيره بالجمع ( ليال ) مما يشير إلى فقد الاستقرار بصفة مستمرة وتعبير شاعرنا ( لا يذوق ) توحى للمتلقى

أن الليالى بطولها تبكى تبدل أحوالها بفعل الأشرار الذين أرادوا القضاء على عادات مصر وتقاليدها الإسلامية .

والمتذوق يدرك دقة اختيار المفتن لعبارة ( تضج ) التى عكست درجة الضجيج الذى يعلن اضطراب الأحوال الناتج من تجنب القيم الأخلاقية .

والمتلقى للقصيدة يجد أن المنشىء استطاع فى كل بيت تجسيد المعنى من خلال صياغة رشيقة وخيال تأليفى واضح وقد برز ذلك بوضوح فى صورته التالية .

وعضال الأسقام أذواه حتى      لا تحس الأساة إلا أنينه

كبقايا الجدران لم يدع الزلزال      منها إلا رسوماً حزينة

والصورة ناطقة بما أصاب الشعب المصرى من مرض عضال وقد استطاع الشاعر بريشته الساحرة نقل طبيعة أصواتهم الباكية ( أنينه ) وصور هيئة أجسادهم المتهالكة بتشبيه رائع الأداء فقد صور أجسادهم التى تمكن منها المرض بهيئة الجدران البالية التى هزها الزلزال فحطم ملامحها وأصبحت آثاراً لا توحى إلا بالمرارة والألم وقد أجاد شاعرنا إجادة تامة فى هذه الصورة البديعة حيث صور تمكن المرض من المريض بهيئة بقايا الجدران ليوحى للمتخيل مدى الضعف الذى وصل إليه ثم ربط بين بقايا هذه الجدران وبين أثر الزلزال عليها ليشير إلا سهولة زوالها .

والجميل من شاعرنا جعله جسد المريض ( بقايا جدارن ) ليوحى بشدة المرض وتهالك المريض وطمس ملامحه الجسدية .

ولم يصور شاعرنا الهيئة فقط بل صور الأنين الوجدانى الذى انتاب الرسوم كما انتاب المريض الذى يدرك قرب النهاية ووقوع الفناء .

لقد تمتع شاعرنا بقدرة على إثارة مشاعر المتلقى ومهارة فنية فى توظيف اللفظة من أجل الصورة .

والقصيدة أنغام باكية حزينة على ما حل بمصرنا من تدهور للقيم الأخلاقية الإسلامية العالية التى تغنى بجلالها فى قصيدة ( الرأى ) وهى ترنيمات ذاتية اجتماعية صادقة الملامح تعكس أخلاقيات الزين ورؤيته لمجتمعه وما يرفضه من سلوكيات غريبة غرسها الدخيل بين أبناء الوطن المصرى الحبيب وقد أفصح المنشىء بالأسس والأصول الأخلاقية التى يجب على الإنسان المصرى الالتزام بها حتى يرتفع قدره ويعز قدره قال :

| | |
|---|---|
| سأحمل فى الرأى مض الألم | وأصبر للخطب إما ألم(١) |
| وأحمل نفسى على مرها | إذا ضامها ما يضيم الكرم |
| ولا اشترى كل هذا الوجود | ولا العيش فيه ببعض الشمم |
| وأزهد فيما بناه الرياء | وأصدع بالرأى مهما هدم |
| فأهون على بدنيا النفاق | وجاه ينال ببيع الذمم |
| هو الرأى روحك فاحرص عليه | فما بعد روحك غير العدم |
| وحكم القلوب بإلهامها | وما أصدق القلب فيما حكم |
| فلا تطلبن وداد الصديق | بمدح كذوب خسيس القيم |

والمتذوق لكلمات ( الرأى ) يدرك أنها قصيدة راقية الفكر نبيلة المعانى سامية الغاية تنم عن شخصية شاعرها وطبيعته والمتلقى لأفكارها يعيش داخل وعاء تجربة ذاتية للمنشئ تكشف عن الجانب السلوكى للمجتمع ويدرك تغلغل

---

(١) الديوان ص٦ .

المفاسد السلوكية وانهيار القيم التى تميز بها الوطن المصرى لقد ثار المنشىء ثورة داخلية عارمة ذاب فيها بصدق فسطر بقلمه الشجاع وفكرة الرشيد قصيدته ( الرأى ) التى كشفت النقاب عما ساد فى المجتمع من فتن وإنحلال ويتسم الموضوع بالجدية النابعة من الشجاعة والكبرياء والعزة وقد تغنى الشاعر فى الأبيات السابقة بصبره الواعى ونفسه العزيزة كما شد من أزر نفسه فى مواساة ذاتية عالية تشير إلى تحمل الآلام النفسية التى تعتصره لغاية يسعى إليها الأوهى كرامة نفسه وعزة كيانه وشموخ ذاته وحرية فكره ويبين شاعرنا أنه كريم النفس أصيل الفكر لا ينخدع بالمظاهر البراقة والمراكز المزيفة التى تبنى على أساس من النفاق والرياء والتنازل عن القيم كما أنه يرفض المال والثراء الذى يتحقق نتيجة لبيع شرف الإنسان وذمته ويصور أحمد الذين موقفه الصارم تجاه الأراء الكاذبة التى ترمى الصعود إلى نجوم المجد وهم يعلمون أن طريقهم المسموم يهدد كرامة الوطن المصرى الحبيب إلا انه يترفع عن ذلك الأثم مع قدرته على تحقيق الجاه والسلطة وعبر شاعرنا عن المعاناة بقوله :

سأحمل فى الرأى مض الألم وأصبر للخطب إما ألم

يبين المنشئ درجة ما يتحمله من آلام وجدانية لموقفه الشجاع فالتعبير (سأحمل) توحى للمتذوق بهيئة حمل حسى ثقيل يسبب له ( مض الألم ) الذى يمزقه حتى نزف جسده ووجدانه مرارة وحسرة ولفظة ( مض ) بما لها من صوت ثقيل وتشديد يدل بجلاء على شدة المعاناة كما أجاد عندما عبر بالفعل (سأحمل) الذى يشير أيضاً أن تحمله المعاناة من أجل أخلاقياته الرفيعة واستمراره على منهجه النابع من الشرف والعزة ويعلن أنه لن يتراجع أمام إغراء المال والسلطان وشاعرنا بهذا يدل على تدهور الأخلاقيات مما يحتاج

إلى وقت لصحوة القيم وغرسها فى النفوس ويبين أن سلاحه الوحيد (الصبر) الذى يستطيع به تحمل الألم .

وجميل تعبيره عن فساد القيم ( بالخطب ) الذى يزلزل أركان البناء الإنسانى والاجتماعى . ويصور الشاعر طبيعة الجهاد النفس الذى يتجرعه فى تعبير نفس صادق ( وأحمل نفسى على مرّها ) .

وأحمل نفس على مرها إذا ضامها ما يضيم الكرم

فالشطر الأول يعكس المنشئ تعدد آلامه وتكاثف سحب المرارة عليها حتى أصبحت الضغوط التى تحاربه داخلية تتصل بحسرة الوجدان ومرارته وخارجية تدفعه لصرخة عالية ترفض المفاسد وشاعرنا بهذا يشير لتعرضه للآلام بصورة جامحة يرد عليها بدعوة نفسه الشريفة للتحمل والجلد . ويتغنى المفتن بعزته عبر أسلوب قوى الصياغة واضح المعانى :

ولا اشترى كل هذا الوجود ولا العيش فيه ببعض الشمم

صيحة عزيزة فى سماء نفس راقية مؤمنة بالقيم الشريفة التى تثمر ثمار الكرامة والبيت يحمل صرخة الرفض العالية لجميع المفاسد الأخلاقية وشاعرنا يرفض بيع ذرة من نبضه من نبضات قيمة فهذا الوجود بما فيه من جمال وسلطان لا يخدعه بل يعلن زهده بوضوح :

وأزهد فيما بناه الرياء وأصدع بالرأى مهما هدم

جمع المنشئ بين البناء والرياء فأوحى للمتذوق أن الرياء قد يبنى صرحاً للأمجاد الواهية البراقة التى تذوب من لمحة شعاع صادقة لأنها تعكس أعمدة هشة مزيفة لبناء رملى خطته أصابع الهواء .

وقد أبدع شاعرنا فى تبعيره الأدبى ( وأصدع بالرأى مهما هدم ) الذى عكس بصدق الاضطراب الأخلاقى واختلال القيم فالرياء يبنى صاحبه والرأى الشريف يهدم قائله وقد وفق الشاعر فىالجمع بين البناء والهدم ليتخيل المتذوق درجة اختلال المجتمع الذى يبنى أصحاب المفاسد ويهدم الشرفاء ولفظة ( أصدع ) عكست قوة شخصية المنشئ الذى لا يخشى فى الحق لوم الحسود بل يعلن الحقائق حتى ولو ترتب على ذلك تجرعه كأس الضرر .

ويتغنى شاعرنا بقيمة الرأى الحر وعلاقته بالوجود الإنسانى الشريف :

هو الرأى روحك فاحرص عليه ... فما بعد روحك غير العدم

وحكم القلوب بإلهها مها ... وما أصدق القلب فيما حكم

فلا تطلبن وداد الصديق ... بمدح كذوب خسيس القيم

فإن اللسان رسول القلوب ... يعبر عنها بلا أو نعم

فالرأى الروح الطاهرة فى الإنسان يستمد حياته من نبض القلوب التى تلهم بالصدق نتيجة لنقاء الروح ويرفض شاعرنا زيف الوداد بوسيلة رخيصة تبنى بالكذب والخسة ويجب أن يعبر اللسان عما فى القلوب بصدق ويكون مرآة صافية للخواطر والخلجات والصورة التى أراد شاعرنا تجسيدها للمتذوق قوة الألفاظ متناسقة الظلال حية المعانى صور فيها المنشئ (الرأى) بالروح التى تنبعث من الجسد وتعلن حياة الإنسان وأبدع عندما جعل بأسلوب الخطاب الرأى الروح الحية الزكية لكل إنسان فقال ( روحك ) وأمعن فى ضرورة الحفاظ عليه حينما قال ( فما بعد روحك غير العدم ) والصورة بليغة ناطقة نبعت بلاغتها من وضوحها وقرب ألفاظها وبعدها عن التكلف ويتغنى المنشئ بتعبير لطيف يبين فيه صلة القلب بالرأى الصادق الحر مستحضراً

حديث الرسول ﷺ ،(١) فقد أنعم الله على الإنسان حيث جعل قلبه منبعاً للحياة والهدى والسلام والأمن والحماية للإنسان يحكم حكماً صريحاً واضحاً لا يخشى قهر المتكبر ولا سلطان الجائر ويشير إلى أن اللسان هو المعبر عما فى القلب بالرفض أو القبول .

ويصرح الشاعر بأصل القيم وحياة القلب وصحة الرأى فى قوله :

وإن العقيـــدة عرض فصنـــه     إذا كنت ممـــن يصــون الحـــرم

سرت فى فؤادك مسرى الدمـاء     فـــلا تبـــذل الـــدم إلا بـــدم

بين شاعرنا أن العقيدة الطيبة التى أنعم الله بها على عباده كالعرض يجب صيانتها من دنس الأفعال وآثام الأقوال وشوائب الخواطر ويجسد قيمتها العالية فيشير إلى أنها تجرى من الإنسان مجرى الدماء فلا يجوز إهدارها وبذلها فى أمر خسيس والمنشئ جيد التصوير حيث صور العقيدة الصحيحة السوية التى ينبع منها الرأى المثمر الطيب بالعرض ( إن العقيدة عرض فصنه) وتفاعل بصدق مع المعنى فعبر برجاء لطيف عن ضرورة حماية العقيدة من سحب الخسة وغيوم الرياء وأشواك النفاق فجميعها تحطم العقيدة وتغتال قيمها النبيلة ولعل أسلوب شاعرنا ( إذا كنت ممن يصون الحرم ) وتبرز فيه روح السخرية الحزينة وكأنه فقد بذور الأمل فى تحقق دعوته

---

(١) عن وابصة بن معبد الأسدى أن رسول الله صلى اله عليه وسلم قال لوابصة تسأل عن البر والأثم قال قلت نعم فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال استفت نفسك استفت قلبك يا وابصة ثلاثاً البر ما أطمأنت إليه النفس وأطمأن إليه القلب والأثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن افتاك الناس وافتوك .

مسند الإمام ابن حنبل – المجلد الرابع طبعة بيروت ص١٢٨ جـ٤ ، سنن الدارمى جـ٢ ص٢٤٦ – نشر دار إحياء السنة .

لصحوة القيم وتصحيح ما فسد من سلوكيات كما أن تعبيره ( إن العقيدة عرض ) جميل المعنى واضح الملامح التصويرية التى تريد إحداث حالة التفاعل بينها وبين المتذوق وخاصة فى البيئة الإسلامية المصرية التى تنعم برحاب الأزهر الشريف .

وقد أبدع المنشئ فى تشكيله التعبيرى :

سرت فى فؤادك مسرى الدماء -------------

فالعقيدة جزء حى من التكوين الإنسانى والحياة البشرية فلا تباع أو تهدر ففى إهدارها إهدار لكيان النفس والروح والجسد ويشعر المتذوق بحرارة عاطفة الشاعر وعمق الآمة التى سرت فى وجدانه مسرى الدماء فى تعبيره ( فلا تبذل الدم إلا بدم ) إنه يتجرع الأسى للحرمان من الفضائل السامية فى مجتمع بكت فيه عيون القيم فى مصر مع وجود أنوار الأزهر التى تستمد معينها من أضواء الإسلام وإشراقاته الساطعة ولهذا رفع الشاعر صوته أملا فى الصحوة فذكر المتلقى بقيمة العقيدة :

| | |
|---|---|
| أمانة ربك فى خلقه | فمن كتم الحق فيها ظلم |
| وميثاقه قبل خلق الجسوم | تلقته أرواحنا فى القدم |
| بها رفع الله تلك النفوس | وميزها عن سوام النعم |

فالعقيدة السوية التى أنزلها الحق وشرعها أمانة لها حقوق إنها الميثاق الغليظ الذى غرسه الحق عقب بث الروح فى جسد عبادة ليرفع النفوس ويشرفها ويعز قدرها ولهذا جعلها أعلى النعم التى تكرم وتفضل بها الحق على عباده .

والمتذوق للصورة السابقة يقف على مدى توفيق الشاعر فى إبراز درجة التمسك بالقيم النابعة من العقيدة فهى ( أمانة ربك فى خلقه ) وهو تصوير جيد لقيمتها وخاصة عندما ربط بين لفظ ( أمانة ) وبين ( ربك ) الذى كشف للمتلقى درجة رعاية الله ولطفه وحفظه ورحمته والتعبير ( ربك ) فى هذا المعنى أفضل من ( أمانة الله ) لمناسبة المقال الذى يكشف فيه المنشئ عن نعم الحق جل علاه .. مع شمول رعايته وعنايته ونوره الذى يبدد ظلمات الفساد .

والمتأمل فى قول شاعرنا " فمن كتم الحق فيها ظلم يدل على ما يهدف الشاعر فالعقيدة قيم شريفة تنبع منها روافد السلوك الطيب وأرفع هذه القيم (الحق) النابع من قلب صادق والذى جعله الله أمانة تفوح بعطر الفضائل وتحقق للمجتمع أمنه واستقراره وقد أمعن الشاعر فى بيان جلال (الحق) فذكر أن ترك الحقائق من الظلمات والأثام التى تهدد كيان الإنسانية .

وأبدع أحمد الزين فى تعبيره ( كتم ) الذى يوحى بما للحق من أنوار وخيرات وإشعاعات لها بركات وأسرار عالية بثها الله فيه ويترجم الحق (الرأى) الجرئ الواضح الخالص لله .

والمتذوق للتعبير ( يكتم ) يقف على هيئة انكار الحقائق وكيفية القضاء على أنوار الحق وقد ساعد على ذلك الصوت الموسيقى للكلمة وماله من إيحاءات وجدانية .

ويتغنى شاعرنا بالرأى الحر الصادق الذى ينبع من فكر طاهر وعقيدة سوية جعلها الله فطرة فى الأرواح :

وميثاقه قبل خلق الجسوم تلقته أرواحنا فى القدم

المعنى آية من آيات الجمال التعبيرى بين فيها رفعة العقيدة التى تفوح بجمال القيم وعطر الفضائل وهى أصل الوجود الإنسانى ولهذا فالعقيدة ميثاق الله وحبله الوثيق بينه وبين عباده وقد وضعها الله لخيرهم .

وأجاد المفتن فى صياغته ( تلقته أرواحنا ) حيث بين بأسلوب واضح فيض رحمته بعباده فلا يجوز لهم خيانة الله ورفض رحمته التى فطرهم عليها .

ويصل شاعرنا إلى قمة الإجادة الفنية فى بيان قيمة التمسك بالعقيدة فيصور ما يعود على الإنسان من فضائل :

بها رفع الله تلك النفوس ... وميزها عن سوام النعم

فالعقيدة روضة غناء تثمر زهور الحق ورياحين الخير وبستان الجمال ويلمس المتذوق بجلاء الروح الإسلامية الأزهرية الطاهرة فى المعانى والمتذوق لمعنى شاعرنا عن العقيدة ( وميزها عن سوام النعم ) يوحى بنور العقيدة كما أنه نداء إيمانى للعودة إلى تعاليم الإسلام الرفيعة حتى ترتفع راية العقيدة وتنتشر القيم الفاضلة :

ويبين شاعرنا أن منزلة الإنسان فى القيم الشريفة النابعة من العقيدة الصحيحة التى تهدى للأخلاقيات النبيلة فيقول :

فلا تغبطن أخا حظوة ... فما نالها برخيص القيم

ولكنه باع فيها الضمير ... وألقى العقيدة تحت القدم

وساوم بالنفس فعل البغى ... رمت الحياء ابتغاء اللقم

وكم أسخط الحق فى موطن ... وكم ألبس النور ثوب الظلم

والأبيات صيحة تحذيرية من بريق الأماني ولعل شاعرنا يحاول كشف الحقائق السائدة في المجتمع عبر رأى صريح جرئ يعلن فيه أن الخسيس هو صاحب الحظوة والنعيم ويواسى صاحب الشرف فيبين أن الوضيع نال هذه المكانة المزيفة ببيع ضميره وشرفه ليحصد الأشواك التى يظنها مجدًا عريقًا وما هى فى الحقيقة إلا السحب الداكنة التى تبكى حزنًا على ما نزل به من مهانة وذلة ويصور شاعرنا الإنسان الذى باع القيم النبيلة بالمرأة التى أهدرت كرامتها وباعت شرفها لنيل اللقم المسمومة والصورة تبرز بغض أحمد الزين للتدهور الأخلاقى ورفضه للتدخل الأجنبى كما يواسى الحزين الذى يرى الخسيس يقطف ثمار الثروة والسلطان وينعم بالترف والسلطان مع حمقه ولعل النهى في ( فلا تغبطن ) مع التوكيد بالنون مواساة لطيفة عبر تحذير باكى لما حل بالمجتمع المصرى من اضطرابات أخلاقية أدت إلى إنزال مرارة الألم بالنفوس الشريفة .

ويستمر المنشئ فى تصويره الجيد فيصور بالمعانى العميقة الواضحة كيف وصل الخسيس للسلطان والمال وعاش فى ترف مزيف ونعيم ملوث لقد ( باع الضمير ) و ( ألقى بالعقيدة ) والمتذوق يقف على مهارة أحمد الزين فى تصوير المعانى بالألفاظ المعبرة عن الوجدان الحزين وعبارة ( باع الضمير ) تجسد الوسيلة التى وصل بها الخسيس إلى ما ينعم به حيث صور الضمير بصورة حسية خاضعة للبيع والشراء وقد استطاع الشاعر بوحى الإيقاع الموسيقى رفضه لسلوك الخسيس الذى باع ضميره وأمعن فى تصوير خسته فجعله يلقى العقيدة تحت القدم والتعبير يدل دلالة قاطعة على عنف مقاومة الخسيس لضميره الذى ظل يصرخ معترضًا إى أن الخسيس استطاع إخماد ضميره وألقى بالأصول الشرعية تحت القدم والصورة ( تحت القدم ) تجسد

للمتذوق هيئة الجسد الراسخ فوق العقيدة لإطفاء أنوار الضمير واقتلاع جذور العقيدة ويسخر أحمد الزين من خسة الوضيع ويواسى الشرفاء قائلاً :

وكم أسخط الحمق فى موطن وكم ألبس النور ثوب الظلم

والبيت صورة ناطقة لتفشى المظالم الأخلاقية وتدهور القيم مما دفع إلى انقلاب الموازين وأصبح نور الحق يدمى القلوب التى عشقت البغى وذابت نشوة فى كهوف الآثام ويبكى المنشئ فى صياغة صادقة المعانى معبرة النغمات ما حل بالنور الذى يمثل الحق والخير والجمال والذى جعله الله رحمة للعباد حيث صوره فى تعبير تشكيلى جيد ( ألبس النور ثوب الظلم ) . والصورة تجعل المتذوق يستخضر هيئة النور الذى أجبر على ارتداء الثوب الأسود الداكن لمحاولة قتل أى شعاع ينبثق منه ويلمس المتذوق ملامح وجه أحمد الزين الساخرة الحزينة الباكية فى تعبيره ( كم ) التى وردت لتجسد درجة حسرة تعجب شاعرنا على ما حل بالقيم وما وصلت إليه الإخلاقيات .

ورغم تدهور المجتمع الأخلاقى إلا أن أنوار الحق تشع للنفوس الصافية .

تكاد مظاهرة الخالبات تشف لعينك عما كتم

ويوشك منظرة المجتلى يحدث عما طوى من تهم

والحق يفجر ينابيع النور فمهما حاول الخسيس اقتلاع جذوره تجده يسطع فى قلوب طاهرة تعكس للعيون المبصرة سبل الخديعة والغدر ويشكل أحمد الزين معناه الجيد من خلال عاطفة حية نبعت من تجربة صادقة هيئة الخسيس الذى يحاول غش الناس وخداعهم بإن الحق لدية القدرة على إشعار

الناظر بما يكرهه وبما يطوى من تهم ومفاسد كما أن الحق نفسه يحدث بما يجرى له من حروب متواصلة تحاول اغتياله .

أى أن المعنى :

ويوشك منظـره المجتلـى  يحدث عما طوى من تهم

يحكى للمتذوق تصور معنى المفاسد التى يعانى منهـا الحق كما يمكن المتذوق من رؤية أضواء الحق ويعلن أنه لايموت بل يحدث القلـوب الطـاهرة عما يفعل والوضيع المعروف بين الناس بالخسة حيث يعلن مظهره عـن سبل وصوله وقد منح شاعرنا البيت ثوب الحيوية وخاصة تعبيره ( يحـدث ) الذى يشير إلى صوت الحق الدائم .

ولهذا يواسى شاعرنا الشرفاء :

فلا تغترر ببهـاء الوضـيع  فكـم من حـذاء صقيل الأدم

وعش بالعقيدة عيش الكـرام  ومت رجلا تحت هـذا العلـم

ولا تعتـد بالألـى خالفـوك  وكن أمما إن عصتـك الأمـم

يواسى شاعرنا كل شريف يوضح أن ما يتمتع مـن نعيم لا يرفـع شأنه ولا يعز قدره ويضرب مثلاً مادياً فيذكر أن الحذاء لا يشرف بحجمه ومنظـره وينادى بالفضيلة والحياة بكرامة ويرتفع صوت شاعرنا بصرخة عالية تزلـزل الوجدان يعلن فيها الشاعر ضـرورة التمسك بـالحق وإعـلان الرأى الصريح المعبر عن القيم الرفيعة .

ويشـد أزر الشـريف ويخفف عنـه الألام النفسية المبرحـة بدعـوة قويـة تعلن عدم الاهتمام بمن خالف الإنسان الشريف وخالف القيم والأخلاقيات :

ولا تعتـــدد بالألى خالفوك وكن أمما إن عصـــتك الأمم

والصورة دعوة للتجلد ونداء للقيم والفضيلة استطاع الشاعر بهما التصوير النفسى والحسى وإبراز أبعاد المعانى ويقف المتلقى على قدرة المنشئ فى تحقير الخسيس فقد حقره معنوياً حين جعله وضيعًا (فلا تغترر ببهاء الوضيع) ثم حقره حسيا حين صور هيئته بالحذاء (فكم من حذاء صقيل الأدم).

كما صور شاعرنا شرف القيم المنبثقة من العقيدة ومنزلتها عندما ترنم بضرورة الالتزام بها حتى يتمتع الإنسان بالحياة الكريمة الشريفة أما تعبيره (ومت رجلاً تحت هذا العلم) فينبع جماله من كلمة العلم التى ترمى إلى العقيدة السوية شريعة الله ورحمته كما توحى إلى القيم الرفيعة التى تعلو بالحق الذى يترجمه (الرأى) الشريف صوت الله بين عباده ونوره المبين على الأرض وتعبير شاعرنا (رجلاً) له دلالة على القوة والصلابة وقد وثق المعنى وضاعفه دعوته (كن أمما).

والصورة تجمع بين الأهوال النفسية والشكلية بحيوية وتجسد من خلال هذه الأحوال والهيئات والأشكال فالصور (بهاء الوضيع)، و (حذاء صقيل) و( عش بالعقيدة)، و (مت رجلاً)، و (كن أمما) صور ناطقة تعكس بجلاء الهيئة مما يدل على بلاغة الشاعر التعبيرية.

والقصيدة صوت شريف ونداء قوى للقيم وقد عكست من خلال التشكيل التعبيرى وإيقاع الكلمات والحروف الدلالات المعبرة عن ثورة المنشئ وغضبه من اختلال القيم التى تحتاج لصحوة الضمير الذى غرد به الشاعر فى قصيدة رائعة النظم جيدة المضمون تعكس رؤية الشاعر الذاتية لهذه الهبة العظيمة التى جعلها الحق سبحانه هداية تهدى عباده لسبل الخير حيث تغرس فى نفوسهم بذور الرضا التى تثمر أنوار السعادة.

وقد بدأ أحمد الزين قصيدته البديعة بمناجاة صافية مع نفسه تخيل فيها صديقًا يتحدث معه حديث النفس يصف فيه منة الحق جل علاوه لعباده وقد بين أن الصديق الحميم الأمين والنصير الحق هو ( الضمير )(١) الذى تغنى به الشاعر فقال :

لا تسلنى عن صاحبى ونصيرى    لم أجد لى فى الدهر غير ضميرى

صاحب أمره ولدى مطاع    ياله من مصاحب وأمير

والمعنى ينبض بتجربة صادقة حية أكدت لشاعرنا أن الضمير هو الضوء الأخضر الذى جعله الله بحكمته يناسب كل مرحلة عمرية ويتفاعل مع كل الظروف فيشرق لنور الخير ويصرخ فى وجه ظلام الشر لأن مهمته حماية صاحبه والحفاظ عليه وشاعرنا يدرك هذه المهمة ولهذا يطيع ويستجيب لأمره بكل الرضا والبشر لأنه نور من أنوار الله لعباده الذين فضلهم على كثير من مخلوقاته ولهذا فهو :

هو صوت السماء فى عالم الأر    ض وروح من اللطيف الخبير

وقد أبدع شاعرنا عندما ربط بين الضمير وبين السماء فأوحى بهذا الربط بقيمة الضمير ومنزلته العالية الشريفة وخاصة أنه هبة الله ومبعث رحمته فى عالم الأرض للبشرية وجميل من شاعرنا تعبيره (اللطيف الخبير)(٢) مما دل على أن الضمير هبة الله التى أرادبها سعادة عباده وجميل

---

(١) الديوان ص٨ قصيدة ( الضمير ) ص٨ ، ٩ .

(٢) اللطيف : يشتق هذا السم من اللطف وهو لغة الرفق بالعباد واللطيف هو العالم الأمور ووقائها واللطيف هو الذى يسرع بكشف الغمة عند نزول النقمة قال عليه الصلاة والسلام ( إن الله فى كل طرفة عين نظر لطف إلى خلقه ومن حظ العبد من هذا

تعبيره التصويرى ( فى عالم الأرض ) مما يدل على شموله لبنى البشر ليحقق لهم الأمن والأطمئنان ولهذا فالضمير نور الحياة :

وشـعاع تذوب تحت سـناه خدع العيش من ريـاء وزور

وصف الشاعر الضمير بأنه شعاع نور يبدد ظلمات الحياة ويقتلع جذور الغش والرياء والنفاق والخداع لتتربع الحقائق على عرش الحياة بنورها الذى يغرس فى النفوس سحر السرور وقد أبدع المنشئ فى تصويره التعبيرى (تذوب تحت سناه ) حيث جعل الضمير كالضوء الباهر الذى يكشف بجلاء الحقائق والأهواء التى تتلاشى وتختفى تماما أمام إشراقاته الهادية .

ويفكر شاعرنا قليلاً فى حقيقة الضمير ويمنى نفسه بالوصول إلى معرفة سره :

مبلـغ العلـم أنه روح خيـر باطـن الشخص ظاهر التأثير

فالضمير سر من أسرار الله تعالى وروح سامية هدفها غرس بذور الخير لإسعاد البشرية واستقرارها الوجدانى والاجتماعى له تأثير إيجابى على صاحبه لأنه تكامل نورانى وشحنة شعورية حية تنبض بالنبل والسمو :

---

الوصف أن يرفق بعباد الله وأن يتلطف بهم فى الدعوة إلى الله والهداية إلى سعادة الأخرة .

الخبير : هو العالم بدقائق الأشياء على ما هو عليها وهو الذى لا تعزب عنه الأخبار الباطنة ولا يخفى عليه فى الملك والملكوت شئ ولاتتحرك ذرة فى الكون ولا تضطرب ولا تعود نفس ولا تطمئن إلا ويكون علمه تعالى محيابها ومن حظ العبد من هذا الوصف أن يكون خبيرًا بما يجرى فى عالمه هو قلبه وبدنه .

المختصر - فى معانى أسماء الله الحسنى - محمود سامى دار إحياء الكتب العربية ص ٣٣ ، ٣٤ .

هو روح مــن الملائك يسمو بســليل الثــرى لعالــم نور

قد تولت بالأنبيــاء عصـــور وهو باق على توالى العصور

حافظًا فــى الزمان ماخلفــوه قائمًا فى الصــدور بالتذكيـر

حامــلاً من شرائع الخير كتبًا قد ست من صحائف وسطور

ليس يعفو عن الهنات وإن ها نت ملــح فــى اللوم والتعذير

وبهذا فالضمير إداة النجاة والحماية الربانية التى سـخرها الحق تعـالى لعبده ويتجلى دوره حينما يرتدى الشيطان ثوب الخداع ليسوق الإنسـان إلـى مهاوى الشرور والآثام ويبين له أن هذا الطريق طريق الفوز والسـعادة ولهذا صـور المنشـئ الضمير بالملائكـة لأنهـا أجسام نورانيـة لا تعـرف إلا الخـير والجمال الخالد حيث تمر الأزمان وتتطوى صفحات العمر بأشرف البشر مثل الرسل ولكن الضمير يتسم بصفــة الاستمرار إلـى أن يـرث اللـه الأرض ومـا عليها والواقع أن قصيدة الضمير من القصائد الرفيعة العاليــة التـى تدعـو إلـى التمسك بالقيم والأخلاقيات الرفيعة الذى سـخره اللـه لعبـاده وقد بـرزت قـدرة الشاعر الإبداعية فى انتقاء الألفاظ الدقيقة المعبرة عن خواطره وخلجات نفسه مثل صيحته التى تنم عن قيمة الضمير ( لا تسلنى عـن صـاحبى ونصـيرى ) بين فى هذه الصيحة طبيعة العلاقة بين الإنسان والضمير فهو الصاحب الـذى يصحب الإنسـان فـى كـل نبضـة مـن نبضـات حياتـه وقد وفـق حينمــا قــال (صاحبى) ولم يقل صديق لأن الصاحب يلازم رفيقه وقد وثـق العلاقـة عندمـا صرح بالياء فـى صـاحبى التـى دلـت علـى الارتبـاط التـام المستمر المتصـل ولفظة ( نصيرى ) أفصحت عن الدور العظيم الذى يقوم به هذا الصاحب فهو النصير الدائم لصاحبه حيث ينصره على الأهواء ويكشف له الحقـائق بوضـوح

وتعبيره ( لم أجد فى الدهر غير ضميرى ) يشير إلى أن الضمير صاحب وتصير فترة حياة الإنسان وإلى نهاية الأجل .

وقد أبدع شاعرنا فى صورته التى توحى بالدلالة الصوتية والدلالة المعنوية .

هو صوت السماء فى عالم الأر ض وروح من اللطيف الخبير

حيث بين فى صورة شعرية حية أن الضمير صوت صدق بنطلق من السماء بوحى من الخالق العظيم ليهدى وينذر ويبشر وأجاد حين صوره بالروح التى تعد سرا من أسرار الإله والصوت يوحى بالسمع والروح توحى بالحياة وبهذا فالضمير كائن حى يتكلم مع صاحبه ويحاوره ويقنعه ويرده عن الإعوجاج ولا يقبل منه تزين الباطل لأن اللـه جهزه تجهيزًا يريد به حماية الإنسان من همزات ووسوسة الشيطان والبيت صورة سمعية خيالية رقيقة النسج توحى للسامع برقة حس المنشئ وينطلق إحساس شاعرنا فى صورة جديدة حسية فهو شعاع والشعاع ضوء شديد يخترق الظلام الداكن ليبدد وينتشر النور يهدى البصر والنفس وصورة الشعاع عندما يتخيلها المتخيل يجد أنها خط من الضوء المستقيم الممتد الذى يحدث فى وسط الظلام وما هذا الظلام الإشباك الشر الذى يتمنى الشيطان وقوع الإنسان فيها ومنبع جمال الصورة أن شاعرنا كان يعانى من فقد البصر ومع ذلك صور الضمير بالشعاع ولفظة الشعاع بتكوينها الصوتى ورنينها الموسيقى توحى بالانتشار والتمكن الذى أبرزه حرف الشين والعين أما حرف الألف الذى يوحى بالارتفاع والامتداد وهو ما يناسب امتداد الشعاع كما استطاع الشاعر بمهارته الفنية وصورته الدقيقة بيان أثر الشعاع فى عبارة ( تذوب تحت سناه ) والمتأمل للتعبير ( تذوب ) يدرك عمق إحساس شاعرنا وحسن اختياره

للألفاظ الدالة على هيئة المعانى فالذوبان يتم بصورة تدريجية وكذلك الضمير يقتلع حجج الباطل الواهية بأسلوب يقنع الفكر ويسعد الوجدان والناظر للظرف ( تحت ) مع لفظة ( سناه ) التى توحى بالضوء البديع الساحر يدرك أن الضمير يعلو فوق شر الباطل ليكشف كل خباياه ويمزق جميع أستاره من خداع وزور وقد جعل شاعرنا شعاع الضمير يقتلع الشرور من جذورها وهو بهذه الصورة البديعة يهتف بحسن الخلق وضرورة الارتشاف من معين القيم الرفيعة .

وينطلق شاعرنا فى تصوير الضمير بعد تفكير تأملى فلسفى فيرى أن الضمير باطن وظاهر ليوحى بملامح الصورة الشعرية التى بينت أن الضمير بمثابة شخص كامن داخل الإنسان يحذره وينذره ويبشره وباطن لأن رؤيته لاتكون إلا لصاحبه حيث يتجسد له فى اليقظة وفى النوم .

مبلغ العلم أنه روح خير    باطن الشخص ظاهر التأثير

ويعكس شاعرنا فى صورة معبرة المجهود الذى يقوم به الضمير عند صد أسلحة الشر :

جامحات أعيت على الدين كبحا    رغم إنذارها بسوء المصير

ثم صاح الضمير فيها نذيرا    فأصاخت إلى صياح النذير

إن الشرور عندما تهجم على الإنسان تهجم بعنف وشراسة لتحقيق هدفها آلا وهو تدمير الإنسان ولهذا صور الشاعر هجومها بالفرس الجامح الذى يندفع بلا توقف لا يردها رادع وقد بين أحمد الزين طبيعة المقاومة التى يتعرض الضمير لينصر القيم الأخلاقية داخل صاحبه فالتعبير ( أعيت ) عكس شدة المعاناة التى تتجرعها القوانين الشرعية لرد الإنسان عن الأهواء

إلا أن الضمير بما جهزه الله من قوة خارقة وتصميم ولزوم للإنسان فى يقظته ومنامه يستطيع صد الأهواء وجميل من شاعرنا جمعه بين ( جامحات وكبح ) حيث بينت الصورة شدة الحركة واندفاعها مع شدة المقاومة .

ومن صورة البديعة التى تصور الضمير وتوحى بأثره فى تدعيم القيم قوله :

هـو إن شـئت جنـة خلـد وإذا شئت كان نـار السـعير

فالضمير جنة خلد يحقق النعيم المقيم والنشوة الروحية والمتعة الإيمانية التى ترتشف رحيقها من أنوار الخالق العظيم ويستمر شاعرنا المرهف فى التغنى بالضمير منبع القيم الأخلاقية من خلال صورة رشيقة النسج :

مرهـف الحس ليس يعيبه غيب يسمع الهمس فى حنايا الصـدور

فقد صور الضمير بمن يسمع الهمس داخل الصدور ويكشف صاحبه أمام نفسه فالضمير مرآة صافة صادقة وأبدع المنشئ فى تلاحم أجزاء الصورة التى نبعت من تجربة ذاتية حية تناسقت فيها الألفاظ والعبارات مع نغم الروى ( الراء ) الذى منح المعانى روح الرغبة فى توثيق مفاهيم القيم النابعة من الضمير .

والقصيدة من عيون الشعر العربى الحديث لجمال موضوعها ووضوح ألفاظها ورشاقة أنغامها وهى خواطر وخلجات مرهفة استطاع شاعرنا نظمها بنغمات وأصوات موحية .

ومن الجدير بالذكر أن قصيدة الضمير استجابة طبيعية لظروف عصر الشاعر بسبب طغيان الماديات الفاسدة على العلاقات الإنسانية التى أصبحت تعانى الغربة والوحدة فى مجتمع اضطربت فيه القيم ولهذا نظم المنشئ

قصيدته ( غربة النبوغ ) التى تكشف عن ترجمة ذاتية تترنم بعبرات الشاعر وتبكى فردوسه المفقود الذى افتقده المنشئ وسط بحر متلاطم من أمواج الضياع والنفاق والكذب . والقصيدة لحن باكى أنغامه مرارة الحرمان وقد عكس ذلك بجلاء حرارة الإيقاع العاطفى الذى ارتفعت أصواته لترفض الظلم وتناجى أنوار القيم .

| | |
|---|---|
| وفؤاد قد كان مهد الأمانى | صار لحدًا تسقى الدموع ترابه(١) |
| وذكاء يجزى عليه جحودًا | حين يجزى الغبى منهم ثوابه |
| ونبوغ يضيع بين جهول | وحسود بالضغن ضل صوابه |
| تملأ الشمس عينه فيراها | وعليها من الحقود ضبابه |

الكلمات بكاء نفس حزينة ووجدان جريح جرحته أشواك الفساد التى تغلغت فى البيئة فنشرت سحب الفوضى الاجتماعية والنفسية فلا قيم ولا شعاع للفضيلة ويبكى المنشئ المظالم التى تقع على المصرى الموهوب النابغ ويترنم بما حدث لفؤاده الذى كان مهدًا للأمانى وتمتع بالصفاء والنقاء وتشبع ببركة الإسلام واستنشق عبير الأزهر الشريف هذا الفؤاد تعرض بعنف لحرب طاغية لقتل نبوغه الذى يشرق من وحى الأزهر ليعلن وطنية مصرية سامية تنادى بالفكر المتحرروتجنب الفتن التى يبثها الأجنبى بين المصريين ويصرخ أحمد الزين محذرًا من تحقيق الدخيل لأحلامه التى يسعى إليها برجاء وأمل فى نشر الفساد والحقد والحسد والنفاق بين المصريين وقد صور المنشئ غربة نبوغه تصويرًا رائعًا اعتمد فيه على الإيقاع العاطفى وتناسق الشكل مع المضمون ففؤاده كان مهد الأمانى يتطلع إلى دينا وردية حالمة

---

(١) الديوان ص١٠ .

تسبح به فى عالم السحر ولكن ضياع القيم حطم فؤاده الباسم وأصبح لحدًا لدفن الأمانى والآمال وبهذا جعل قلبه رمزًا لكل نبيل وشريف وموهوب من أبناء مصر الحبيبة وأبدع المنشئ فى صورته حين جعل قلبه الذى صار لحدًا ينزف الدموع الغزيره التى تروى التراب إنها صورة عاطفية إيقاعها الألم وخيالها يثير المرارة وأسلوبها يغرس الحسرة على ما أصاب مصر من فتن وتدهور أخلاقى أدى إلى محاربة أبناء النيل .

وفؤاد قد كان مهد الأمانى ... صار لحدًا تسقى الدموع ترابه

ويتعجب أحمد الزين من العقاب الذى يقع على الذكى والجزاء الحسن الذى يرفع شأن الغبى وما ذلك إلا لمحاولة القضاء على نبوغ أبناء الشعب المصرى :

وذكاء يجزى عليه جحودًا ... حين يجزى الغبى منهم ثوابه

لقد تمنى الأجنبى انتشار الجهل فكان سبيله تشجيع الغبى وتحطيم منزلة البليغ .

ويسير الموكب الذى ينعى انهيار القيم وتدهور الأخلاقيات فيسمع المتلقى أنغام قصيدة ( الملق ) التى تندد بالنفاق والرياء والفسق والرشوة والفوضى والقصيدة حية معبرة قال فيها :

يا لسان الحق لا تنطلق ... فاز بالخطوة أهل الملق

علمونا يا أولى الخطوة ما ... قد علمتم من طلاء الخلق

وامنحونا ذلك الصبغ الذى ... يظهر الحسن ويخفى ما بقى

.. .. .. .. .. .. .. .. ... .. .. .. .. .. ... .. ..

يمنح الفطنـــة أغبـــى خلقـــه     والذكـاء المحض رأس الأحمق
لا تقل سـهدى وجهدى عدتى     إنما الجهـــد عتـــاد الأخرق
إيه يا علمـى عد جهلاً عسى     ينهـــض الجهـــل بخط موثق
يا ذكائى عد غبـاء أسـترح     بغبائى مـــن شـقاء مطبـــق
كـم كفايـات نفاهـا قومهـــا     وجهـود ألقيـت فـــى الطرق

والقصيدة نغمة باكيـة ساخرة تعكس روح التهكم والسخرية كما أنها جيدة النظم قوية النسج تتمتع بحيوية التشكيل التعبيرى الذى تحفة نغمة الألـم الساخر الباكى وقد نظم أحمد الزيـن قصيدة ( صرعـى الأغراض)(١) ليتتمم بها عقـــد القصـائد الآتيـة ( خدعة الثنـاء وفتنـة الأدعيـاء ) و ( الـرأى ) ، و ( الضمير ) ، و( غربة النبوع ) ، و ( الملق ) .

والقصائد السابقة تنعى القيم السامية وتبكى الأخلاقيات النبيلة عبر نداء بصحوة إسلامية ويقظة وطنية ونهضة فكرية وبهذا تعـد هذه القصائد إيقاع وجدانـى صـادق عكس ثورة غاضبـة لما نـزل بـالوطن المصـرى كمـا أن شاعرنا عبر فيها عن رفضه ورفض الشرفاء لإنهيار القيم ورغبتـه فـى بعث حيـاة كريمـة وصـوت شـاعرنا يعلـن روح الوطنيـة الإسـلامية الاجتماعيـة المصرية الناضجة.

ويصل ركب بحثنا إلى روضة القيم الأخلاقية التى أشرقت أنوارها من وحى سماء صافية تجلت فى الأراجيز التى ترنمت بالقيم والأخلاقيات ففى (أرجوزة الأخلاق ) تغنى شاعرنا بكلمات رقيقة تحمل المعانى الرفيعة العاليـة وقد استهل نظمه بحمد الله والصلاة على الحبيب المصطفى :

---

(١) الديوان ص١٤ .

الحمــــد للـــه كمـــا أولى الجميل منعمـــا(١)

ثـــم الصـــلاة أبـــدا علـــى النبـــى أحمدا

وهذه بداية طيبة يحفها نور الحمد وبركـة الصـلاة علـى الحبيـب صلـى اللـه عليـه وسـلم ولعـل شـاعرنا ينـادى أبنـاء مجتمعـه لصحـوة إسـلامية أول شعاعها ذكـر اللـه ورسـوله فمن هـذا الذكـر الواعـى تفيـض الخـيرات ويبيـن شاعرنا أن رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم أول :

من حاز حســن الخلق وســاد كــل الخلـــق

وهو بهذا يرشد إلى رائـد المنهـج الأخلاقـى وينصـح بـالاقتداء بسـلوكه العالى الذى ساد الدنيا فتغنت به الأرواح وترنمت بذكره الأفئدة وخلق رسـول الله ﷺ ينبع من روضة القيم العالية :

مـــن طلـب الآدابـا تجشـم الصــــعابا

ومـن يرم درك العلا سارلها مسـتبسـلا

فى شكة من عزمـه وعـــدة مـــن حزمه

إن العـــلا كعـــاب لهـــا القنـــا حجـــاب

ســـهولها أو عـــار تحفهـــا الأخطـــار

ســـبيلها الأخـــلاق لكنهــــا وثـــاق

وفى الفكرة السابقة يوضح أحمد الزين طبيعة مـن يتسم بكرامـة النفس فيطلب الأدب الرفيـع الـذى يتجلـى فـى القيم والأخلاقيـات ويصـور طبيعـة الطريق بميدان سباق ويصف صاحبه بمن ( تجشـم الصعابـا ) وعبـارة تجشـم

---

(١) الديوان ص١٣٧ . ٩١

بصوتها الموسيقى وتلاحمهامع لفظة الصعاب توحى للمتذوق بدرجة المعاناة التى يتجرعها المريد لمنهج الأدب لنيل وسام العلا ولهذا تغنى الشاعر بمن يعشق طريق العلا يقدم عليه ببسالة وشجاعة وتصوير شاعرنا ( مستبسلاً ) تدل على ضرورة التسلح بالصبر والجلد والرغبة فى قطف ثمار العلا وقد استطاع شاعرنا فى صورته تصوير الخواطر والخلجات ( من يرم درك العلا) وتصوير الحركة مع الكيفية ( سارلها مستبسلا ) وكأننا نرى طالب الأدب يتقدم قدوما شامخًا متسلحًا بكل وسائل التصدى وأسلحة الانتصار على الفساد وإغراء الفتن ويصور المنشئ العلا بهيئة الرماح المتميزة التى تستعد للانطلاق مع إصابة الهدف ويداعب الشاعر خيال المتلقى فيبين أن شرف العلا بالصحوة الاجتماعية والوطنية وكذلك شرف الرماح بالظفر والنصر وأن العلا يرقى عندما يكون سبيله(١) الثورة الواعية التى تعد بمثابة الحماية التى تصون كيانه وتحافظ على استمراره .

لقد عشق شاعرنا الخلق النابعة من القيم الإسلامية العزيزة ولهذا صورها بميدان سباق تحتاج للتسلح وصور الطريق إليها بسهول تحتاج إلى الصبر والمثابرة :

سهولها أوعار تحفها الأخطار

والسامع الكريم عندما يستقبل الصورة ( سهولها ) يتوهم اليسر إلا أن صورة (أوعار) تدفع خياله ليقظة فكرية تربط بين سهول وأوعار ليصل إلى المراد .

---

(١) الكعب : الرمح ، كعب القناة هو أبنو بها وهو مابين كل عقيدتين منها كعب وكل شئ علا وارتفع فهو كعب .
مادة كعب : لسان العرب . الكعب : الرمح ،

فطريق العلا ميسر مع الحمية والإقدام والإصرار وجميل تعبيره (تحفها الأخطار ) الذى يحذر من الفتن والدسائس التى يغرسها الدخيل لاقتلاع جذور الأصالة المصرية والمراد بالأخطار نداء من شاعرنا لصحوة الشعب المصرى ضد السموم التى تفرق بين طبقات الشعب .

ويربط شاعرنا بين الأخلاق وبين الأمجاد التى سبيلها التمسك بالقيم التى تشيع السجايا الطيبة والمثل العالية .

| | |
|---|---|
| المجد صعب مغنمه | حسن السجايا سلمه |
| إن لم ينـله البـاع | فبـاعك الطبـاع |
| فمن يرم طلابها | فليشربن صابها |
| فلن تذوق ما حلا | حتى تذوق الحنظلا |
| وهكذا المحامد | من دونها الشدائد |
| ليست أثاثاً يقتنى | ولا تنال بالمنى |

أبدع أحمد الزين حينما بين أن سلم المجد السجايا الشريفة والقيم النبيلة والمتذوق للبيت يرى أن المنشىء أكد أن المجد يتربع فوق عرش النجوم ولهذا فهو صعب المنال وفى نواله نعيم عظيم المنزلة والسبيل إليه العودة إلى إسلامنا الذى يسمو بالطباع ويتأمل الشاعر بنظرة التحليل الواعى فيصور عبر الترابط التشكيلى الذى يغوص فى أعماق النفس أن طلب المجد عن طريق الخلق فريضة وكأنه يحذر من أوهام المجد الذى يرتدى ثوب السراب ويدعم أركانه على الكذب والرياء والنفاق ويبين أحمد الزين أن هذا المجد لا يترك لمسة أمل ولا بسمة رجاء ويحذر عبر الإيقاع الوجدانى من مجد تليد يهمل القيم الأخلاقية التى يحتاج التمسك بها إلى الجلد :

فلن تـــذوق ما حلا　　　حتى تذوق الحنظلا

وقد استطاع الشاعر مـن خـلال حاسـة التـذوق تقريـب الجهـاد الصعب للحصول على المجد العظيم الذى يعلو فوق هام النجوم ومن الجدير بالذكر أن المتلقى يدرك طبيعـة مـرارة الحنظـل وصعوبـة طعمـه الـذى جعلـه المنشـىء وسيلة لتقدير التحمل والجلد حتى يتحقق للإنسان مراده وشاعرنا بهذا اسـتطاع عن طريق المحسوسات تقريب المعانى بصدق وجلاء ومهـارة بلاغيـة قـادرة على إحداث التفاعل بينه وبين المتلقى وقد أكد فكرته فقال :

وهــكذا المحـــامد　　　مـن دونها الشـــدائد

ليســت أثاثاً يقتنــى　　　ولا تنـــال بالمنـــى

فالمحامد والمجد صنوان المحامد تمثل القيم والأخلاقيـات الرفيعـة التـى يعد التمسك بها جهاداً للنفس بل أن التمسك بها من أعظم الشدائد التـى تحتـاج لقوة وجدانية ومادية ولهذا يتهكم بسخرية لاذعة بمن يتوهم سهولة قطف ثمار المحامد عبر صياغة أدبية لطيفة خيوطها الأولى صور (ليست أثاثـاً يقتنـى) ، و ( لا تنال بالمنى ) فالمحامد ليست سلعة ولا أمنية وردية ولكنها دعوة لجهاد إسلامى مصرى أو المجد فيمثل الحضـارة والمدينـة ولعلـه بهـذا يشـجع أبنـاء وطنه لصحوة وطنية إيجابية حتى يكون للمصريين الذكر الحسن :

ذكر الفتى بما ذخر　　　والخلق نعم المدخر

والذكر عمـــر ثان　　　للمرء وهـــو فان

وشاعرنا لا يرمى لحالـة فرديـة ولكنـه يتغنـى بمصـر فـالتعبير (الفتـى) رمز لمصر والتعبير ( بما ذخر ) رمز لما يجب على المصرييـن غرسـه مـن قيم وأعمال إيجابية تعيـد أمجادهـا ولعـل أحمـد الزيـن يحـذر أبنـاء وطنـه مـن

فوضى الأخلاقيات ومن الاستسلام والرضا بحضارة الماضى مما يساعد على غروب مصرنا الحبيبة من سماء المجد وغروبها سبيل المستعمر للقضاء على الإسلام ومعالمه فى مصر التى تتجلى فى الأزهر الشريف وقد كشف شاعرنا عن التدهور الأخلاقى الذى ساد مصر الحبيبة حتى أصبحت ضحية تنزف دماء الكرامة وتذوق مرارة الانهيار .

والمعانى السابقة تذكرنا بما ترنم به أحمد شوقى(١) .

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يمتاز بيت شوقى بتدفق المعانى وخصوبة الصورة وعمق الدلالات الإيقاعية للمعانى الاجتماعية والوجدانية فقد حشد أحمد شوقى فى بيته النداء الأخلاقى وبين أن بالقيم تبقى الأمم وبغروبها غروب لنجمها من سماء الأمجاد وبهذا فبيت أحمد شوقى أدق وأخصب وأشمل حيث جمع البقاء والفناء وأوحى بأن الأخلاق هى منبع الخلود وأن فى تركها ذبول وانتهاء وقد أبدع أحمد شوقى حينما عبر عن ترك الخلق بالذهاب مما يدل على أن الأخلاقيات تكون أساس صرح الأمة فإذا اهملت ذهبت وتركتهم فى ظلمات بحر متلاطم

---

(١) أحمد شوقى بن على أشهر شعراء العصر الحديث يلقب بأمير الشعراء مولده ووفاته بالقاهرة كتب عن نفسه ( سمعت أبى يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب نشأ فى ظل البيت المالك بمصر وتعلم فى بعض المدارس الحكومية وقضى سنتين فى قسم الترجمة بمدرسة الحقوق وأرسله الخديوى توفيق ١٨٨٧م إلى فرنسا فتابع دراسة الحقوق فى مونبليه وأطلع على الأدب الفرنسي وعاد سنة ١٨٩١م عالج أكثر فنون الشعر : مديماً وغزلاً ووصفاً ... ثم ارتفع محلقاً فتناول الأحداث السياسية والاجتماعية فى مصر والشوق والعالم الإسلامى توفى سنة ١٩٣٢م .
الأعلام - الزركلى - طبعة بيروت ص١٣٦ ، ١٣٧ جـ١ .

الأمواج مما يدفع إلى ذهابهم بالهلاك والتدهور والانهيار والتعبير بالذهاب عن تدهور الأخلاقيات وتلاشى الأمجاد وضياع كيان الأمة(١) يحمل نبرة التحذير للمصريين .

فقد ورثوا الأمجاد العريقة وأصبحت مصر موطنها ومشرقها فلا ينبغى أن تكون مغربها ولفظة الذهاب منبع الجمال لدلالتها على وجود الشىء ثم رحيله إذا جفت عيون تكريمه . وثمرة القول تفوق أحمد الشوقى فى صورته على أحمد الزين الذى فصل وأطال ولم يأت بمعنى رحيل المجد من المجتمع الذى يهدر قيمه وقد استقى أحمد الزين معانيه من أحمد شوقى لأن أمير الشعراء توفى عام ١٩٣٢ أما الزين فتوفى ١٩٤٧م ويتغنى أحمد الزين بالفضائل التى تولد قيمة الإنسان الحقيقية .

| | |
|---|---|
| يتـرك دنيـاه ومـا | يبقـى سوى ما قدما |
| تصـبح منه بلقعـا | وليـس إلا ما سعى |
| فخر الفتـى أعمـاله | لا جَـده ومـاله |
| المـال ظـل زائل | والَجـد لون حـائل |
| ماذا يفيـد المـال | إن سـاءت الأفعال |

يترنم شاعرنا بحقيقة أزلية ارتشف الشاعر معينها من دراسته الإسلامية بالأزهر الشريف فالجميع فى الدنيا ضيوف غرباء يستظلون تحت ظل شجرة حتى يحين وقت الرحيل وعبارة ( يترك دنياه ) تبين أن الإنسان يموت ويبقى عمله الذى قدمه خالصاً لله تعالى وجميل تعبير المنشىء ( تصبح منه

---

(١) الشوقيات - المكتبة التجارية الكبرى جـ١ ص١٢ .

بلقعا)[١] الذى بين أن الدنيا بالنسبة للإنسان صحراء جرداء ليس لـه منهـا إلا عمله الصالح وتعبيره عن الدنيا بالبلقع يوحى بهيئة صحـراء جـرداء مترامية الأطراف يلتحفها ليل حالك لا يبدد ظلامـه إلا غرس زهـور القيم الإسلامية ويبين أحمد الزيـن أن عـزة الإنسان ومكانتـه لا تتولـد مـن نسبة ولا ثروتـه ولهذا قال :

المال ظـــل زائل والجـد لون حـائل

والصورة حسية بديعة حيث يستطيع المتخيل تصور الظل كمـا يتصـور زوالـه والجميل فـى هذا التصويـر تخيل المتلقـى لكيفيـة زوالـه التدريجـى والإحساس بمدته الزمنية القصيرة وجميل أيضاً تصويره للنسب بلون باهت قد يحول بين الإنسـان وبيـن أنـوار المجد ويدفـع صاحبـه إلـى الخمـول والكسل والتراخى ويقبح أحمد الزين المال إذا ضر صاحبه .

ماذا يفيـد المـــال إن ســاءت الأفعال

فالمال هبة الحق فيجب أن تتسم بصفـة الجمـال ولا جمـال فيهـا إلا إذا أشرقت بأنوار الخير .

وينادى أحمد الزين بالخلق الرفيع والتمسك بالقيم الإسلامية التى تضفـى على الإنسان ملامح العزة والشرف

كم مـــن فتـــى أراه يعجبنـــى مـــرآه

ذا زينـــــة ورى[٢] وباطــــن مقلـــى[٣]

---

(١) البلقع : الأرض القفر والمكان البلقع الخال مادة : بلقع لسان العرب .

(٢) الرى : حسن المنظر .

(٣) مقلى : مبعض .

به المخـــازى خافيــــة　　إن العيـــــون غاويــــة

لا يزدهيــــك ما تــرى　　فكله إلـــى الثـــرى

حســب الفتـــى ما قاته　　وليتـــرك ما فاتــــــه

يوضـح المنشـيء فـى هذه الفكـرة أن الجمـال الحقيقـى ليـس بـالمظهر الخداع المزيف وإنما الجمال فى صفاء النفس وسـمو الـروح وطـهر السـريرة ويسخر المنشيء ممن يسره المنظر الخارجي مع أنه يضم بيـن جوانحـه نفسـاً شريرة غرست فيها المفاسد ولهذا يحذر شاعرنا من الإنبهار بمظهر المخـادع والغشاش والمنافق وتعبير شاعرنا ( كم من فتى أراه يعجبنى مرآه ) يدل على أن الشاعر يحذر نفسه أيضاً من الانخداع وهو يرمز بهذا لبعض شـخصيات انخدع فيها الشعب المصرى وتمنى بعد ذلك الخلاص منها وتأمل أيها المتلقـى صورة أحمد الزين

به المخـــازى خافيــــة　　إن العيـــــون غاويــــة

حيث صور درجة انخداع الإنسان بالمظاهر الكاذبة بفعل تـأثير الرؤيـة البصريـة ولعلـه ينـادى بوعـى الاختيـار وايجابيتـه والصـورة تجعـل المتـذوق يستحضر هيئة الجمال المزيف الذى تتلاشى مظاهره مع الأيام .

ويلوم شاعرنا على أصحاب الثراء الذين يبخلون على الفقراء :

حســب الفتـــى ما قاته　　وليتـــرك ما فاتــــــه

والصورة ترمز لضرورة التعاون وأداء حق الله وتكشف عن التفـاوت الطبقى بيـن أفـراد الشـعب المصـرى ويـرى شـاعرنا أن الأدب مـن العنـاصر الدنيوية التى تنمى الفضائل وتبعث القيم :

| | |
|---|---|
| لا تبغ فضـــل النشب(١) | وابتـــغ فضل الأدب |
| مـــن لم يســـوده أب | أعلـــى ذراه الأدب |
| إن العظـيم مـن بنى | ولم يقـــل ذا بيتنـــا |
| وليس عالـــى الهمم | مـــن كان ذا قلب عـم |
| فاجعـل حـلاك الأدبا | إن الفتـى ما كســـبا |

والفكرة تبين ما فى الأدب من علوم ومعارف وسير وتراجم ترفع شـأن من يرتشف من نهره فتجعله سيداً مسوداً بين أقرانه وعبارة ( لا تبغى فضـل النشب ) تحذر مـن الكسل والخمول والتعلق بالنسب والحسب والتغنى بمـا ينتمى له الإنسان من أصل عريق مجيد وشاعرنا بهذا ينادى باستمرار البنـاء والعطاء المتجدد حتـى لا يفقد الإنسان كيانـه ويـردد أمجـاد أجـداده فتتلاشى المكانة والمنزلة ويصبح الإنسان كالسراب وبمرور الأيام يفقد ذاتـه ممـا يدفـع إلى الزوال كالطيف وقد أبدع شاعرنا عندمـا بيـن أن العظيـم هـو الـذى يبنـى نفسـه فكرياً واجتماعياً لأن ذلك يعود علـى المجتمـع بـالخير وعلـى الأدب بالتجدد والتطور وتعبير شاعرنا .

| | |
|---|---|
| فاجعـل حـلاك الأدبا | إن الفتـى ما كســـبا |

يوحى بذكاء الإنسان كلما غاص فى بحـار الأدب اكتسب منزلـة عاليـة ترقى هذه المنزلة كلما تعمق فيه فالأدب تاج يزين صاحبـه كمـا أنـه المكسب الفريد الذى يتميز به بين أقرانه وجميل من شاعرنا :

| | |
|---|---|
| مـــن لم يســـوده أب | أعلـــى ذراه الأدب |

---

(١) النشب : نشب الشىء فى الشىء علق فيه مادة نشب لسان العرب .

حيث بين قيمة الأدب في بناء شخصية صاحبه وتفوقه على صاحب الحسب والنسب .

ويتغنى أحمد الزين بما قدمه من أخلاقيات :

وهــذه قــلائد      وكلهــا فـرائد

قلدت جيد الدهر      بها وجيد مصـر

والمتذوق يدرك أن القيم التي ترنم بها المنشيء قلائد عقد تزين جبين الزمن وأولها ذكر الله سبحانه وتعالى والثناء على الحبيب المصطفى ﷺ ثم طلب العلا والمجد واكتساب المحامد والاهتمام بالأعمال التي تخلد ذكر الإنسان وتجنب الانخداع بالمال والنسب والحسب فكل هذه الأشياء لزوال وختم هذه القلائد بدرة المعارف والعلوم ( الأدب ) سجل الأمم ومنار حضارتها لأنه يسطر بحروف من النور تقدمها في جميع المجالات ولهذا جعله الزين درة خالصة ودعوة المنشيء تذكرنا بمهرجان القراءة للجميع وما يدور في معرض الكتاب من عروض أدبية متميزة تغذى الفكر والوجدان لبناء حضاري متفتح لقد سبق شاعرنا الأزهري زمنه في هذه الدعوة الناضجة والتي تجلت ملامحها الآن في اتجاهات وزارة الثقافة ونشاط الإعلام المصري وتعبير شاعرنا :

قلدت جيد الدهر      بها وجيد مصـر

نغمة سامية تترنم بمجد مصر التليد ودعوة لإحياء مجدها العريق الذى تتزين به الدنيا وفي المعنى صرخة عالية ليقظة الشعب المصري وصحوته لما كان عليه من تميز وتفرد عندما كانت الدنيا تتخبط في الظلام ومصر ترسل أنوارها لتبدد حجب الظلام .

والشاعر ينادى أبناء وطنه عبر دعوة إسلامية وطنية تعيد لمصر عزها الذى يعد عزا للعرب والإسلام . ويبين شاعرنا أن قصيدته درة تجمع المعارف الأدبية التى ترقى بالمجتمع وقد اخلص فى نظمها وقصد رضوان ربه :

| | |
|---|---|
| جمعت فيها الأدبا | أقضى بها ما وجبا |
| أبياتها أمثال | عزّت فلا تنال |
| أخلصت فيها النية | لا ابتغى أمنية |
| ولم أرد إكباراً | بها ولا اشتهاراً |
| وما أردت الجاها | لكن أردت الله |
| إن يرضى عنى ربى | بها فهذا حسبى |

وأرجوزة الأخلاق قد بنيت أن أرفع القيم كامنة فى الثناء على الله جل علاه ثم فى الصلاة على المصطفى ﷺ وكشف شاعرنا أنهما نبع البركة وفيض العطاء وأنوار السعادة وقد تغنت أرجوزة الأخلاق بالأدب لأنه موسوعة المعارف والعلوم والتراجم والسير التى تحث على المحامد والأمجاد المتدفقة من الأخلاقيات السامية والقيم النبيلة مثل الوفاء الذى غرد به الشاعر وصوره ببستان الحياة الوردى وأرجوزة ( الوفاء ) أخلاقية راقية تبين أنه من أخلاقيات الشرفاء يفوح عطره الباسم فيثمر بين الناس ثمار الود اليانعة فتسود المحبة بين الناس ولهذا تغنى أحمد الزين بالوفاء وبين آثاره الطيبة التى تتجلى فى توثيق العلاقة بين أفراد المجتمع مما يسبب الاستقرار الاجتماعى والرقى الحضارى ومرجع ذلك أن الوفاء سيد الأخلاق مبارك أينما حل :

| | |
|---|---|
| إياك أن تغــــدر بالميعـــــاد | فإنه من خـلق الأوغــــاد(١) |
| واحرص على الوفاء في المواعد | مهما تقاس فيــه من شـــدائد |
| واصـــبر ولا يثنـك عنه ثان | فإنه مـــن كــــرم الإنســـان |
| إن الوفاء ســـيد الأخـــلاق | تعلــو به لو كنت فـــى أخلاق |
| فليــــس بالمــــال بلوغ مجد | مجد الفتـــى وفـــاؤه بالوعــــد |

ترنم أحمد الزين بخلق الوفاء فبين ضرورة التخلق به والحرص عليه لأنه شرف الإنسان به يرتفع شأنه ويرقى إلى مرتبة الإنسانية وقد بدأ المنشىء قصيدة الوفاء بما يدل على أنه منبع البركة فى جميع العلاقات الإنسانية ففى صدق الميعاد ما ينشر الألفة ويحقق الخير ولهذا حذر الشاعر من الغدر بالميعاد فقال ( إياك ) التى توحى بالرجاء وأمعن فى التحذير فوصف خلف الميعاد بالغدر الذى يعد من أخلاقيات الأوغاد لينفر منه .

ويعلن شاعرنا أن من يسلك هذا المنهج خسيس الطبع ويناشد المتلقى الكريم عبر دعوة أخوية أخلاقية إلى الصبر الذى يدعم شيمة الوفاء ففى الصبر كرامة وعزة وأنفة وكبرياء وكأنه يصرح بما للصبر من فيض البركة وشروق أضواء الحضارة وشاعرنا ينادى بصحوة أخلاقية عمادها الوفاء ويربط بين المجد والوفاء وكأنه يرمز لحال البلاد وما أصابها من تدهور اجتماعى يرجع إلى الوعود المزينة وفى تصوير الشاعر تهكم لاذع بمن يخدع الشعب بوعود كاذبة ليصل إلى هدفه . وقد أجاد شاعرنا حينما جعل المجد ثمرة من ثمار الوفاء :

---

(١) الديوان ص١٤٠ .

فليـــس بالمـــال بلوغ مجد مجد الفتـى وفـاؤه بالوعـــد

وكأنـه ينـدد بكـل مـال يكتسب بـالغش والخـداع وظلـم الأبريـاء ويسـم شاعرنا الوفى بنبل الخلق :

قد قال أهل العلم فيما أرســلا كاد الوفى أن يكون مرســلاً

والبيت صورة دقيقة تشجع على الوفاء والالتزام بهذه السمة العالية وقـد أمعن أحمد الزين فى الثناء على الوفاء حينما جعله ينطلـق مـن العلمـاء الذيـن هم عدة الأمة وأمـل مستقبلها وشـمس حضارتهـا ولعـل أحمـد الزيـن الشـاعر الأزهرة المصرى تفـاعل مـع علمـاء الأزهـر الذيــن غـردوا بسـمة الوفـاء باعتبارها سـمة إسلامية رفيعـة . والبيت صـورة طيبـة صـور فيهـا شـاعرنا المعنى عبر إيقاع معنـوى جيـد وصياغـة أدبيـة خصبـة والوفـاء مـن السمات العالية التى افتقدها أحمد الزين مما دفعه للتغنى بها وتصوير الوفـى بالمرسـل والصورة تتعلق بسلوكه النبيل الذى يجعله ملاكاً طاهراً .

ويسترسل المنشىء فى تصوير أبعاد الوفاء الاجتماعية والوجدانية :

وإننـــــى لم أر كالوفــــاء أدعى إلـى الإخلاص فـى الإخاء

وليس من شىء سـوى الإخلاف أدعـــى إلــى تقـاطع الآلاف

لا تعتـــذر فـى الخلف بالموانع فإنه مــن سيــــىء الطبـــائع

من أكثر الأعـــذار فيما يفعـل فعن قليـــل عـــذره لا يقبـل

إياك والإكثـار فى الأعـــذار وفعل ما يلجــىء لاعتـــذار

حـــذار أن تقول لا بعـــد نعم وأبدأ بلا أفعـــل إن خفت الندم

والأبيات السابقة تكشف فضائل الوفاء فهو يغرس الإخلاص بين الأصدقاء وينمي مشاعر الأخوة ويضاعف من روابط المحبة ويحذر المنشيء من خلق الأعذار أو الإكثار منها حتى لا يتصف صاحبها بالخسة ويشجع المفتن الصراحة وقول الحق فمن جهل أمراً يتجنب إقحام نفسه فيه حتى لا يتعرض لمرارة الندم وأحمد الزين بهذه المعاني يربي في نفس السامع الشخصية السوية القادرة على الرفض أو القبول .

وإما إذا وعد فعليه الالتزام بالوفاء :

وف إذا ما قلت إني أفعل          فإن لا بعد نعم لا تجمل

ولا تقل في قول : لا : نيل العلا          إن العلا قول : نعم : من بعد لا

يبين المفتن أن العلا منبعه الوفاء المتولد من شخصية إسلامية واعية وفي البيتين ما يوحي بمعنى التعريض بمن يغرس المنى في نفس الشعب المصري ثم يقذف به في أعماق مظلمة مضطربة الجوانح ولهذا يرى أحمد الزين أن الوفاء سمة الشخصية الحرة التي تتمتع بالكبرياء :

إياك أن تنسى وعود الأمس          فالحر لا يعتاده ما ينس

الحر وعده عليه دين          يذكره حتى يحين الحين

يصور المنشيء الوفاء بأنه شيمة الإنسان الحر الذي يرقى بنفسه ويعتز بذاته والحرية الشريفة هي القدرة على الاختيار الصحيح الذي يتفق مع القيم والأخلاقيات العالية ويتغنى أحمد الزين بالإنسان الحر الذي يستطيع ردع الصعاب والأهوال ولعله يرمز بهذا لحرية الرأي وحرية الفكر والحر عنده من يتصف بالوفاء لأنه يستطيع تنفيذ وعوده بدافع من شجاعته النفسية والشاعر يشير من طرف خفي إلى صحوة تحررية لأبناء مصر فالحرية منبع

الإنطلاق إلى المحامد الإخلاقية وأبرزها الوفاء الذى جعله شحنة من العواطف النبيلة والإحاسيس الرفيعة .

الحر وعده عليه دين يذكره حتى يحين الحين

فالحر مستيقظ الضمير يذكره بالوعد ولا يغفل عن تحذيره والبيت صورة وجدانية حية يدرك بها المتلقى عبر تراسل الحواس نداء المنشىء لأبناء مصر الحبيبة للتحرر النفسى أولاً والذى بدوره يثمر التحرر الاجتماعى والفكرى والثقافى والسياسى .

والوفاء من خلق الكرام الشرفاء الذين يتصفون بالإنسانية الراقية التى تتجلى فى الوفاء بالوعد والحرص على الصدق وتجنب المطال الذى يندفع من نفس بخيلة مخادعة كاذبة :

| | |
|---|---|
| إياك أن توصف بالمطال | فإنه من خلق البخال |
| واحرص على الإنجاز فى المواعد | فآفة الوعود مطل الواعد |
| من أكثر المطل بغير مانع | فصدقه فى الوعد غير نافع |
| وإن يعاهدك أمرؤ حلاف | فلا تطعه إنه حلاف |
| فلا أزال أكبر الإنسانا | حتى أراه يكثر الإيمانا |
| إياك واللجاج فى اليمين | فإن هذا رقة فى الدين |
| ولا أرى اللجاج فيه إلا | شعار من هان ورام الذلا |

والتشكيل التعبيرى السابق يعرض أراء المنشىء فى ثمار الوفاء الطيبة والآثار السيئة الناتجة عن انهيار هذا الخلق النبيل ولهذا استخدم شاعرنا أسلوب التحذير ( إياك ) ليكشف عن الأضرار التى تلحق بالشخص وتنشر

آثارها على المجتمع وقد ربط بين المطال وبين البخل بإجادة بلاغية معنوية فصور من يتصف بصفة المطال وتسويف الوعد بالبخال التى وردت بصيغة المبالغة ليبين شدة ارتباط صفة البخل بخالف الموعد وأمعن فى تصوير صفة المطال فبين أنها تدفع صاحبها إلى الكذب عن طريق الحلف واللجاج فى اليمين مما يسبب الاستهتار بالقيم الأخلاقية .

وقد تغنى شاعرنا بالوفاء فى المواعد وحذر من المطال ليكشف الغمة السائدة فى المجتمع المصرى والتى تجسدت فى تدهور الأخلاقيات الفاسدة مما أدى إلى تفشى المطال والكذب والنفاق الذى مزق روح الشعب المصرى.

ولهذا انطلق شاعرنا يدافع بوطنية عن كيان مصر ووجودها ويبين أن الوفاء من القيم التى تبنى صرح الأمة وتدعم أركانها .

ومن الوفاء أيضاً تقديم الخير للجار والحفاظ عليه وإكرامه

إن من الوفاء منع الجار ... من الأذى لحرمة الجوار

إن كنت موفور الغنى والمال ... فلا تدع جارك للسؤال

وسع عليه إن يكن فقيراً ... ولا ترم حمداً ولا شكوراً

أغدق عليه وابل المعروف ... وكن له جاراً من الصروف

أثره بالخير وبالنعماء ... عليك لو تحسو قراح الماء

فإن مما يرفع الإنسانا ... فى قومه أن يؤثر الجيرانا

ولا تمد لحظك المريبا ... لعرسه تبغى بها تشبيباً

إياك أن ترسل تلك النظرة ... فربما جرت عليك حسرة

وربمـا عاد عليك سهمهـــا      وأثقل الكاهل منـــك إثمهـا

ولا تصـــله تبتغـي بوصله      فـي البيت أن تؤذيه فى أهله

فإن هــذا غايـــة التنـزل      وآية الخســـة والتســفل

**فى اللوحـة الفنيـة السـابقة نظـر شـاعرنا للوفـاء نظـرة إسـلامية تـأثرت بطبيعة دراسـته الأزهريـة الخصبـة التـى ترتكـز علـى القيـم العاليـة والسـلوك الطيب المنبثق من أنوار القـرآن الكريـم والسـنة النبويـة الشـريفة ، والمنشـىء عشق الوفاء الإيجـابى الـذى يتجلى أثـره فـى العلاقـات الإنسـانية التـى توثـق الروابط بين أفراد الشعب المصرى ومـن أعظـم الوفـاء الوفـاء للجـار وتـبرز مظاهر هذا الوفاء فـى احترامـه والعطـف عليـه إذا كـان فـى حاجـة وصـرف الأذى عنه والحرص علـى مشـاعره وحمايتـه مـن الألـم النفسـى والاجتمـاعى وحماية عرضه من النظرة العابرة .**

**وصورة الوفاء عند شاعرنا صـورة واقعيـة لهـا أثرهـا علـى العلاقـات الإنسانية فيبين أن الجـار مـن أحـق النـاس بالوفـاء لأنـه سـند جـاره فـى الشـدة وعندما ترقى العلاقة بينهما تستقر الأحوال الوجدانية والاجتماعيـة والمنشـىء ينادى أبناء وطنه لاتحاد يحطم فتن العدو ويبدأ بالجار لأنـه الخيـط الأول لقـوة النسيج الوطنى والأبيات صورة معنويـة رقيقـة تغنـى فيهـا المفتـن عـبر إيقـاع عاطفى اجتماعى بالمثاليات العالية وبالتأمل فى بيت شاعرنا:ـــــــــ**

أغدق عليـــه وابل المعروف      وكن له جاراً من الصـــروف

نقـف علـى صـورة حسية معنويـة بديعـة يتخيـل فيهـا المتـذوق الجـار الموفور المال لا يغفل لحظة عـن جـاره الفقير فـالتعبير ( أغـدق ) يلـوح مـن حروفه معنى التمنـى والرجـاء والاستمرار كمـا أن اللفظـة ( أغـدق ) توحـى

بالكرم كما أن عبارة ( وابل المعروف ) تدل على فيض الكرم وانسيابه بصفة مستمرة ولفظة ( المعروف ) تفوح بالجمال لما فيها من دلالة على حسن العطاء المادى والمعنوى مع غزارته ببركة .

وقد تجلت الروح الإسلامية فى البيت .

أثره بالخيـــــر وبالنعمـــــاء　　　عليك لو تحســـو قراح الماء

يصور البيت ما يجب من ود وحب وتألف بين الجيران وقد استمد جماله من نور القرآن الكريم قال تعالى فى سورة الحشر { ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون }(١) فقد ضرب الحق مثلاً لأرقى العلاقات الإنسانية السامية العالية والإيثار خلق نبيل ينشر الرحمة ويغرس روح التعاطف بين الناس ويغرد أحمد الزين بالوفاء الذى يتوج براية الالتزام بما أمر الله ورسوله ﷺ والمتذوق لمعنى شاعرنا فى أبياته :

إياك أن ترســـل تلك النظرة　　　فربما جرت عليك حســـره

وربما عاد عليك سهمهـــا　　　وأثقل الكاهل منـــك إثمها

ولا تصـــله تبتغى بوصله　　　فـــى البيت أن تؤذيه فى أهله

فإن هـــذا غايـــة التنـزل　　　وآية الخســـة والتســـفل

يجد المتلقى الكريم صورة حية للمعانى الأخلاقية وأثر الانحراف على صاحبه والأبيات بليغة لوضوح ألفاظها وتناسقها مع المعانى فى صورة واضحة الملامح صادقة الإيقاع الاجتماعى والوجدانى .

---

(١) سورة الحشر جزء من الآية ٩ .

ويصور أحمد الزين كيفية استمرار الوفاء للجار :

| | |
|---|---|
| زره فإن الود فـــى التزاور | لكن نماء البغض فى التهاجر |
| فإن نأى عن بيتـــه وغـــابا | فأقـــلل المجـــئ والذهابا |
| خشيـــة أن تحفك الظـــنون | وأن يقـــال إنـــه خئـــون |
| أياك أن تخونـه فـــى غيبته | يجزيك بالشـــكران أوبتـــه |
| من لم يصـــن ما عهد الإله | فليس مأمونا علـــى ســـواه |

والوفاء يبرز فى الود الذى يتولد بزيارة الجيران فى المناسبات وينصح أحمد الزين المتلقى بزيارة جاره مع الالتزام بضوابط أخلاقية تساعد على نماء الود وصفاء العلاقة وطهر العاطفة التى تربط بين الجيران والمتذوق للمعانى السابقة يجد ظهور الروح الإسلامية بجلاء حتى أصبحت ظاهرة من ظواهر الديوان .

لقد تأثر شاعرنا بتعاليم القرآن الكريم وحديث رسول الله ﷺ عن الجار ( مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)(١) .

مما أضفى على الأبيات الروح السامية وأضاء المعانى بأنوار ربانية عالية .

وقد برز مذهب أحمد الزين الفكرى فى بيته :

من لم يصـــن ما عهد الإله      فليس مأمونا علـــى ســـواه

وفكر شاعرنا استقى روافده من الشرع الإسلامى وقد ربط شاعرنا بين تعاليم الحق جل علاه وبين الأمانة فى الالتزام بالمنهج الربانى والبيت صورة

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل - المجد الثانى - دار صادر بيروت ص٣٠٥ .

معنوية جميلة كشفت للمتلقى أن عهد إلا له يجب صيانته وتنفيذه ومن عهوده تعالى تنفيذ الوعد وحماية الجار ونشر عطر الوفاء بين الجيران والمتأمل للصياغة الأدبية فى ( الوفاء) يدرك ما للشاعر من بساطة تعبيرية وسهولة بيانية مع فصاحة فى عرض الأفكار .

وقصيدة الوفاء أخلاقية اجتماعية نبعت من روح وطنية تعشق الإسلام وتحب مصر وتدافع عنها دفاعًا ينطلق من قلبه والقصيدة صادقة التجربة موحية المعانى عبر الدلات العاطفية والاجتماعية والدينية إلى جانب اتصافها بالواقعية والقصيدة جميلة النسج بديعة المعانى ونحن فى حاجة إلى تعاليمها بعد طغيان المادة على العلاقات الإنسانية التى تحتاج إلى الاستكثار من الأخوان الذين يتصفون بحسن السجية وسمو الصفات وقد سطر شاعرنا قصيدة من الرجز أطلق عليها ( فى الاستكثار من الإخوان والإقلال منهم ) تترنم بقضية حيوية تناقش تكوين العلاقات بين الإخوان بأسلوب واقعى تفاعل فيه الشاعر بظروف مجتمعه وقد استهلها الشاعر بقوله :

| | |
|---|---|
| ليس من الفضائل | أشبه بالرذائل[1] |
| كرغبة الإنسان | فى كثرة الإخوان |
| يقول من لايعلم | لا تكثرن منهم |
| عليك بالإقلال | تعش رخى البال |
| فإنما الأحزان | تجلبها الإخوان |
| فمن يعش وحيدًا | منهم يعش سعيدًا |
| مقال من لم ينصف | ورأى من لم يعرف |

---

(١) الديوان ص١٤٣ .

يفصح الشاعر عن طبيعة الجاهل بالأمور والتى تترجمها دعوته إلى قلة الإخوان ويدعم نظرته الفاسدة بأن قلتهم تثمر راحة البال واسترخاء المشاعر وسعادة النفس واستقرار الفكر وسرور القلب وصفاء الخاطر ويرى أحمد الزين أن هذا الرأى لا ينادى به إلا قاصر الفكر ضيق الأفق ففى كثرة الأخوان عزة ونصرة وأمن : -

| | |
|---|---|
| فإن من يقل | من صحبه يذل |
| وآية الإجحاف | زهدك فى الألاف |
| فكثرة الإخوان | أمن من الزمان |
| هم ركنك الشديد | وسهمك السديد |
| حرز من النوائب | وجنة المصائب |

يجسد المنشئ ثمرة الإقلال من الإخوان ويرى أن ذلك يعرض الإنسان للذل والهوان وقد عبر تعبيرًا بديعًا حين صور أن عين الاجحاف وجفاف الطبع وغلظة السلوك وخشونة السليقة هو الزهد فى الألف وقد أطلق شاعرنا على الإخوان ( الألاف ) ليدل على أنهم منابع الحنان والحب والاطمئنان والمتلقى يشعر أن لفظة ( الألاف ) توحى بدرجة العلاقة الطيبة بينهم ويبين شاعرنا أن كثرة الإخوان ( أمن من الزمان ) والصورة توحى بما للإخوان من عزة وقوة ضد صروف الزمان ويستطيع المتخيل استخصار هيئة الإلاف الكثيرة وهم يساندون صديقًا لهم فى شدته يقف بمشاعره على عمق الأحاسيس وعظم المساندة التى تجعله يقف شامخًا حيث يستمد صموده من وقفتهم بجانبه ولهذا فعباره الشاعز ( أمن من الزمان ) تجسد احتواء الألاف لصديقهم هذا الاحتواء الذى يدل على تبادل مشاعر الولاء والوفاء كما يدل على العون

النابع من القلب ولهذا صورهم بالركن الشديد الذى يستند عليه الإنسان وينتصر به انتصارًا عظيمًا على نوائب الزمان :

هـم ركنك الشـديد     وسـهمك السـديد

والصورة التعبيرية تجمع بين تصور المتذوق لشكل الركن الأمين الشديد وهنية السهم الجيد الذى يصيب إصابة مباشرة ويربط بين الشكلين وبين قيمة الألاف للإنسان وأجاد المنشئ حينما صور الألاف ( بالحرز ) و (الجنة) .

حـرز مـن النوائب     وجنـة المصـائب

والصورة تجمع بين الدلالة المعنوية والمادية فالمتذوق يدرك أن المراد من البيت إبراز قيمة الأخوان فمنهم تستمد الوقاية والحماية والقوة وعندما يتخيل المتلقى هيئة الحرز ويستحضر أسبابه يستنبط آثاره الطيبة والتى عبر عنها المنشئ بالصياغة ( جنة ) وبهذا يتبين أن الشاعر يعلن أن الألاف وقاية من النوائب والكوارث وقد أمعن الشاعر فى تصويره لأثر الأصدقاء حينما جعل النوائب تخشاهم فلا تقترب من الإنسان .

ويتغنى أحمد الزين بالإخوان فيصرح بأن وجودهم فى حياة الإنسان دلالة على رفعة شأنه وعلو منزلته .

عـلامة الأداب     زيادة الأصـحاب

فإنه لا يصـحب     إلا الخـلاق الطيب

وليـس للأراذل     فى النـاس من مواصل

عليـك بالإحسـان     تحـف بالأخـدان

يرى شاعرنا أن كثرة الأصحاب دلالة على مايتسم به الإنسان من مكانة عالية وشرف منزلة وأن الذى يرفض الألاف خسيس الطبع ذميم النفس ويحث المنشئ على التمسك بالفضيلة حتى تحفه الأصحاب ويقبلون عليه بشوق ولهفة والصورة الأدبية السابقة واضحة الألفاظ والمعانى جيدة الإيقاع الاجتماعى حيث بين شاعرنا أن الكرم وجمال العطاء من سبل جذب الأصحاب :

فهم قطا ظماء[1] يسقط حيث الماء

حيث جسد هيئة إقبال الأصحاب بشوق وحنين كما جسد حركة السعى إليه بالتعبير ( يسقط ) وصورته ( حيث الماء ) دلالة على فيض كرمه وجمال أخلاقه الذى يدفع الأصحاب إليه ويستمر أحمد الزين فى تصوير الأخلاقيات والقيم التى يجب أن يتحلى بها الإنسان حتى يصبح منبع الشوق والإقبال من الأصحاب :

وأن سئلت الودا منك فأظهر زهدا

فليس كل راغب يحفظ عهد الصاحب

لا تدمن الإقبالا واتق الابتذالا

فإنما المقاربة أخرها مجانبه

وكثرة الوصال داعية الملال

وإنما الإنسان مخاتل خوان

يدنو إلى من يبعد ويصطفى من يزهد

---

(١) القطا : اسم طائر سمى بذلك لثقل مشيه مادة / قطا / لسان العرب .

فى اللوحة السابقة يرشد المنشئ المتلقى إلى منهج العلاقة السوية بين الإخوان والتى تجعله عزيز المكانة رفيع الشأن ساحر الكبرياء ويبرز المنهج فى إظهار الزهد عندما يعرض عليه الود وتجنب الابتذال فى المقاربة حتى لا يظهر طيف الملال وظل الجفاء فيدفع إلى القطيعة .

وتصوير شاعرنا للمعانى لطيف قريب من نفس المتلقى استطاع فيها إحداث التأثير المباشر لما تضمنه من حقائق اجتماعية واقعية ثابته .

وقد أجاد أحمد الزين فى تصويره :

لا تدمـــن الإقبـــالا      واتـــق الابتـــذالا

فالتعبير ( تدمن ) يعطى درجة المداومه على الإقبال مع استمرارها بلهفة وإلحاح والعبارة( واتق الابتذالا ) تحمل كل معانى التحذير للحفاظ على الكرامة وعزة النفس ولعل المنشئ عاش هذه التجربة الذاتية مما جعله ينفعل بصدق مع المعانى ويجد المتلقى وصفه للإنسان ( مخاتل وخوان ) الذى يعكس سلوك الخداع والخسة والغدر وقد أخفق أحمد الزين فى هذا التصوير لتعميمه الحكم على الإنسان ثم ويتحدث شاعرنا عن الأصول الأخلاقية عند مجالسة الأصدقاء :

وإن تكن جليســـا      فلا تكـن رئيســـا

إياك والتكليفـــــا      لتخـــدع الأليفـــا

دليل حســـن الألفة      إلقـــاء عبء الكلفة

فـــاية الخـــداع      تكلـــف الطبـــاع

فـــإن ذا لونيـــن      مـــن لبس الحالين

ليـــس له وفـــاء      فإنـــه حربـــاء

والأبيات ترسم الأصول الرفيعة عند حضور مجالس الإخوان فتحذر من الغرور والتكلف والغش والخداع لأنها أمور تحط من شأن الإنسان . وجميل تعبيره ( فلا تكن رئيسا ) الذى يصور الجليس بصورة المغرور المتكبر الذى يجد فى نفسه العظمة وعلو المنزلة والتفرد والتميز ويستطيع المتذوق استحضار هيئة هذه الشخصية التى تبدو على ملامحها سمات الكبرياء الأحمق العبوس الذى يضم العجب بالذات واحتقار أصحاب الجلسة وقد أجاد المفتن حينما عبر عن حسن الألفة وجمال المعاملة بعبارة ( إلقاء عبء الكلفة ) فصور أنها حمل ثقيل يشق على صاحبها وجدانيًا واجتماعيا كما أن هذا العبء يكشف كذبه مما ينتج عنه احتقار الناس له وانصرافهم عنه لقد ذم أحمد الزين تكلف الطباع وصور ذمه تصويرًا جيدًا مع تمتع التصوير بالقدرة على نقل الإيقاع العاطفى من الشاعر إلى المتلقى الذى أدرك رغبة المنشئ فى التنفير من الغرور والغش وبالتأمل فى صورة الشاعر :

فـــإن ذا لونيـــن      من لبس الحـــالين

ليـــس له وفـــاء      فـــإنه حربـــاء

لقد صور شاعرنا هيئة المخادع بهيئة الحرباء التى تتلون حسب البيئة والشخص الذى يتصف بهذه الصفة بعيد عن الإنسانية التى كرمها اللـه ويبدو من المعانى أن المنشئ تجرع من مجتمعه آثار الغشى الكذب والخداع ولهذا يجد المتذوق أن معانيه باكية ساخرة لزوال الصداقة السامية :

وأكثـــر الإخـــوان      فـــى ذلك الزمـــان

مصـــاحب لمـــال      يرغب فـــى النـــوال

أوراهـــب توعـــدًا      يظهـــر لـــى توددًا

لكنمـــا الصـــديق والصـــاحب الرفيـق

من كان لى مواســيا إذا رأنـــى شـــاكياً

ومـن رعـــى إخائى فـــى البؤس والرخاء

لم يدنـــه يســـارى ويقصـــه إعســـارى

وعهـــده جديـــد إن رثـــت العهـــود

وغايـــة الإخــــاء والصـــدق فى الولاء

من وصـــل الإخوانا لا يبتغـــى شـــكرانا

غير رضـــاء منهـــم فالله يجـزى عنهـــم

وقصيدة ( فى الاستكثار من الإخوان والإقلال منهم ) ترنمت بفضل الصحبة ومنزلتها للإنسان وقت الشدائد وكشفت عن حدود العلاقة بين الإنسان وأصحابه حتى تستمر العلاقة سامية طاهرة تجدد ينابيع العواطف النبيلة وفـى نهاية القصيدة بين أحمد الزيـن أن أكثر الإخوان منـافق يرتـدى ثيـاب النفـاق والرياء لسانه معسول ولكنه ذميم يبغى بسلوكه علة ما فقد يرغب فى القرب لتحقيق الهـدف المـادى ثـم يقـر هاديـاً ويخلـع ثيـاب الأخـوة ويصمـت ألمنشئ ويتأمل أبعاد فكرته ليعلن أن الصديق والصاحب هو الذى يرتبط بصاحبه فى الشدة والرخاء يمسح بحنانه بكاء مشـاعره ويكـون تسـمة رقيقـة تخفـف الآمـه وتبث فى نفسه الأمن والسلام وتغرس بذور الرضـا والسـرور هذا الصـاحب الخلوق يحافظ على عهود الود والولاء ويصل صديقه لغاية نبيلة هى الرابطـة الإنسانية التى حث عليها الإسلام وفى هذا غايـة الرقـى النفسـى الـذى يعشـق رضوان الله :

غير رضـــاء منهـــم فالله يجـزى عنهـــم

والقصيدة حية المعانى صادقة العاطفة واضحة الصور وصورها تعتمد على إثارة المتلقى : بالإيقاع الوجدانى والاجتماعى فى دعوة صريحة لكيفية اختيار الإخوان والاستكثار منهم والنص يتسم بواقعية التشكيل التعبيرى وأفكار القصيدة تكشف عن تدهور أخلاقى ساد المجتمع المصرى وأثر على أخلاقياته وقيمه ولعل هذه الأفكار تردد ما يسود مجتمعنا المصرى اليوم بفعل التيارات الفكرية الأجنبية التى تحاول تمزيق الروح المصرية الأصيلة مما دفع الإعلام المصرى إلى إعداد البرامج التربوية التى تحذر من الانقياد وتنادى بصحوة أخلاقية عمادها التمسك بالقيم الاسلامية وقد قام أزهرنا الشريف بإعداد ندوات لبناء الخلق الإسلامى الرفيع .

ولعل المتلقى الكريم يسأل عن طبيعة القيم ( فى الاستكثار من الإخوان والإقلال منهم ) يتبلور هذا من استطلاع المعانى وتأملها حيث يجد المتذوق تبلور القيم فى سلوكيات الإنسان الذى ينتقى إخوانه من الشرفاء الذين يتسمون بالكرم والعطاء وطهر القلب وصفاء المشاعر وصدق الوعود كما تبرز القيم فى سلوكيات الإخوان الذين يختارهم الإنسان فالصديق منهم يتزين بالوفاء والولاء وحسن الوصال وجمال الود ولطف العشرة وطيب الألفة وهى سلوكيات إسلامية عالية .

ويمر على المتلقى الكريم نسيم القيم الأخلاقية فيجد شاعرنا يتغنى بسمات الفضل وحسن الخلق وما يبرز فى الكلام والصمت من سلوكيات سامية يعكسها العقل واللسان وقد ترجم أحمد الزين ( فى الكلام والصمت )(١) رؤيته الأخلاقية فقال :

---

(١) الديوان ص١٤٦ .

القوس بالسهام والمرء بالكلام

فآية الكمال إصابة المقال

عقل الفتى مكتم يظهره التكلم

وإنما الإنسان العقل واللسان

سلامة العقول فى قله الفضول

قل حسنا لتسلما أو استمع لتغنما

وحاذر الإكثارا ولا تكن مهذارا

لا يزدهيك صامت إن الجماد ساكت

بدأ الشاعر علاج أفكاره بصورة بديعة تدل على خصوبة خياله وقدرته على الربط بين الأشياء فالقوس لا قيمة له إلا بالسهام وهكذا الإنسان تتجلى قيمته وعلو قدره من منطقة الذى يعكس فكره ويحدد درجة تفهمه للأمور بوعى وذكاء ويبين المنشئ أن كمال الإنسان فى قدرته على التعبير الصحيح البليغ فالعقل لا تبرز ملكاته وطبيعته إلا عند الحديث وبهذا فالعقل واللسان يعكسان شخصية الإنسان ولهذا يجب على الإنسان نطق الخير أو الصمت . ويتغنى شاعرنا بالعقول السليمة الراقية التى تعلن عن نفسها بمنهجها السلوكى النابع من القيم العالية التى تحذر من الفضول والابتذال فى الهذار ولغو الكلام وكثرة الثرثرة ويقف شاعرنا مع نفسه لحظة ليوضح طبيعة الصمت الجيد ويفصل بينه وبين صمت الأحمق الذى يجهل حقائق الأمور :

لا يزدهيك صامت إن الجماد ساكت

رغم أن أحمد الزين يشجع على قلة الكلام أو الحديث الحسن أو الاستماع إلا أنه فى الصورة التعبيرية السابقة يحذر من الانخداع بالصامت

فقد يكون جاهلاً فارغ العقل والقلب سطحى المشاعر جاف الخواطر والصمت هنا ليس دلالة على التميز وهل يتميز الجماد بصمته القاتل أو ينال شرف السكوت؟

وقد أجاد شاعرنا حين جمع بين الإنسان الصامت وبين الجماد واستطاع بيان هيئة الإنسان الصامت وصلابة روحه والمتذوق للفكرة السابقة يدرك بلاغة شاعرنا وسعة أفقه وقدرته على الربط الجيد بين الصور وقد أعجبنى تعبيره :

عقل الفتى مكتم . يظهره التكلم

فالتعبير ( مكَّتم ) بتكوينه الصوتى الذى أبرزه التشديدإلى جانب استحضار الهيئة يكشف عن عمق التكتم وشدته الذى لا يظهره إلا الكلام والصورة جيدة الحبك البيانى بليغة المعانى وينطلق شاعرنا فى تصوير المتكلم وهيئة المتحدث .

| | |
|---|---|
| كم صامت لجهله | وناطق لفضله |
| وليس ترك المنطق | دليل حسن الخلق |
| رب سكوت عى | ورب نطق غى |
| وإن علا الجدال | وانتضل الرجال[١] |
| وعزك الخطاب | وأعون الصواب |
| كان السكوت غنما | حتى تصيب المرمى |
| ذرهم على جدالهم | تصغى إلى أقوالهم |
| واحرص على أن تسمعا | أكثر من أن تسمعا |

---

(١) انتضل الرجال : تفاخروا .

يرى أحمد الزين أن الصمت قد يكون دليلا على الجهل بالأمور وأن الحديث قد يدل على سوء الخلق وجفوة الإنسان وشاعرنا يرى أن السكوت أو التحدث يجب أن يرتبط بالمواقف وأن الماهر بالأمور هو الذى يجيد اختيار لحظة الصمت أو الحديث ويضرب مثلاً لهذا بشدة احتدام جدال الرجال وهى يجب على العاقل التزام الصمت فيها مع سماع جدالهم ليحدد طبيعة منطقة ويستطيع إصابة مقاله والمتذوق لهذه الفكرة يدرك سمة التكرار على سبيل المثال .

قل حســـنا لتسلما أو اســـتمع لتغنما

وقوله :

واحرص على أن تسمعا أكثـر مـــن أن تسمعا

والبيان دعوة للحرص على المنطق الصحيح الذى يصون كرامة الإنسان والأبيات جميلة تنقل نغمات صوتية ومواقف سلوكية ناطقة الملامح :

( وإن علا الجدال - انتضل الرجال ذرهم على جدالهم - تصغى إلى أقوالهم - احرص على أن تسمعا ) هيئات ناطقة الملامح عبر قدرة بلاغية تصف بدقة عالية المواقف حتى يتخيل المتذوق أنه يتفاعل مع هذه الأحداث مما يدل على صدق الايقاع التصويرى العاطفى .

حتـــى ترى ما يجمـــل منهـــا وما يســـترذل
فانتق منهـــا ما صفـــا وأطـــرح المزيفـــا
واحفظ جميـــل القـــول فهـــو لقـــاح العقـــل
حتـــى تراهـــم ضلوا وأخطـــــئوا وزلوا

وقد خبـــا الجـــدال وانقطـــع المقـــال
فانهض برأى صـــائب واضرب بسـيف قاضب
وألبـــس لكل ملبســـه واجلـــس لكل مجلســـه
وراع منهـــم النـــاس تـكن مـــن الأكيـــاس

صور المنشئ مواقف الخلاف وحدة الجدال وبين كيفية التصرف الحسن والسلوك الطيب الذى يثمر الحلول المثالية فبين أن الإنسان السوى لا يتدخل إلا بعد الإلمام التام بالقضية ويستمع أثناء جدال الخصوم إلى جميع الأراء ثم ينتقى منها الجيد الذى يصفى النفوس ولهذا ينصح أحمد الزين باختيار أجمل الأقوال للحد من الجدال وقتل سموم الشيطان فصاحب العقل الخلوق ينهض بوحى من عقله الراجح برأى صائب يقتلع جذور الخلاف بحكمة تناسب الموقف وخلق يوافق طبيعة أصحاب الجدال وشاعرنا المرهف خبير بنفوس مجتمعه يتسم بذكاء متجدد وشعور حى يلتقط شعاع الموقف فيضع حلوله التى تبنى على أصول أخلاقية وقد صور أحمد الزين هذه المعانى عبر سطور جيدة الألفاظ :

فمثلاً صياغته :

فانتق منهـــا ما صفـــا وأطـــرح المزيفـــا

صور الأراء بالأشكال الحسية التى يختار منها الجيد البديع ويطرح المزيف الذى يضر أهل الخصومة وقد أجاد المنشئ عندما عبر عن الرأى الجميل الجيد بأنه ( لقاح العقل ) وهى صورة لطيفة بديعة تعج بالحركات الخصبة عندما يتصور المتلقى حركة الرياح ونقلها للتخصيب لميلاد بذرة

جديدة ويربط بين هذه الهيئة وحركتها وبين الرأى الجميل وأثره فى تغذية العقل والوصول إلى ميلاد حلول منشودة تغرس السعادة فى النفوس .

كما أجاد شاعرنا حينما صور الرأى الصائب الذى يجب أن ينهض به الخلوق لحد النزاع :

فانهض برأى صـــــائب        واضرب بســـيف قاضب
وألبـــس لكل ملبســـه        واجلـــس لكل مجلســـه

البيتان يتمتعان بجمال الإيقاع اللفظى والتأثير التعبيرى فالمتذوق يتخيل الإنسان الراجح عندما ينهض بشهامه ليعلن الرأى الراجح وعبارة ( فانهض ) تدل على شدة الحركة مع الثقة وعبارة ( اضرب بسيف قاضب ) توحى بسرعة التصرف لحسم الموقف وقد صور الرأى الصائب والقول الراجح بالسيف القاطع الذى يفصل بين الحق والباطل وهى صورة حسية جميلة وضاعف من جمالها التعبيرى مقولته :

وألبـــس لكل ملبســـه        واجلـــس لكل مجلســـه

فالسيف القاضب قد يصلح لموقف وقد لا يروق استخدامه فى آخر .

وينبع الجمال اتعبيرى من الصورة الحسية لرجاجة الرأى فقد صور الرأى بالثياب الجيدة ومع تعدد الأراء تتعدد الثياب والراجح من يلبس الموقف الثياب المناسب الذى يقضى على الخلافات ليسود الود وينشر الحنان أجنحتة الوردية ويستمر شاعرنا فى بيان كيفية حسن السلوك :

وراع فهم النـــاس        تكن مـــن الأكياس
دليل حســـن العقل        ومن سمات الفضل

تقديـــــرك الأدواء          ووصـــفك الـــدواء

ولاتكن ممـــن غدا          يضيع علمه ســـدى

يجالــــس الفـــلاحا          ويقرأ المصـــــباحا

والأبيات دعوة لحسن التصرف النابع من القيم العالية حتى تضفى علـى صاحبها جمال الصفات حينما يـدرك بفطنتـه عقـول الأشـخاص الذيـن يتعـامل معهم فيعطى لكل منهم الرأى الصائب الـذى يقنـع وجدانـه وعقلـه وقـد صـور شاعرنا هذه الفكـرة بصياغـة أدبيـة جيـدة نبـع منهـا المعنـى الحسـن والحكمـة البليغة والتأمل الحى الذى تفجره ظروف البيئـة الخاصـة والعامـة التـى غـذت مشاعر وفكر الشاعر :

دليل حســـن العقل          ومن ســمات الفضل

تقديـــــرك الأدواء          ووصـــفك الـــدواء

والمنشئ فى هذه الصورة يصور الجمال العقلى لصاحب الرأى الصائب فجعل – رجاحة العقل من الفضائل العليا ووصف هذه الفضيلة بالحسـن الـذى تختلف مقايسـه مـن متذوق لآخر والبيـت الثـانى يرتبـط بالسـابق لـه ارتباطـا معنويا يكشف عن رؤية الشاعر للحياة وطبيعـة فكـره والصـورة جيـدة صـور فيها الشاعر حسن العقل وجماله وبيـن أنـه يظهـر فـى تقديـر الـدواء لكـل داء وجميل تعبيره عن الخصام بالداء الذى يمزق الجسـد البشـرى ويتركـه ينـزف حتى يتلاشى تماما .

ويستمر المنشئ فـى تحذيـره لصـاحب العقـل الراجـح بأسـلوب تـأملى منطقى ينم عن ايقاع عاطفى اجتماعى ساخر :

ولاتكن ممـــن غدا          يضيع علمه ســـدى

يسخر شاعرنا من الظروف التى يتعرض لها الشرفاء من قومه ولعله يرمز لنفسه التى تجرعت مرارة الحرمان وأصبحت رهينة حبيسة رغم توقد فكره وذكاء عقله فهذه المعانى المصورة مواساة لنفس جريحة عالمه يضيع علمها سدى بين أشخاص هم ضحايا الفتن الأجنبية والتيارات الفاسدة .

ولهذا يرفض أحمد الزين العاقل أن يجالس الفلاح ويقرأ المصباح(١) والشاعر لا يسخر من الفلاح أو مجالسته إنما يرى أن لكل إنسان ما يناسبه من عطاء يغذى فكره ويمده بعناصر تكون شخصيته وتجعله سلطانا فى مكانه ولعل شاعرنا يندد من طرف خفى بمحاربة الإنجليز للعلم وخاصة تعلم أصول اللغة العربية وإغراء النشىء بالأنصراف عن التعلم إلى إعمال أخرى بحيث لا يجد العلماء الفئة التى تتخصص للعلم ويشير أحمد الزين إلى علوم العربية السائدة فى عصره مثل البديع والحديث والتفسير والتجويد والفقه والتوحيد وهى العلوم التى تلقنها شاعرنا فى الأزهر الشريف ويشتد تهكم شاعرنا فى تحذيره لصاحب الرأى الراجح بعد عرض علمه :

أمام من لا يفهمه وعند من لا يعلمه

لأن هذا السلوك يكشف عن جهل صاحبه فيصبح :

كواضع الجلنار فى لجج البحار

ليجمل المذاق ويحلو الحراق

ولن يكون ذاكا ولوسما الأفلاكا

(١) المصباح المنير : معجم ألفه العلامة أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومى المتوفى عام ٧٧٠هـ حققه الدكتور عبد العظيم الشناوى أستاذ النحو والصرف بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر الشريف .

صور شاعرنا سيىء التصرف الذى يضع الشىء فى غير موضعه بمن يضع زهر الرمان البديع الشكل اللذيذ الطعم فى أعماق البحار المتراكمة فى الظلمات مع ذروة ملوحتها والصورة الأدبية بارعة عندما يجسدها المتخيل فزهر الرمان صغير الشكل جميل المنظر ينثر فى بحى لجى ظلماته حالكة شديدة السواد بقصد تغير ملوحته وتخفيف حدتها . والمتذوق لهذه الصورة البديعة يدرك مهارة المنشىء وعلو ملكته التصويرية ومقدرته البلاغية .

ويختم شاعرنا قصيدته التأملية الفسلفية بحكمة بديعة : ـ

لا تطغك العـــلوم        تحفـــك الهمــــوم

كن عالماً كجـــاهل        إن كنت جد عـــاقل

وهذه الحكمة العالية دعوة لتجنب الغرور ومضاعفة الارتشاف من رحيق العلم .

فالعالم يجب أن يكون متواضعاً خلوقاً يعلم أن الله وحده هو المحيط بكل العلوم حتى يكتسب العقل الراجح الذى ينشر عليه الجمال المعنوى والحسى ولا يهتم بالكبر الممقوت . وقد أجاد شاعرنا عندما صور المغرور بعلمه بمن يطغى على الآخرين والقصيدة جميلة تعج بالصور الأدبية التى جسدت الإيقاع الفكرى والعاطفى والأخلاقى :

وتنطلق القيم الأخلاقية ( فى الكلام والصمت ) لتتجسد فى حسن التصرف وشجاعة الرأى وحرية الفكر وعزة التواضع وكبرياء الشرفاء ويسير المتلقى فى روضة أحمد الزين فيقطف من أرجيزه ثمرة ناضجة أطلق عليها ( آداب المعلم ) .

وهى قصيدة هادفة ترمى إلى غرس العلم فى روضة يانعة تثمر الثمار الطيبة التى تفوح بأسرار الجمال فتناقش علاقة المعلم بتلاميذه وتبين قدر المعلم وجلاله وهيبته ومنزلته الشريفة التى تنشر نسيم العلم والمعرفة فترفرف أجنحة القيم عل المجتمع وتعم الأنوار قال فيها :

| | |
|---|---|
| لا تمت العلم بترك بذله | ولا تعلمه لغير أهله[1] |
| تضيعه كفارس النرجيل | ضلالة منه بارض النيل |
| وابخل به حتى تصيب الموضعا | ضنا بفضل العلم أن يضيعا |
| ما كل موطن يطيب البذل | كم موطن يحسن فيه البخل |
| وإنه ليس من الإنعام | تقليدك اللؤلؤ للأنعام |
| أخسر من أبصرت فى الحياة | من جاد بالسقيا على الموات |

بدأ شاعرنا فكرته بنصيحة رشيدة بين فيها أن العلم درة غالية وهبها الله لعباده لإسعادهم وقد أدرك المنشىء هذه القيمة العالية فبين أن الأمانة تقتضى بذله فى أهله حتى تتحقق ثمرته المرجوة وصور للمتلقى أن تقديم العلم لغير أهله يعمل على تدمير هذه النعمة العظيمة والصورة ( لا تُمت العلم بترك بذله ) دعوة صريحة لاستمرار طلب العلم ومحاولة الإقبال على فروعه برغبة إيمانية تشرح قلبه حتى يغرس خلق العطاء العلمى لطلاب المعرفة وجميل تعبيره عن العطاء بالبذل الذى يوحى بالعطاء المصحوب بالجهاد والكفاح بعشق وأمل وجميل من الشاعر أيضاً تصريحه بأن ترك العلم يؤدى إلى موته والمعنى صيحة عالية للمعلمين يحذرهم بها أحمد الزين من منهج الدخيل الذى يحاول جاهداً سحب تفكيرهم من الجهاد فى طريق العلم إلى

---

(١) الديوان ص١٤٨ .

تجنيدهم للثقافة الأجنبية للقضاء على أصول التراث الإسلامى المصرى ومع شدة حرص شاعرنا على طلب العلم حذر من بذله لغير أهله حتى لا يصبح كمن يغرس ثمرة فى غير أرضها مما يساعد على ضياعه كغارس النرجيل([1]) فى أرض النيل :

تضيعه كغارس النرجيل ضلالة منه بأرض النيل

والتعبير السابق يدل على ذكاء شاعرنا وربطه بين قضيته الشعرية وبين ظروف البيئة فالصورة التعبيرية : ( تضيعه كغارس النرجيل – ضلالة منه بأرض النيل ) صياغة تهكمية على من يحاول إقحام العادات والتقاليد الأجنبية بأرض مصر وقد وصف من يقدم على هذا بالضلالة والمتذوق للفظة ضلالة يدرك أنها تبين خبث صاحبها وسوء نيته فالمضل قد يعلم المواطن التى يضعف بها كيان خصمه ولهذا فالتعبير بـ ( ضلالة ) أدق فى الإصابة من لفظة الجهل الذى يتحمل معه صفاء النية ويتحدث شاعرنا عن سلوك البخل فيرى أن له موضعاً يطيب فيه مثل العالم الذى يبخل بعلمه حرصاً على قيمته العالية وإدراكه أن للعلم رواده الذين ينشر بينهم ولهذا يحث شاعرنا فى صورة أدبية جيدة على بذل العلم بين عشاقه وتجلت موهبة المنشىء البيانية فى قوله ( ضنا بفضل العلم أن يضيع ) والضن البخل المشوب بشدة الحرص مع الإدراك الواعى لهذا السلوك وقد منحت ( ضنا ) بصوتها الموسيقى صورة البخل وكيفيته ودرجته ويعلن شاعرنا أن البذل والعطاء يمدح فى موطن ويستبعد من آخر :

ما كل موطن يطيب البذل كم موطن يحسن فيه البخل

---

(١) النارجيل : جوز الهند

كرر الشاعر فكرته التى تحث على بذل العلم فى موضعه لشدة إيمانه بفكرته وحرصه على العلم وبذله بين رواده حتى يثمر ثمرته المرجوة مثل نشر القيم الإسلامية العالية والسلوكيات الطيبة والتمسك بعاداتنا المصرية مما يدل على الأصالة وقوة الشخصية .

ويأتى شاعرنا بصورة بديعة ليبرهن على صدق رؤيته .

وإنه ليس من الإنعـــام        تقليدك اللؤلـــؤ للأنعام

والصورة ساخرة تثير لدى المتذوق روح الاستخفاف عندما يتخيل الإبل والشاه تتزين باللؤلؤ فهى فى هذا المشهد كمثل الحمار يحمل أسفارا وهكذا الجهول الذى يتلقى العلم دون تقدير لقيمته والرابط بينهما الإغفال التام للقيمة الإيجابيية العالية لما يتزين به .

ويأتى شاعرنا بحكمة نابعة من وحى البيئة :

أخسر من أبصرت فى الحيـــاة        من جاد بالسقيا على الموات(١)

البيت نقد لسلوك اجتماعى يتصل بالعادات والتقاليد ومن زاوية أخرى يكشف عن الخسران المبين الذى يلحق بالمعلم ومجهوده المبذول حيث يحاول بعث الفكر فى نفس صماء وقد صور هذه الهيئة بمن يجود بالسقيا على الموات من الأراضى التى لا تنبت مع علمه بهذا مما يدل على أنه سلوك الجاهل الأحمق الذى لا يقدر أبعاد تصرفه وشاعرنا بهذا يندد بحال البلاد وما أصبح عليه أهلها من فقد للروح التى تميز مصيرتهم . ويعالج شاعرنا فكرة البخل والكرم فى العلم مع طلابه :

---

(١) الموات : الأرض التى لا تنبت .

| | |
|---|---|
| والبخل بالعلم على من يثمر | به نبات العلم ظلم أكبر |
| من ضن بالعلم على الجهال | أبخل ممن ضن بالأموال |
| فأنه من ضن بالإنفاق | من ماله يخشى من الإملاق |
| والعلم لا ينقصه التكرم | به ولا يزيده التكتم |
| فاستبق فضل العلم بالتعليم | وزك غرس الفهم بالتفهيم |

يناقش المنشىء فى صورة أدبية واضحة الملامح سلوك البخل مع عاشق العلم وكأنه يذكر المتلقى بأن للبخل مواطنه وأن للبذل مواضعه فالمعلم الذى يبخل بعلمه على البذرة الطيبة ظلوم لها ويهدر حقها فى الحياة ويتسبب فى قتل روحها التى تعشق العلم وترى أن من يضن على الجهال بالعلم أبخل بمن يضن بالأموال ويربط الشاعر بصورة حسية بين البخل بالعلم والبخل بالمال مصوراً ثمرة هذا السلوك فالبخيل بماله يخشى الفقر والنقصان وأما العلم فيزيده العطاء بركة ونماء .

إن العلم فى أهله يثمر أغصان النور ويختم الشاعر فكرته بضرورة بذل العلم لأهله حتى ينال المعلم شرف التعليم :

فاستبق فضل العلم بالتعليم وزك غرس الفهم بالتفهيم

وهى دعوة صريحة لبذل العلم فى أهله واستمرار هذا البذل بالتعليم لتنعم مصرنا برفعة المنزلة وجميل تعبيره ( وزك غرس الفهم بالتفهيم ) حيث صور العلم بالغرس الجميل البديع الذى يضاعف جماله رعايته وتعهده حتى يراه يبتسم من فرط العزة والشرف فالعلم غرس طيب يعلو ويرقى ويسمو ببذله لرواده والمجاهدة فى تأصيل جذوره ويتعرض أحمد الزين لصفات المعلم وسلوكه :

| | |
|---|---|
| وكن بمــن علمته رءوفــاً | لكى يرى منك أبا عطوفــاً |
| ولا تسلــه فهــم ما لا يفهم | ولا تقد بالعنــف من تعلــم |
| الصعب بالشــدة لا يقــاد | فارفــق به يسلس لك القياد |
| وحلــه بحليــة الكمــال | فإنها عــون على المعــالى |
| ونقــه من درن الصفــات | واملأ فــؤاده من العظــات |
| عــودة خلق الود والتعاون | فالمرء لا يبلــغ بالتهــاون |
| جمله قبــل العلــم بالآداب | واللين فى السؤال والجواب |
| فإنــه صحيفــة بيضــاء | يكتب فيهــا المرء ما يشاء |

الأبيات نداء سامي ينادى به أحمد الزين المعلم بصفات سلوكية ونفسية راقية تكون منبع العلاقة بينه وبين طلابه أولها تحقق عاطفة الأبوة فى المعلم فالصورة :

وكن بمن علمته رءوفــاً    لكى يرى منك أبا عطوفاً

بنيت للمعلم أن بذله العلم يثمر ثمرته المرجوة عندما ينبع من قلب رءوف حيث يشعر التلميذ أن معلمه يتمنى له الخير والبركة وهو فى هذه العاطفة الرقيقة مثل أبيه فيقبل على ارتشاف العلم والمعرفة ويشعر بالأمن ولعل أحمد الزين ذكر عاطفة الأبوة لأنها المزيج الذى يذوب فيه الحنان مع الحزم واللين مع العقل وتعليم الصغير فى حاجة إلى هذا المشيج الذى يدرك بحكمة متى تفيض عواطفة وتنساب ومتى يحكم عقله لإصلاح إعوجاج الصغير .

ومن أخلاقيات المعلم الرفيعة الفاضلة احترام قدرات التلميذ وإدراك الفروق الفردية بينه وبين أقرانه ولهذا فالمعلم الكيس يفهم من

عيــون طلابــه مــن يجيـد الفهــم ومــن يحتــاج لفـترة زمنيــة لفهــم مغــزى المعلومــة :

ولا تسله فهم مالا يفهم          ولا تقد بالعنف من تعلم

إن للمعلم رؤية فى طلابه يعلم من عيونهم من يجيب ومن يخفق ولهذا علية مناقشة حاضر الخاطر ليعالج الآخر برفق وبروح سامية لا تسبب للتلميذ الحرج ولا يشعر بالتهكم والسخرية حتى يسير فى مراحلـه التعليميـة بيسر وسهولة بل قد تدفعه حسن المعاملة إلـى الاجتهـاد المحمـود فيتفنـن فـى كيفيـة التحصيل ليروق اسمه معلمــه وتضـاء صفحتـه سـمعته بيـن أقرانـه وفـى هـذا السلوك التربوى بناء سوى لشخصية الطـالب القـادر علـى الابتكـار والإبـداع وفيه عناصر التشجيع لغيره ويستدل المنشىء على صحة رؤيته السلوكية بأن:

الصعب بالشـدة لايقـــاد          فارفق به يسلس لك القيـاد

وهى صورة تعبيرية بديعة صور فيهـا أحمـد الزيـن أن الصعـب لايقـاد بالعنف بل بالرفق والسلاسة وقد صور الأمر الحسى بالمعنوى ومـزج بينهمـا بحس مرهف فالصعب الحسى يقابل تعسر استقبال الطـالب للمعلومـات وهـذا يستدعى الرفق مع الصبر حتى يحقق المعلم رسالته علـى أكمـل وجـه ويبيـن المنشىء للمعلم أن سلوكه الرفيع لن يعود على الطالب وحده بالنفع بل يغـرس له سمة الشرف وترفرف له راية المعالى :

وحله بحليـة الكمــــال          فإنهـا عون على المعالى

صرح شاعرنا عبر أسلوب جيد بليغ ما يعود على المعلم من علو منزلة ورفعة عندما يرتفع بشأن تلميذه وجميل تعبيره ( وحله بحلية الكمــال ) وحليـة الكمـال تتجلى فـى الثنـاء عليـه إذا أجـاد وتشـجيعه إذا أخفق ويشـعره بكمالـه

الفكرى والنفسى وما يقدمه المعلم من محاسن لتلميذه يدفعه بالتالى لذكر معلمه والثناء عليه وقد أجاد شاعرنا عندما ذكر أن سلوك المعلم وخلقه الشريف يثمر ثمرة الكمال للتلميذ والمعالى للمعلم والكمال للطالب يرمز لتحقيق البناء الفكرى والوجدانى أما المعالى للمعلم فهى رمز لاستحقاقه ممارسة هذه المهنة الشريفة ويتغنى شاعرنا بالصفات التى يجب أن يغرسها المعلم فى نفوس طلابه :

ونقه مـــن درن الصفات وامــلأ فـؤاده من العظات

عوده خلق الود والتعاون فالمـــرء لا يبلغ بالتهاون

ويستمر المنشىء فى بث القيم الأخلاقية التى توحى بالبناء الجمالى المطلق فيرى أن من واجب المعلم تطهير تلاميذه من الصفات السيئة وغرس المثل العالية النابعة من آيات الله وسنة رسوله ﷺ .

ولطيف تعبيره ( نقه من درن الصفات ) وتنقية الشىء تطهيره من الشوائب بصبر حتى تغرس فيه الوقاية التامة ضد أى صفة سيئة وقد أبدع فى تعبيره عن الخلق السىء ( بالدرن )([1]) حيث استطاع تنفير المتذوق من الصفات السيئة الوضيعة كما استطاع إثارة عزيمة المعلم لتربية تلاميذه تربية نفسية وسلوكية راقية ويترنم المفتن بخلق الود والتعاون وأثره العظيم بين الطلاب وخاصة فى تلك الفترة التى اضطربت فيها أحوال البلاد وحاول الدخيل غرس روح التفرقة بين أبناء الشعب المصرى .

ويمعن شاعرنا فى ضرورة غرس القيم السامية قبل تلقى أنواع العلوم والمعارف :

---

(١) الدرن الوسخ وتلطخه مادة درن لسان العرب .

جملة قبـــل العلـــم بالأداب　　　واللين فى السؤال والجواب
فإنـــه صحيفـــة بيضـــاء　　　يكتب فيهـــا المرء ما يشاء

توحى عبارة ( جملة ) بما يجب على المعلم من العطاء الجميل والتربية المتميزة التى تضفى على الطالب رونق الرفعة والشرف .

وقد أجاد فى تصويره لفكر ووجدان الصغير بالصحيفة البيضاء مما يوحى بأن المعلم الذى يستحق العمل بالتعليم يحفر فى هذه الصحيفة سطور نورانية شعاعها السلوكيات وعطرها الروحانيات .

ويبدأ شاعرنا التغنى بفكرة تبين أن المحامد الأخلاقية الرياحين التى تمد بستان العلوم والمعارف بعطر الرقى :

قد يحمد الجهل مـــع التأديب　　　لا خير فى علـــم بلا تهـــذيب
لا تحسن العـــلم بالقـــــواعد　　　يعليك إن لم تعـــل بالمحـــامد
واعمل بما أنت إليـــه ترشـــد　　　وانته عمـــا أنت عنه تبعـــــد
لا تحـــم ورداً أنت منه ناهـــل　　　ولا تحلـــــه وأنت عاطـــــل

يبين الشاعر أن الجهل بالعلوم والمعارف لا ينقص من أدمية الإنسان فالذى يهدرها سلوكه البغيض الذى لا يشفـع معـــه علم ولامعرفة فالعلـــم لا يرفـع صاحبه إلا إذا تزين بالمحـامد حتى يرتفع شأنه وجميل من شاعرنا المعنى ( لا تحسبن العلم بالقواعد يعليك إن لم تعل بالمحـامد ) حيث جعل أصل علو الإنسان وارتفاع شأنه من الخلق المهذب ومرجع ذلك أن المعلم قدوة فى سلوكه لتلاميذه :

وأعمل بما أنت إليـــه ترشد　　　وانته عمـــا أنت عنـــه تبعـد
ولا تحم ورداً أنت منه ناهـــل　　　ولا تحلـــــه وأنت عاطـــــل

يعلن المنشيء أن المعلم قدوة لطلابه فلا يجوز له أن ينادى بسلوك طيب وهو يسلك عكسه فإن هذا يدفع إلى الاستهتار ويمزق نفسية التلاميذ كما أن إعوجاج سلوك المعلم يهدر القيم لدى التلاميذ فيمهد لهم طريق الكذب والنفاق والرياء والغش وجميل من شاعرنا نصيحته للمعلم بعدم الاقتراب من دعوة لقيمة أخلاقية وهو يأتى بعكسها :

لا تحـم ورداً أنت منه ناهـل　　　ولا تحلـــه وأنت عاطــــل

فالبيت صورة بديعة المعنى تبين للمعلم ضرورة تجنب الإشارة أو التلميح عن سلوك يسلكه ويريد النهى عنه وقد أجاد شاعرنا عندما بين ضرورة التجنب بقوله ( لاتحم – ناهل ) حيث يتصور المتذوق طائراً يحوم حول مكان الماء وفى ذلك تحديد لكيفية الحركة وبالتأمل للفظة ( ناهل ) يدرك المتذوق درجة الإقبال وعنفوانه وكأن شاعرنا يحذر المعلم من الإشارة إلى سلوك لا يتمثل به .

واللوحة الفنية غنية بالحركة ومجسدة للهيئةمع تمتعها بالحيوية المتدفقة.

ويمزج شاعرنا مزجاً جميلاً فى العلاقة الترابطية بين المعلم وتلاميذه :

وانصحه بالتعريض فى الخطاب　　　فإنـــه أروض للصعـــــــاب

لا تظهــــر للصحاب عيبــه　　　فإنـــه يهتك حجب الهيبـــــه

فلا أرى فى كشفه انتصاحــــاً　　　لكننـــى أرى بـــه افتضاحــــاً

وليس هذا من سمـات الفضـل　　　بل إنه خـــرق وســوء فعـل

يزيده حرصاً على الإصـرار　　　وإنـــه داعيـــة النفـــــار

يتغنى شاعرنا بأصول العلاقة الطيبة بين المعلم وتلاميذه فبين أن منهجها النصح اللطيف والإرشاد الطيب ويتخذ فى هذا منهج التعريض وتجنب

التجريح لشخصه المباشر حتى لا يدفعه الخجل إلى العناد الأعمى الذى يدمره ويشعل نيران الإصرار ويولد النفور والضغينه بينه وبينهم ويكشف شاعرنا عن أسباب سوء السلوك لدى بعض التلاميذ والذى نتج من شعورهم بالمهانة والتهكم والسخرية مما أدى بالتالى إلى هتك ستار هيبة المعلم وتفجير عيون البغض واشتعال شرارة النفور ولهذا يرى شاعرنا أن السلوك الأمثل يتبلور فى الرفق واللين والإقناع المصحوب بصدق عاطفة الأبوة .

| | |
|---|---|
| وارفق بــه ولا تكن شتامــاً | ولا تقـده للهـــدى إلزامــاً |
| فإنها مـــن صفــة الأميـــر | لا من صفات الواعظ المشير |
| مما خفظناه مـــن الكـــلام | ومـــا رويناه مـــن الأعـلام |
| أحب شـــىء للفتى ما يمنـــع | منه فلا يـــزال فيه يطمـــع |

ترنم شاعرنا فى هذه الفكرة عبر صياغة طيبة تعلن ضرورة الرفق فى الحديث ورقة النصح والنطق بالألفاظ الحسنة ونشر روح الأبوة الحانية مع الذكاء فى النهى عن المنكر والعادات السيئة وقد أجاد الشاعر فى تنفير المعلم من سوء المنطق ( ولا تكن شتاماً ) فصيغة المبالغة ( شتاماً ) تدل على سوء اللفظ مع غلظته بالإضافة إلى استمرار هذا المنهج ويرى أحمد الزين أن الدعوة إلى الهدى منهجها الحسنى أما منهج العنف فسوف يولد الإصرار الأحمق والرغبة العنيفة فيما ينهى عنه ولهذا بين شاعرنا أن النصيحة يجب أن تكون بذكاء وحذر وإدراك لنفسية التلميذ فقد يؤدى المنع إلى الطمع والتعبير بلفظة ( يطمع ) يوحى بالرغبة الجارفة مع الإصرار ويتأمل أحمد الزين فى الأسلوب الأمثل فيرى أنه يبرز فيما يلى :

| | |
|---|---|
| جمله بالتسديد فـى المقـــال | ولا تعنفــه علـــى ســـؤال |
| ورو‌ه محـــاسن الأشعـــار | وملح الأخبـــــار والأثـــار |

وذكر ما مضى من العصور ومن خلا فى سالف الدهور

فإنه أشحذ للطباع وإنه أبلغ فى الإمتاع

واذكر له طرائف الأداب فإنها تفكهه الألباب

وفق المنشىء فى تكراره للتعبير ( جملّه ) الذى يلزم المعلم بواجبه تجاه تلاميذه فعلية تغذية قلوبهم وفكرهم وتهذيب سلوكهم وتعليمهم محاسن الأشعار وجيد الأخبار والسير والوقائع التاريخية التى تغرس فى النفوس الشعور بالكبرياء والعزة وإثارة مشاعر الوطنية المصرية إلى جانب تغذية القرائح بطرائف الأداب ففيها متعة للألباب وقد أعجبنى من شاعرنا تحديده لأنواع الأشعار بلفظة ( محاسن ) ويريد المنشىء فيها ما تهدى إلى الخلق الرفيع وجميل أيضاً قوله ( ملح ) الأخبار والآثار التى توحى إلى ترقية الحس وتنمية الذوق وإثارة مشاعر المتعة ولهذا يرى شاعرنا أن المنهج الأمثل فى تعليم براعم الإسلام :

لا تؤذه بكثرة الدروس فإنها أحمد للنفوس

وأقرأ له أحسن ما يقال ولا تقل فى هذه أقوال

فإنه ليس من الإنصاف إضاعة الأعمار فى خلاف

عمر الفتى تخلقه الليالى فلا تضع عمرك فى ضلال

يناشد المنشىءالمعلم بضرورةالاعتدال فىشرح أنواع العلوم والمعارف واختيار الأيسر لمساعدة التلاميذ على الاستيعاب ولعل طبيعة عمل شاعرنا وإدراكه لطبيعة التعليم فى هذه الفترة ورفضه لمنهجه جعله ينقد مناهجه بصرخة عالية بين فيها أن كثرة الشواهد والأقوال وتكاثف الآراء فى المناهج الدراسية تفسد نفوس التلاميذ وتنفرهم من الإقبال على العلم كما بين أن هذه الخطة الدراسية عقيمة بالية تميت الفكر وتحجر الوجدان ويرى شاعرنا أن :

عمر الفتى تخلقه الليـــالى　　فلا تضع عمرك فى ضلال

يرى أحمد الزين أن عمـر الإنسـان وخبرتـه ومنزلتـه الرفيعـة يكتسبها بالممارسة والدربة والالتحام مع المواقف وقد أبدع فى تعبيره ( تخلقه ) الذى يدل على الإلمام التدريجي للعلوم بوعى وبصيرة ولهذا فلا داعى لجدال عقيم ويتعرض أحمد الزين لقضية تناقش الغاية من العلم :

لا تبغ بالعـــلم اكتساب المال　　فإنـــه مـــــن نفائس الجهـال

وأزهـــد النـــاس علا وقـدراً　　من علم العلم ويبغى أجـــراً

علمه لا تبـــــغ به جـزاء　　ولاتـــرم حمـــداً ولا ثنـــاء

واتق ســـوء المن بالتعليـــم　　فإنه مـــن خـــلق اللئيـــم

لا تبـــغ بالتعليـــم ذخـر الجاه　　فإنمـــا الذخـــر رضـــاء الله

كشف المفتن عن أسباب تدهور قيمة العلم وتدمير مكانته وتحقير مكانـة المعلم ألا وهى الرغبـة فـى تحصيـل المـال عـن طريـق العلـم مـع أن المنهـج السوى يقتضى الإقبال بشغف على العلـم لذاتـه وغـرس الرغبـة فـى تحصيلـه حتى تثمر ثمار العلا وشرف المكانـة ويتغنـى أحمـد الزيـن بخلـق رفيـع نبيـل يبرز فى شيوع الرضا لدى المعلم عندما يبصر ثمرة علمه التى تولد فى نفسه النشوة والسرور وكيف لا وفى العلم بركات الخير حيـث يرتشـف المعلـم منـه رضوان الله جـل عـلاه وقـد أشـرقت الـروح الإسـلامية فـى الصـورة الإدبيـة السابقة وتبلورت فى قوله :

لا تبغ بالتعليـم ذخر الجاه　　فإنما الذخر رضـــــاء الله

إن رضـا الحق سبحانه سعادة مطلقة وأنـوار عاليـة تسبح بالإنسـان فـى عالم الرضـوان المبارك وهو غاية البشرى والسرور لقد نظـر المنشـىء للعلـم

نظرة طاهرة صافية مقدسة نابعة من الروح الإسلامية التى تغذى بها فى الأزهر الشريف فالعلم حق لكل إنسان وغايته نبيلة فيجب ألا يدنس بهدف خسيس ولا يحقر بطمع وضيع بل يجب تكريمه ورعايته وتعهده بالحسنى حتى يكون خالصاً لوجه الله تعالى فيتقبله سبحانه ويبث فيه بركة الحضارة ونور المدينة وتصبح أمتنا خير أمة أخرجت للناس .

ويستمر شاعرنا فى دعوته للحفاظ على قيمة العلم وكأنه يتمنى إشباع فكره بما يجب .

| | |
|---|---|
| ونزه العلم عن السوءات | وخدمة الملوك والولاة |
| أكرمه عند الناس حتى تكرماً | لا تتخذه للحطام سلماً |
| ما أرخص العلم لدى الأنام | فى عصرنا كطلب الحطام |
| وإن أولى الناس باتباع | من طهر العلم عن الأطماع |
| فارفع به قدرك عما يصغره | ولا تهنه عند من لا يكبره |
| وألبس له ترفع الملوك | تعل به لا ضعه الصعلوك |

والصورة الإدبية جميلة المعنى تنطق بمنزلة العلم الشريفة وبرغبة الشاعر الصادقة فى الحفاظ عليه من شوائب المجتمع وعندما يتأمل المتذوق صورة الشاعر :

| | |
|---|---|
| نزه العلم عن السوءات | وخدمة الملوك والولاة |

يتبادر لخياله ما كان يسلكه بعض المعلمين لتأديب أولاد الملوك والولاة بقصد تحصيل المال كما يدرك ما يتعرض له المعلم حتى يرضى غرور الملوك مما يسبب له المهانة وينادى أحمد الزين المعلم من خلال صورة

أخلاقية لتكريم العلم ورعاية أمره عند الناس كافة وتجنب ما يقتلعه من جذوره فيصبح حطاماً والصورة حية جميلة :

أكرمه عند الناس حتى تكرماً        لا تتخـــذه للحطـام سلمـــاً

صور شاعرنا العلم بمخلوق يكرم وتكريمه يعود على المعلم بالرفعة وحسن المنزلة وتكريم العلم يكون بتعليمه لمن يقدره ويدرك قيمته ويعلم منزلته ويتعمق شاعرنا فى معالم صورته فيستخدم الألفاظ الموحية بتجسيد الهيئة ( لا تتخذه للحطام سلماً ) والصورة باكية تحذر من امتهان العلم فتجسد استمرار امتهانه بصورة الحطام الذى يتراكم ويتكاثف ويتداخل حتى تتشابك عناصره وتترابط من كثرته فيصبح كالسلم الذى تتصل درجاته وكأن استمرارية امتهان العلم تبنى ما يهدمه ولعل شاعرنا يحذر فى صورته من أحداث أخرى تهلك المجتمع المصرى الذى صار حطاماً فى كثير من ميادين حياته ولهذا يجب على المصريين الحفاظ على العلم لأنه آية النور وشعاع الأمل الذى يضىء ظلمة حياتهم ويصرخ شاعرنا صرخة رجاء يتمنى فيها إحياء الغيرة على العلم حتى لا يكون مصيره مصير كل جمال كان فى مصر وقبحه الأجنبى الدخيل :

ما أرخص العلم لدى الآنام        فى عصـرنا كطلب الحطام

وقد أبدع شاعرنا عندما جعل العلم يرفع قدر صاحبه إذا حافظ عليه وجميل جمعه بين المعانى الآتية :

رفع القدر وتصغيره والإهانة والإكبار فقد جمع بينها فى صورة معنوية لطيفة النسيج صادقة المشاعر مؤمنة بقضية الدفاع عن كيان العلم :

فارفع به قدرك عمـا يصغره        ولا تهنه عند مـــن لا يكبره

وقد أمعن شاعرنا فى الحفاظ على العلم بضرورة اعتزاز المعلم بمهنته وظهوره بمظهر الكبرياء وتحدثه بحديث الشرفاء بتواضع ويترنم شاعرنا بجلال العلم وقدسيته النابعة من أسرار الله وسنة رسوله صلىالله عليه وسلم:

وأنصح بما تراه غير كاتم      لا تخشى فى الحق ملام اللائم

فإنما أنت أمين الخالق      فى أرضه فانصح ولا تنافق

سر فى الورى بسيرة : الأمين      لا تشتر الدنيا ببيع الدين

فإن أضيع الورى لخيره      من باع أخراه بدنيا غيره

لا تزدهيك زينة الحياة      فكل مجموع إلى شتات

وكل نعمة إلى زوال      لابد للظل من انتقال

والمتذوق للفكرة السابقة يجد أن الصورة دعوة لبناء شخصية المعلم والحفاظ على كيانه واحترام مهنته الرفيعة ولهذا يرى أحمد الزين أن المعلم يجب اتصافه بقوة الشخصية وإعلاء كلمة الحق لأنه أمين على أمانة الخالق فى نشر العلم بين الناس ويربط أحمد الزين بين أمانة العلم وبين أمانة الحبيب المصطفى ﷺ ، قائد المسيرة الذى وضع بوحى من الله تبارك وتعالى أسس الحياة المثالية الفاضلة وأعلاها القيم الدينية التى فجرت ينابيع الحق والخير والجمال لينعم الإنسان بالجمال المطلق الذى يثير فى نفسه الشعور بالرضا والسعادة .

وشاعرنا رقيق الحس جيد التصوير عميق الفكر خصب الخيال مهذب الوجدان تشبع بالروح الإسلامية العالية :

فإن أضيع الورى لخيره      من باع أخراه بدنيا غيره

والمتذوق للصورة السابقة يدرك بحاسته العاطفة صورة معنوية عميقة الجذور صور فيها شاعرنا أن أشد الناس هلاكاً لنعيمه العظيم من غرته دنياه فباع أخرته واشترى دنيا زائله وضيعة فالدنيا جمالها فى الحذر منها وتجنب غوايتها وأبدع شاعرنا فى صورته ( باع أخراه بدنيا غيره ) فجعل الأخرة ملكه أما الدنيا ونعيمه فيها فهى حق لغيره ولعل هذا الفكر العميق من أثر الثقافة الأزهرية والصورة تدل على أن لفظة ( لخيره ) توحى بأن مهنة العلم سبيل لغاية شريفة هى إسعاد النفوس وإحياء القلوب وهى خير لصاحبها لأنها تبنى له رصيداً فى الأخرة ولهذا فالدنيا خيرها فى أن تكون وسيلة تفجر للإنسان ينابيع البركة والعلم ويختم أحمد الزين قصيدته الأخلاقية ( آداب المعلم ) بحكمة تنبثق أنوارها من تجاربه الشعورية وتأمله الفكرى :

لا تزدهيك زينة الحياة  فكل مجموع إلى شتات

وكل نعمة إلى زوال  لابد للظل من انتقال

وهى صورة تعبيرية راقية تنم عن خيال خصب وروح إسلامية سامية يحذر الشاعر فيها من إغراء زينة الدنيا للإنسان فكل زينتها لزوال وتعبيره (مجموع إلى شتات) يوحى بضعة مظاهر الدنيا الخداعة التى تنهار لحظة موت الإنسان ويجد نفسه أمام عمله فجميع نعم الدنيا إلى زوال ويصور شاعرنا تبدل الأحوال بصورة واقعية فذكر أنه ( لابد للظل من انتقال ) وهى صورة حسية بديعة فالمتذوق يتصور ظلا شامخاً يتدرج فى النقصان ثم للزوال التام وقصيدة ( آداب المعلم ) دعوة واعية للعاملين بالتدريس وخاصة فى روضة أزهرنا الشريف لصحوة تربوية إسلامية ترفرف عليها أنوار الحضارة والمدينة وهى صيحة حية تنطلق من الواقع الاجتماعى المصرى الذى نعم برواد شرفاء كانوا شعاع الأمانى الذى أضاء ظلمات المجتمع

المصرى فى تلك الفترة ومن الجدير بـاالذكر أن هـذه الصيحـة الواعيـة تضـم بين طياتها المعلمين والمعلمات فى جميع المراحل التعليمية الأزهرية والعامـة لأنهم رواد البناء لأجيال يجب أن يتحقق فيها النضج الفكرى والاتزان النفسـى إذا أدرك أعضاء هيئة التدريس وظيفتهم التربويـة التعليميـة الصحيحـة والتـى تنبع من وحـى الشـريعة الإسـلامية وترفـرف عليهـا عاطفـة الأبـوة والأمومـة الصادقة وقد مهد شاعرنا الأزهرى لوضع الأصول التربوية العالية التى ترقى بقيمة العلم ومكانة المعلم ورعاية التلميذ وكأنه كان يتمنى الاحتفال بعيـد العلـم والمعلم وهو ما يحدث فى مجتمعنا المصرى الآن حيث يهتم الإعلام بعنـاصر العلم ( القضية التعلمية – والمعلم – التلميـذ ) إن قصيـدة آداب المعلـم قصيـدة راقية واقعية بينت أهمية العلم وما يجب أن يتزين بـه أعضـاء هيئـة التدريـس من عطاء علمـى وأخلاقـى وعـاطفى يتسم بالجمـال الإسـلامى الشـريف وقد استطاع شاعرنا عبر الصـور الأدبيـة توظيـف الشـكل لكشـف أبعـاد المعـانى وتحديد ملامح الهيئات والسلوكيات لقد تغنى أحمد الزين بصفات المعلم النبيلـة التى تغرس فى نفوس التلاميذ والطلاب الإقبال علـى ارتشـاف العلـم وقـد بـدأ بالعلم لأنه العنصر الأساسـى فـى محـور القضيـة التعلميـة ولـم ينـس شـاعرنا الأخلاقـى المحـور الثـانى وهـو طـالب العلم فنظـم أرجوزتـه ( آداب المتعلـم والحث على طلب العلم ) تغنى فيها بالقيم الأخلاقية التى يجب أن يـتزين بهـا المتعلم تشرق معانيها من النغمة الأولى :

| | |
|---|---|
| لا تلــه بالمــال وبالأولاد | عن طلب العلم والاسترشاد(١) |
| فإنـــه ذخائـــر الإمـــلاق | وثـورة تزكو على الاتفاق |

---

(١) الديوان ص١٥١

وعـدة مـن غير الليــالى ‏ ‏ ‏ ‏ وخيـر ما ثمرته من مــال

ذخيـرة المعــاش والمعــاد ‏ ‏ ‏ ‏ وكـل مــا تــراه للنفــاد

يترنم شاعرنا بالعلم فى نداء واقعى يخاطب العقول النيرة التى تزن الأمور بوعى وبصيرة وتقدر أبعادها تقديراً صحيحاً وتقف أمام قيمة الأشياء فتفصل بينها فصلاً دقيقاً يكشف عن مهارة فى إدراك النفائس ولهذا بدأ شاعرنا بالرجاء الذى يحث فيه على طلب العلم لأنه أرقى النفائس وأرفعها وأعظم الذخائر وأخلدها وأظهر الثروات وأطيبها والصورة التى صوربها المنشىء قيمة العلم استخدم فيها النهى الذى يبرز نغمة الرجاء والنصيحة التى تحذر من الإغراء بالمال والأولاد والمتذوق لعبارة ( لا تله ) يتبين من إيجاد المعنى خوف المنشىء من غواية المال والأولاد وشدة أثرهما على الإنسان وقد استدل شاعرنا بذلك مما ورد فى القرآن الكريم ( إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم )(٢) .

ولهو الإنسان انشغاله بالأقل وتركه لثمرة الخير ويرى شاعرنا أن البركة كلها فى طلب العلم والسعى إليه والاسترشاد به وجميل منه تصويره العلم بأنه ( ذخائر الأملاق ) فالجمع فى ذخائر يدل دلالة قاطعة على ما للعلم من أنوار تشرق على من نفد شعاع مصباحه وأصبح مفلساً يتخبط فى طريق متراكم الظلمات إن العلم ( ذخائر الإملاق ) فهو النور الذى يبدد فقر المال

---

(٢) التغابن جزء من آية ١٥
والمعن أنهم بلاء ومحنة فقد يترتب عليهم الوقوع فى الأثم والشدائد الدنيوية وغير ذلك وفى الحديث يؤتى بدجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وهن بعض السلف العيال سوسى الطاعات وقال ﷺ ، ( إن لكل أمة فتنة وإن فتنة أمتى المال) .
روح المعانى - الألوس - بيروت حـ٢٨ ص١٢٦ بتصرف .

وفقر العقل والنفس وأجاد شاعرنا حين صور أن العلم ثروة تزكو وتزدهر كلما طلبها المتعلم وأقبل على رحيقها وقد بين شاعرنا قيمة العلم العالية حينما جعله عدة ضد أحداث الليالى ودرعًا يحمى من تغلب الزمان وقد أبدع أحمد الزين فى صورته :

فإنــه ذخائــر الإمـــلاق وثروة تزكو على الاتفاق

حيث صور شدة الإقبال على العلـم بالاتفـاق المستمر إلا أن المـال مـع كثرة الاتفاق قد تتلاشى ملامح عزته أما انفاق الوقت فى العلم يضـاعف مـن عزة صاحبه ويزيد من قيمته كما أعجبنى تصويره لعظمة العلم :

وعدة من غير الليـــالى وخير ما ثمرته مـن مال

حيث صور قيمة العلم الشريفة ومنزلته العاليـة بأنهـا الحصـن المنيـع الذى يحمى الإنسان من غدر الزمان وتقلب الأحوال وقد ربـط المشـئ بيـن كوارث الأيام وبين العلم ليوحـى للمتلقـى الكريـم مكانـة العلـم الدفاعيـة عـن كيانه كما استطاع شاعرنا عبر الصورة ( غير الليالى ) نقل إحساس الغربـة والوحشة والوحدة وما يسرى فى نفس المصاب مـن ملامـح الألـم الوجدانـى فحث بهذه الانفعالات على طلب العلم لأنــه الأنيس فـى الوحـدة والنـور فـى الوحشة والوقاية من الكارثة فالعلم قلب ينبض بسحر الحيـاة ويتغنـى بجمـال الأمان ودفء الحنان وسط أمواج الوحشة وغربـة الوحـدة ولهذا فهـو خـير مال يثمره الإنسان الكيس الفطن والمتذوق للتعبير التصويرى ( مـا ثمرتـه ) يجد أن العبارة تمثل رنينا صوتيا يصحبه الإيقـاع الـدال علـى المعنـى الجيد فالمتخيل لصورة ( ثمرته ) يقف على ما فيها من صوت التشديد الذى يوحى

بتعهد العلم واستمرار رعايته بالتحصيل الدائم الواعى ويترنم الشاعر فى صورته التالية بما يؤكد المعانى السابقة :

ذخيرة المعاش والمعاد … وكل ما تــــراه للنفاد

فالعلم ذخيرة لحياة الإنسان ومنبع سعادته يصل به إلى القيم العالية التى ترفع شأنه لأنه يقرب الإنسان إلى الله سبحانه وهذا القرب يخلق لدى الإنسان الإحساس بالجمال المطلق وقد عمم الشاعر قيمة العلم فجعله النور لكل ظلام وأنس كل وحشة وألفة كل غربة فهو عالم الحق والخير والجمال والخلود ويتغنى أحمد الزين بنعمة العلم ونعيمه وما يفيض به على صاحبه من حنان:

تحرس ما تجمعه من وفــــر … والعـــــلم حارس بغير أجر

مـن خسة المال ونقص فضله … أن قد تـــراه عند غيـر أهله

وإنما فخر الفتـــى بالعـــــلم … لافخــــــره بدولة وحكـــم

إن العـــلوم ترفـــع المملوكا … حتى تـــراه بفضـــل الملوكا

كم مـن فتى قد حط منه نسبه … أعلـــى ذراه علمــــه وأدبــه

والمـــــرء إن يعل ذراه علمه … فلا يضــــر عـــدمه ويتمـــه

وليس يرفـــع الفتـــى بأهله … وماله إن يتضـــع بجهلــــــه

أمعن شاعرنا فى بيان قيمة العلم وفي فضله على طالبه فى موازنة لطيفة تعرض فيها لفضله على المال فالمال يسبب لجامعه الاضطراب والقلق من شدة حرصه عليه خوفا من الضيـاع أما العلم فينمى فيه حاسة الأمن والاطمئنان والسعادة ويمده بكل أنواع الحماية التى تحرسه مـن

الإخفاق وتحفظه من غربة صحراء الحياة القاحلة وبديع قولـه بـأن صاحبـه يحرسه أما العلم فهو الذى يحرس طالبه أما قوله ( بغير أجر ) يدل على أن حراسة الإنسان لما له ينقص من سعادته واستقراره أما العلم فيقدم لطالبه اليمن والبركة بغير أجر .ووصف شاعرنا المال بالخسة ونقصان الفضل وبين أن دليل ضعته تملك السفهاء لـه وتمتعهم بـه. ويتغنى بجلال العلم فيصرح أنه فخر لطالبه وفيه عزته وشرفه وينفى حدوث الفضل للجهل حتى على النفس ولو كان الجاهل حاكمًا وسلطانا وقد أجاد شاعرنا عندما صور أن العلم يرفع المملوك فيصبح أكثر شرفا من الملوك الذين يعيشون فى ظلمات الجهل واستطاع المنشئ منح صورتـه الكمال حينما بين أن أصالة الفتى وعراقته فى العلم والأدب فهناك الفقير الـذى حطـه نسبه ولكن علمه كساه ثياب الفخر والعزة.

آمن أحمد الزين بفكرته السابقة ولهذا كررها بصياغة جديدة مما يدل على إلحاح المعنىمن نفسه ورغبته فى تفريغ هذه الشحنة وبلورتها للمتلقى:

المرء إن يعـل ذراه علمـــه　　فلا يضـر عـدمه ويتمـــه

وليس يرفـــع الفتـــى بأهله　　ومالـــه إن يتضـع بجهلـــه

والجمال فى الصورة السابقة ينبع من صياغته ( يتضع ) الذى يضفى على المعنى الإيحاء الشعورى برفض المال الـذى يتمتـع بـه الأحمق الغبى الـذى يغرق فـى بحار الجهل . ويحث المنشئ المتلقى على طلب العلم والسعى إليه فيغرد قائلا :

فاطلب العـلم ولو بالصيـــن　　لاتلـــه عـــن طلابه بالـــدون

واقطـــع له مجـــاهل القفار　　وخض إليـــه لجج البحـــار

واسلك إليـه السهل والأوعارا          واهجر له الأوطان والديـــارا

لا تطل الشوق إلــى الاوطان          فإنهـــا مقبـــرة الأذهـــــان

إن الجهول نازح البـــــلاد          لوكان بيـن الاهــل والأولاد

إن العلم آية الشرف ورآيه العزة وسـمة المجد فيجـب الحـرص عليـه وطلبه والارتشاف من معينه ولو فى مكان سحيق ويحذر المنشئ من اللهو بجمع المـال فـالعلم نعمـة الرحمـن وهديتـه الثمينـة العزيـزة ممـا يحتـم علـى الإنسان الرشيد تحمل المشاق من أجله وتجرع الأهـوال الماديـة والوجدانيـة والمتأمل لصورة أحمد الزين السابقة يجد تمتعهـا بوضـوح الملامـح وعمـق الدلالات اللفظية والمعنوية فالعلم هـدف نبيـل يصـل بـه الإنسـان إلـى إدراك الجمال وإحداث هذا الشعور لا يحـدث إلا بالجهـاد والكفـاح والمعانـاة التـى صورها المنشئ فى صورتين الأولى قريبة من خيال المتلقى العام حين قـال ( اطلب العلم ولو بالصين ) والثانية يتفهمهـا المتلقـى الخـاص والتـى صـور فيها ضرورة السعى لطلب العلم حتى لـو تكبـد طالبـه أنيـن الغربـة ووحشـة الوحدة فالعبارة ( أقطع له مجاهل القفار ) توحى للمتـذوق أن الطريـق الـذى يسلكه مريد العلم تتفشى فيه الأشواك ولفظة ( مجاهل ) تبين أن طالب العلم قد يتعرض لأمور لم يتوقعها ففى طريق العلم قد تتكاثف الأهوال ومـع ذلـك يجب مداومة الإقبال على العلم أما عبارة ( خض أليـه لجـج البحـار ) فهـى نداء يشعر المتلقى بحلاوة مشاق هذا الطريق الصعـب وجمـال كفاحـه الـذى يصل به إلى أنوار المجد.

ويصور المفتن المنهج الضرورى لتحصيل العلم فى كل مكان .

وأسلك إليه السهل والأوعارا          واهجر له الأوطـان والديـارا

فالمريد يجب أن يتسلح بالصبر والمثابرة ويتحمل أشواق الفراق ويضرب أحمد الزين على وتر الروابط الإنسانية التى تثير فى الذات ألم الشوق فيصور هذا صياغة واضحة الملامح ( اهجر الأوطان والديارا ) فيطلب فى دعوة صريحة ترك الأوطان والديار وعدم الاستسلام للأشواق وشاعرنا الأزهرى مرهف الحس رقيق الخواطر ففى دعوته بترك الأوطان استخدم عبارة ( اهجر ) ولم يستخدم اترك لأن الهجر يدل على العزيمة والإصرار مع رغبة فى تحصيل العلم وقد ساعد على ايحاء المعنى التكوين الحرفى للفظة الهجر إلى جانب الايقاع الصوتى لها وقد أعجبنى من الشاعر قوله (لاتطل الشوق إلى الأوطان ) وهى صورة معنوية رقيقة بين بها أن الشوق حادث الوقوع ولكن يجب عدم الاستسلام له ومقاومته حتى لايكون الحنين إلى الوطن ( مقبرة للأذهان ) وهى صورة أدبية عاطفية تدل على قوة الحنين للوطن ودرجة الانفعال به حتى يفقد الإنسان توازنه فيبكى مشاعره الدفينة التى غرستها عاطفة وطنية حفرت فى القلوب أن الوطن بلد الأمان والحنان وحضن الحب والسلام ونبض القلب وخاصة إذا كان هذا الوطن مصر الحبيبة بلد الأزهر الشريف راية الإسلام وآية العلوم والذى يتعايش مع العواطف السابقة يدرك أن الاستغراق فيها مرعاة طبيعية لإخفاق الإنسان فى طلب هدف نبيل والصورة ( مقبرة الأذهان ) تعكس هيئة مركبة أول خيوطها يبرز من استحضار المتخيل لمقبرة بشكلها الحسى وأثارها على الجسد ثم الربط بينها وبين مراد الشاعر فالأشواق التى تتسرب إلى المشاعر وتتمكن منها تشبة القبر لأن الأشواق تدفن بين أحضانها رغبة العلم وفى هذه الصورة تحذير شديد من الإستسلام للأشواق والانصراف عن طلب العلم ويشد المنشئ أزر المتعلم ويحثه على ضرورة الإصرار والتحدى بأسلوب جيد وصياغة إنسيابية صادقة :

فــوطد العـــزم له تــوطيدا    وسهــد الجفـــن له تسهيــدا
فسهـــده لا السهـــد فـى البكاء    علـــى فـــراق غــادة هيفــاء
مما حفظناه مـــن الأمثـــال    عما مضى فى سالف الأجيــال
العـــلم لن يعطـى منـــه قله    إلالمـــن يعطيـــة منـــه كله
فاطلبه فى الحل وفى الترحال    ولا تمت قلبـــك بالإغفـــال

والصورة اللفظية والمعنوية تمعن فى الحث على طلب العلم بتوطيد العزم والنية ويسخر أحمد الزين بأسلوب لطيف بمن يسهر على أطلال بالية يبكى فيها الوهم والسراب مما يهدم كيانـه ويمـزق كرامتـه وينـادى الشاعر بعقد العزم على تسخير الحياة لتحصيل العلم فى الحل والترحال ويحـذر مـن تركه الذى يعمل على قتله فى القلب فتتلاشى أنواره ويغرق فى أعماق بحار متراكمة الظلمات فالعلم ثمرته اليانعة فى التعهد المستمر:

فالعـــلم كالنبـــات ليس ينبت    نباته فى القـــلب وهـــو ميت
وانشط له واخلع ثياب الكـاسل    أياك أن ترضى بعيش الجاهـل
فليس غيـــر حســرة تجـــدد    فيــه وغيـــر أسف لاينفـــد
لايخـــد عنك جاهل مسرور    كل أمرىء بعيشه مغـــرور
وطهـر القـــلب من الرذائـل    قبـــل اكتساب العلم والفضائـل
مما رويـنـــاه مـــن الأقـــوال    وما غـــدا فى الناس كالأمثال
شـــر العبـــاد عـــالم تهتـكا    وجاهـــل بالديـــن قـــد تنسكا

الأبيات صيحة عالية صادقة تموج برفض الجهل وتأمل فى نشر آجنحة العلم فى البيئة المصرية ففى العلم طهر من الرذائل وغرس للفضائل وعودة إلى الأخلاقيات الإسلامية الرفيعة وشاعرنا يعشق العلم ويتمنى أن يكون هدف كل مصرى حتى يتحقق للإسلام غايته السامية المتمثلة فى الوصول لله جل علاه وتعبير المنشيء ( العلم كالنبات ) صورة بديعة تبين أن للعلم روحا يجب رعايتها والحفاظ عليها وقد أجاد عندما ربط بين العلم والنبات حيث جعل العلم بذرة خصبة يجب تعهدها بأسلوب صحيح وتوفير كل العناصر الجيدة حتى تنبت ويترعرع فرعها وتثمر بذوراً طيبة والمتخيل لصورة الشاعر يتخيل جمال فروع النبات ومنظره الأخضر الذى يسر العين ويشرح القلب ويبث فى شعور المتلقى الحيوية مع جمال المنظر وأبدع عندما جعل قلب طالب العلم الأرض التى تستقبل بذوره فإذا كان القلب حيا نابضا أزدهر العلم وإذا كان ميتا أصبح كالأرض البور تقتل البذور الطيبة.وقد عبر الشاعر أيضا عن طالب العلم بقوله (أنشط ) الذى يدل على أن تحصيل العلم فى حاجة شديدة لتكثيف الجهد بجدية وعزم واخلاص وهذا ماكشفه فى صورته ( واخلع ثياب الكاسل ) التى صور بها أن الكسل ثياب الخامل ويمكن خلعه بالإرادة والعزيمة والتصميم وأسلوب التحذير ( إياك أن ترضى بعيش الجاهل ) يحمل معنى الرفض للجهل الذى يبث سمومه فى القلوب والعقول وقد سخر شاعرنا من ترف الجاهل وسروره بحمقه لأن العلم آية الشرف والرقى والحضارة ولهذا يجب تطهير القلب من الرذائل لاستقباله أطيب استقبال ويتعجب شاعرنا بتهكم من هيئة الأحمق الذى يتنسك جهلا والعالم الفاسد الذى يهتك بسلوكه حرمة العلم :

شر العباد عالم تهتكا    وجاهل بالدين قد تنسكا

وفى هذه الصورة نداء لصحوة أخلاقية منبعها الأمانة وتحمل المسئولية والصورة تثير فى نفس المتلقى رفض الاستهتار بقيمة العلم ويبدأ شاعرنا فى أداب المتعلم بعد أن تغنى بقيمة العلم وأسباب إشراقه وجمال انتشاره وسحر منزلته :

| | |
|---|---|
| وجمل النفس بخلق طيب | فإنما الأخلاق خير مكسب |
| عتاد من ليس له عتاد | ودوحة أثمارها الوداد |
| فاحرص عليها إنها أعوان | وخير ما يعلو به الإنسان |
| وزينة الإنسان بالآداب | وليس بالزى ولا الثياب |
| كم من فتى راق العيون منظره | وكذب الظاهر منه مخبره |

الأبيات السابقة صرح فيها أحمد الزين بصفات المتعلم التى يجب أن يتجمل به من خلق طيب وقيم عالية وأحسن شاعرنا حينما عبر بالصورة ( جمّل ) وهى تدل على الإمعان فى ترقية النفس وتهذيبها بالخلق الحسن الذى جعله من أعظم الفضائل وخير مكسب للإنسان ويتغنى شاعرنا مرة أخرى بالعلم من خلال التغنى بخلق المتعلم فيعلن أن العلم عدة وذخيرة وروضة تثمر الوداد لأن طالبه طاهر القلب عفيف النفس ويحث شاعرنا على طلب العلم لأنه منبع الرقى والمكانة العالية والمنزلة الشريفة والمتذوق المرهف يقف عند تصوير المنشئ للعلم بالدوحة الفيحاء والبستان المثمر فيجد أنه ربط بين شعور الوداد وروضة العلم فبين أنها تثمر الوداد والصفاء ليكشف ما للعلم من ثمار طيبة تتجلى فى الألفة التى تعمل على تصفية النفوس وترقية القلوب وتهذيب الفكر ولهذا فالعلم أعلى الفضائل التى تهدى للقيم الأخلاقية المعنوية والسلوكية

وجميل منه تصويره للعلم بالزينة التى يتزين بها الإنسان فتهذب سلوكه وترفع منزلته وهو بهذا يبين أثار العلم الطيبه على طالبه ويستدل على فكرته قائلاً:

كم فتى راق العيون منظره وكذب الظاهر منه مخبره

فالعلم يضفى على طالبه الجلال ويهذب منطقة ويجعله بين الناس شريفا ويحذر شاعرنا من المناظر الخداعة التى تروق الناس وهى فى حقيقتها خسيسة وضيعة ويغرد شاعرنا بالأخلاقيات التى يتزين بها المعلم وطلاب العلم فى كل مجال :

لا تحسد المرء لأجل فهمه ولا تناظر عالما فى علمه

تريد أن يفهم من تجالس أنك فى ذاك المجال فارس

فإنه منك بهذا أخبر وإنه أولى به وأجدر

ومن يجادل فى كلام أهله فقد أبان للشهود جهله

وإنه قد طلب المحالا من جد كيما يدرك الكمالا

تتغنى المعانى السابقة بضرورة التحلى بالقيم النفسية والاجتماعية العالية وتجنب السموم السلوكية والمفاسد الوجدانية مثل الحسد الذى يمزق النفوس ويحيلها إلى نيران تلتهم الوداد كما تحذر الأبيات من مناظرة العالم فى علمه لما فى ذلك من إظهار لروح التحدى الذى يولد بذور البغض والمنشئ فى هذا يهدف إلى غرس حسن المعاملة وتقدير المتعلم لأستاذه وزميله وينهى عن الغرور النفسى والكبرياء لأنهما آفة التقدم .

ويصور أحمد الزين الغرور وحب الذات والرغبة فى جذب الأنظار بمن يحاول ارتداء زى الفارس بقصد تحقير من بجالسهم وفى هذا الشعور بيان لخسة النفس وضعة الأصل وقد تعرض المنشئ بذكاء لتحليل هذا الموقف وعلاجه فبين لكل مغرور وضيع ان لكل عالم مجاله وتخصصه فلا يجوز لإنسان فاضل أن يخوض فيما ليس به علم وفى هذا وقاية لنفسه وحماية لكرامته ويختم المنشئ فكرته بحكمة مشتقة من الواقع :

وإنه قد طلب المحالا من جد كيما يدرك الكمالا

وفى هذه الرؤية دعوة للاجتهاد والغوص فى بحار العلم مع التيقن بعدم تحقيق الكمال وينادى المنشئ المتعلم بدعوة رجاء يحثه فيها بضرورة تخصصه والرقى به :

واعمل بما علمته من علم تعل به فى متون النجم
فالعلم ليس باطراد المنطق وليس بالإكثار فى التفيهق
رب امرىء سباك بالأقوال وكذب الأقوال بالأفعال
فاطلب العلوم للأعمال لاللشهادات وكسب المال
ليس شهادات الفتى الأوراق لكنما الشهادة الأخلاق
يفرح با لأوراق كل جاهل وليس فيها مآرب لفاضل
ومن أراد أن يكون خادما لامن أراد أن يكون عالما

يعلن شاعرنا للمتعلم المنهج الرشيد االذى يجب التزامه حتى ينعم بعزة العلم ويشرف بشرفة عن طريق الدربة والممارسة وقد شحن المنشئ همة المتلقى حتى ينبغ فى مجاله ويطير ذكره عبر الأفاق وجميل تصويره النبوغ

(بالعلو فوق متون النجم) وينبع جماله من تصور هيئة الارتفاع بشموخ وجلال وضياء وإشراق ويربط الشاعر بين هذه العزة وبين طبيعة ما تعلمه الطالب من علوم ومعارف . وينصح المنشئ للمتعلم بما يجب أن يتصف به علمه من رقى وتميز ويظهر ذلك فى تجنب طالب العلم التكرار الممقوت واستخدم الأساليب الجافة والتعبيرات الخشنة والمعانى البعيدة التى تصيب فكره بالتحجر والجمود وتنفر منه المتلقى كما يحذر شاعرنا المتعلم من اختلال أخلاقياته واضطراب قيمه حتى يحتفظ بشخصية سوية مرموقة بين أنداده ولدى أستاذه وتصبح سمة تلازمه مما يضفى عليه جمال الهيبة وحسن التقدير وما سبق يوحى للمتلقى أن أحمد الزين يتمنى تحقيق المثالية فى طبقة رواد العلم . ويبين المنشئ أن العلم منبع الفضائل ولهذا يجب أن يطلب لذاته لامن أجل الشهادات وكسب المال فالجاهل هو الذى يفرح بالأوراق التى تعلن حصوله عليها ويتغنى بدرجته فيها ومن العجيب أن شاعرنا الأزهرى تونم بما هو حادث فى مجتمعنا الآن فقد أصبح العلم وسيلة لتحصيل المال. ويحذر شاعرنا الأخلاقى فى أسلوب جاد الصياغة من ضياع كرامة العلم بين رواده وبالتالى تتبدد هيبة المتعلم الذى يصبح خادما وليس عالما إذا أصبح همه تحصيل شهادات رغبة فى الحصول على شهادة يقنع بها نفسه بأنه صاحب المعالى :

| | |
|---|---|
| رب إمام من حلاها عاطـــل | ولم ينالهـــا غبـــى جاهـــل |
| يقضــــى الجهول ليله إسهادا | ويومــــه لنفســــه إجهـــادا |
| يحفظ مـــا فـــى سفره لا يفهم | كأنــــه مما طـــــواه طلــــم |
| حتـــى إذا ما أخلق الشبـــابا | محتملا فـــى شـرحه العذابا |

تســـره شهـــادة لاتنفـــــع ... فهـــو بها مـــن المعالـى يقنع

ما أحقـــر الطالب والمطلوبا ... وأصغـــر الكاسب والمكسوبا

الأبيات السابقة صرخة عالية تندد بالمنهج الذى ساد بين المتعلميـن فقد أصبح همهم الأعظم حفظ المنهج الدراسى بدون فهم ولابصيرة مما يدفع إلـى ضيـاع أعمـارهم فيمـا لايثمـر ويسـخر المنشئ مـن الغايـة التـى يتطلـع إليهـا المتعلمون الأوهى الحصول على شهادة ! ! وقد ثار المفتن الأزهرى الواعـى على هذه الغاية الوضيعة التى يعتنقها السفهاء فالعلم غاية سامية وعلى المتعلم الإقبال على العلم لأنه غاية نبيله وهـو روضـة فيحـاء تجدد الفكـر والوجدان وتسعد الروح وأحمد الزين يحذر من طرف خفى مـن جمـود بحـر العلـم ممـا يدفع لانهيار بنيانه وجفاف عيونه.

والصورة ساخرة تهكمية لاذعة تنقد الخطة التعلمية لهذه الحقبة الزمنية ويقـف المتلقـى علـى صدقهـا لأنهـا نبعـت مـن نفـس تفـاعلت مـع عصرهـا وأخلاقياته فتولدت صورة خالدة الملامح واضحـة المعـالم ولعـل أحمـد الزيـن لمس فى عصره علامات الرغبة فى تحصيل المادة العلمية لكسب المال فحذر من انتشارها الذى يدفع إلى بداية النهاية لحضارتنـا والحـق أن دعـوة الشـاعر دعوة حية صادقة يجب العمل بها وخاصـة فـى هـذه الأيـام التـى طغـت المـادة على كل غاية نبيلة .

ويرى شاعرنا ضرورة ترويض قيادة النفس للمتعلم :

ذلل قيـــاد النفس للتعـــلم ... واخفض جنـاح الذل للمعـــلم

فلا ينـــال العـلم بالتعـــالى ... فالسيل حـــرب للمكان العالى

واعمل بما يـــراه لاتناضلـــه ... وكن له أرضـــا يجدك وابله

أياك أن تخجلــه إن ضــلا        واجعل له عــذرا إذا ما زلا

فأى عضــب صــارم لاينبــو        وأى طرف سابــق لا يكبــو

يرسم شاعرنا الأخلاقى أصول العلاقة الطيبة بين المعلم والمتعلم ويرى أن الخيط الأول لهذا النسيج الحى المتعلم حيث يجب عليه أن يقبل علـى العلـم شغفا وعشقا ويجل معلمه ويقدس كلمته ويقدم لـه الـولاء والاعتراف بجميلـه بصورة مهذبة يفوح منها عطر التواضع وشذا الوفاء .

ويبين شاعرنا أن العلم تشرق أنواره بالتواضع الجم أمـا المتعـالى عليـه فيبنى بينه وبين العلم سدا منيعا ويغلق منافذ التحصيل .

فــلا ينــال العلــم بالتعالــى        فالسـيل حـرب للمكان العالى

حيث صور طالب العلم المغرور المتكبر بمن يبدأ فى هدم نفسه ويحطم قدراته مثل السيل فى عنفوان ارتطامه بالمكان العالى والصورة رائعة التشكيل حيث جمعت بين الهيئة والصوت فالسيل ينساب مـن السـحب بغـزاره فيحـدث أصواتا عالية عندمـا يصطـدم بالأحجـار الصلبـة وقـد أبـدع شـاعرنا فـى هـذه الصورة التشكيلية الصوتية فعندما يتخيل المتذوق هيئـة السـيول العنيفـة وشـدة سقوطها على الأحجار يستشعر ما أوحى به شاعرنا من ضراوة المنظر وكأن هنـاك عـداوة جسـدتها حـرب ضـروس وتـبرز حيويـة الصـورة عندمـا يربـط المتذوق بين السيل وعنفواته ويدرك أن المراد به العلم وبين الأحجار الصلبة ويدرك أن المراد بها الغرور الأحمق .

وللصورة ملامح شعورية تعلن أن السيل هو العلم لأنه الأعلى .

ويتغنى شاعرنا بما يجب أن يحدث بين المعلم والمتعلم قائلا :

واعمـــل بما يـراه لاتناضله　　　وكن له أرضا يجـدك وابله

إياك ان تخجلــه إن ضـــلا　　　واجعـل له عذرا إذا مـازلا

يعلن المنشئ فى هـذه الدعـوة ضـرورة الطاعـة وتحقـق سبل الاحترام للمعلم وقد عبر عن حسن المعاملة ونشر جناح الرحمـة بقولـه ( لاتناضلـه ) والمعنى يوحى بخفض صوت المتعلم وتجنبه جدال معلمه حتى لا يغرس هـذا الأسلوب روح التحدى التى تشعل نيران الحقد والبغض .

وينصح أحمد الزين المتعلم بإجلال معلمـه وتقديس كلمتـه واحـترام منزلته ولعل صورته االلطيفة (كن له أرضا يجـدك وابلـه ) تدل على طبيعـة العلاقة الطيبة بين المتعلم ومعلمه وبديع تصويرة لآثار الطاعة بجعل المتعلم الأرض الخصبة الصالحة لغرس البذور الطيبة التى تثمر الأزهار والريـاحين وهـذه الصـورة تنقل للمتذوق هيئـة الأرض الواسـعة التـى تفتقر إلـى الثمـار الخضراء اليانعة مع تمتعها بالخصوبة ولهذا تحتـاج لمـن يتعهدهـا حتـى تثمـر وتزدهر وأما تعبيره (يجدك وابله ) فيرمى إلى أن المتعلم عندمـا يعشق العلـم ويقدر معلمه ويرغب فى التحصيل يثمـر العلـم معـه ويصبـح عقلـه كـالأرض الخصبة التى يترعرع فيها النبات وجميـل مـن شـاعرنا مقولتـه (وابلـه ) التـى تبين ما يجب أن يكون عليه المعلم من ذكاء وتحصيل دائم للعلـوم والمعـارف كمـا توحى المقولـة بضـرورة الإخـلاص وغـزارة العطـاء لطالبـه والتشـكيل التعبيرى يوحى بحسن العلاقة بين المتعلم والمعلم حتى ينهل الطالب من نهـر معارف معلمه مما يعود عليه بنور التحصيل وبركة استقبال العلوم .

ويستمر المنشئ فى بيان الأصول الأخلاقية التى يجب أن يكـون عليهـا المتعلم منها قبول عذر معلمـه إذا أخفق فـى تعليـل أو إجابـة أو بيـان لبعـض

المعلومات فالنسيان وارد للفكر البشرى والإخفاق من الأمور الطبيعية لجميع ما فى الحياة :

فأى عضب صارم لا ينبو          وأى طرف سابق لايكبو

ويستدل شاعرنا فى البيت السابق على وقوع الإخفاق بالسيف الصارم والجواد البارع وهو استدلال مقنع يقبله تصور المتلقى وفكره ويستمر شاعرنا فى بيان المنهج الأخلاقى فى الذى يجب أن يتزين به المتعلم :

لاتؤذه بكثرة السؤال          ولا تسابقه إلى المقال

وابغ ثراء العلم حيث كانا          فالله لم يخصص به إنسانا

لا تزدهيك شهرة الإنسان          ولا تقل آخذ عن فلان

فكم رفيع الذكر وهو جاهل          وكم إمام فيه وهو خامل

وأرقى هذه السلوكيات اعتدال الطالب فى الاستفسارات العلمية واحترام مقال معلمه والتمهل فى خطابه وحسن الاستماع إليه وعدم مسابقته فى المقال ثم الثناء عليه والدعاء له مما يوطد دعائم الود .

ويتغنى شاعرنا بحرية طلب العلم ونهل رحيقه فالمتذوق للصياغة ( ابغ ثراء العلم ) دعوة من الأعماق لطلب العلم فهو ثروة نامية وعطاء متجدد وشمس مشرقة تتلاشى أمامها ظلمات الجهل .

وفى نهاية الأرجوزة يحذر شاعرنا من الإنخداع والتقليد والجمود وينادى بالتحرر الفكرى والتأمل العقلى الخصب ويعرض شاعرنا ببعض شخصيات مجتمعه التى نالت الشهرة مع خمول فكرها وجمود وجدانها وتحجر مشاعرها ويرجع ذلك لما حدث فى المجتمع من اختلال المعايير

الأخلاقية فهناك من يتمتع بالشهره لأنه ينافق وهو خامل العلم فارغ العقل فقير فى العطاء التربوى وهناك خامل الذكر مع نبوغه وعلو شرفه وسبقه فى مجاله وأعجبنى من شاعرنا قوله ( ولا تقل أخذ عن فلان ) وهو تهكم منه بأسلوب التعليم والخطة المنهجية الدراسية المتبعة فى عصره .

والحق أن أحمد الزين سبق بفكره الخصب ما نعانى منه اليوم والذى يتمثل فى الخطة الدراسية والإسراف فى مناهج ترهق المتعلم ثم تذوب عقب أداء الامتحان لتصبح فى طى النسيان .

وأرجوزة ( آداب المتعلم والحث على طلب العلم ) أشرقت أنوارها ببيان قيمة العلم وأثاره الطيبة التى تدفع طالبه إلى الارتشاف من معينه بسعادة ورضا ثم تغنت الأرجوزة بخلق المتعلم المعنوية والاجتماعية من خلال دعوة أخلاقية عالية ترمى إلى سيادة القيم وقد استطاع أحمد الزين توظيف الألفاظ والعبارات توظيفا جيدًا لخدمة الصورة التى استطاع من خلالها إشباع تجربته الذاتية الاجتماعية وقد أجاد المنشئ فى عرض أفكاره الأخلاقية التى اتسمت بالإنسياب التعبيرى والسلاسة البيانية والجمال الفنى ومن الجدير بالذكر أن (أداب المعلم) ، و (أداب المتعلم والحث على طلب العلم ). تغنت كل منهما بالعلم وعلو منزلته وشرف مكانته عبر شدو جيد الصياغة بديع الصورة مما يدل على وضوح الرؤية التأملية فى قضية ايجابية تبنى صرح الحضارة الإسلامية فالعلم دعوة إسلامية ترمى إلى الرقى آمن بها أحمد الزين فتعايش فى رحابها وعشق روافدها ولهذا نجده يتغنى فى أرجوزة أخرى أطلق عليها ( النهى عن ادعاء العلم والتية به ) بالقيم والأخلاقيات التى يتزين بها العالم والمتعلم :

إياك وادعاء مالم تعلم | فإنه مجلبه التندم[1]
كفاه أنه دليل اللوم | وأنه مضيعة العلوم
تجنى على العلم بما ادعيتا | شرا وما تعلم ما جنيتا
فآفة العلوم أدعياؤها | إن الدعاوى ليس يؤسى داؤها

يحذر شاعرنا من خوض الإنسان فيما لا يعلم حتى لا تهتز كرامته وينهار جدار عزته مما يدفع إلى الاستهانة به لأن الإدعاء يرمى إلى الجهل ويدفع إلى تدهور العلوم .

والفكرة التى يناقشها الشاعر تشير إلى الاهتمام بما يرقى بالعلوم وينهض بها ويصور شاعرنا الإدعاء بأنه ( مجلبة التندم ) والعبارة توحى للمتلقى عبر الإيحاء الصوتى والإيقاع المعنوى استمرار حدوث الندم وبالتأمل فى لفظة ( التندم ) بما فيها من تشديد يوحى بأن جلب الإدعاء يفجر عيون الندم فينهمر العتاب الذى يبث فى النفس القلق والاضطراب والصورة تتناسق ألفاظها ومعانيها ويستدعى بعضها البعض وقد ربط شاعرنا بين إدعاء العلم وبين اللوم ليوحى بأن الادعاء لايثمر إلاالمتاعب الاجتماعية والوجدانية التى يخفق معها العلاج وفى هذا تحذير شديد من سلوك الإدعاء والالتزام بشرف الكلمة وتواضع الحديث واحترام العلماء وتقديرهم :

من يستطل يوما على الكفاة | فقد تناسى كامل الصفات
ولا تثق بعد بود صاحب | فوده صار كأمس الذاهب
خل الغرور إن تكن ذا فضل | فإنه منقصة فى العقل

---

(١) الديوان ص ١٥٥ .

يوضح أحمد الزين أن الاستطالة على المتخصص فى مجاله حمق وتناسى لتمام الفضائل الأخلاقية كما يدفع الغرور لهتك كرامة صاحبه والصورة الأدبية تنفر من الغرور وتحذر من الاستطالة على العلماء الشرفاء ففى هذا السلوك خسة وضعة وقد أجاد الشاعر فى تعبيره ( من يستطل ) .

والصورة بتكوينها الحرفى ومساحتها الصوتية بينت درجة حمق المغرور كما جسدت بهيئة شكلية قصر حجم المغرور ومحاولته الاستطالة على العملاق فى صورة ساخرة تتهكم بالمغرور الأحمق القصير وجميل من شاعرنا مقولته ( فقد تناسى ) التى كشفت طبيعة الوهم الذى يجتهد صاحب الإدعاء التعايش فيه والذوبان معه فى أمل ما هو إلاسراب وشاعرنا يسخر من أخلاقيات المجتمع وتدهور قيمة وانتشار ضباب الفساد وسحب الغدر ومرجع ذلك تحكم أفراد أجنبية فى أرواح الشعب المصرى مما زرع الاضطراب فى سلوكيات المجتمع ولهذا رأى المنشيء الأنانية وأشواك الحقد والحسد راسخة مما أدى إلى اقتلاع جذور الود بين الأصحاب ولعل تعبير الشاعر ( فوده صار كأمس الذاهب ) صورة رمزية تعكس حال أبناء المجتمع المصرى الذى غرس أجداده الأمجاد وآمنوا بالقيم وهم اليوم فى ضياع بين أمواج متلاطمة من الانهيار الاجتماعى والثقافى والسياسى مما دفع إلى التمزق الوجدانى لقد مزج شاعرنا مزجاً طيباً بين واقعية المجتمع وبين الرمزية التى توحى بطبيعة خواطره ومشاعره التى تبكى أمسنا الذى ذهب ومعه آيات العلم والحضارة والكبرياء والقيم العالية .

والبيت خاطره انبثق شعاعها مثل الوميض الذى يشتعل وسط ظلام النفس الداكن الذى يهاجم شاعرنا فحذر من الإدعاء وسخر من صاحبه وما به من نقص فكرى وعقم يدفعه لمفاخرة الأصحاب والتعالى عليهم :

| | |
|---|---|
| اياك أن تفاخـــر الأصحــــــابا | بالفضــــل إن أردت أن تهـــابا |
| ولا تقــل جمعــت علمـــاً جمـاً | إن رمـت أن تبعــد عنـك الذما |
| لا تحسبــن الفضل يخفى أمــره | فالفضــل مثل الطيب يزكو نشره |
| لا تفتتــن إنمــــا ذو العــــلم | كمثــل الـــواقف عنــد اليــم |
| تـــراه يستكثر منـــه ما يـــرى | وظـــل مــا غيب عنـــه أكثراً |

وينصح شاعرنا بعدم التفاخر بين الأصحاب بالعلم والتباهى بمـا حصـل من معارف حتـى يتجنـب الـذم ويبيـن أحمـد الزيـن للمتلقـى أن الفضـل يرقـى ويسحر القلوب والعقول ويفوح عطره ليدل على منبعه ويعلـن أن البـاحث فـى مجال العلم يظل حياته يرتشف من بحار العلم ثم يجد أن ما حصله قطره من محيط مطلق والصورة الإدبيـة متناسـقة الملامـح متجانسـة التـركيب متشـابكة الهيئات موحية بطبيعة المشاعر .

فمفاخرة الأصحاب بالعلم تقتلع جذور الهيبـة وتجعـل المفـاخر مذمومـا مدحوراً ولهذا لا داعى لها لأن الفضل مثل الطيب الزكى فالفضل مثـل الطيـب الزكى رائحته تعطرأرجاء المكان يستنشق عبيره الجميـع وفـى كـل الأحـوال ويصـور المنشـىء طـالب العلـم بهيئـة الواقـف عنـد اليـم والمـراد اسـتحضار المتخيل لهيئة اليم وهيئة طالب العلم ثم الوقـوف علـى إجابـة محـددة علـى مـا يدور فى خلد المتخيل هل ينقص اليم من ارتشـاف قطـرة منـه إلـى جـانب مـا يجسد المتخيل مـن هيئـة الطـالب الجسـدية وهيئـة اليـم المتراميـة التـى يعجـز االإنسان عن تحديد ملامحه وقد أجاد أحمد الزين حينما قال (عند) الذى تحـدد المكان وتلزم به وتعبيره ( يستكثر ) بمساحته الصوتية جيـد الإيقـاع المعنـوى

كما أن قوله ( غيب ) برنينه الموسيقى مـع نغمـة التشديد عكس عظيم العلم وطلاقة محيطة مع بيان القدر الذى يحصل عليه الباحث .

| | |
|---|---|
| وقسمـــة العـــلوم والأخلاق | كقسمـــة الأعمـــار والأرزاق |
| زهـــو الفتـــى بعلمه غرور | لو أنـــه بنفســـه بصيـــر |
| ماذا علمنـــا منه حتى نزهو | لم يأتنـــا إلا قليـــل منـــه |
| ما تيهنا بالعـــلم والتـــدبير | إلا كتيه المعـــدم الفقيـــر |

ترنـم الشـاعر بـالعلوم والقيم الأخلاقيـة فربط بيـن حظ الإنسان منهـا وقـدره معهـا وبيـن الأعمـار والأرزاق مـن خـلال تكـراره لفكـرة غـرور طالب العـلم بعلمه مع أنـه لـو تـدبر الأمـر وتبصـر بالحقـائق لأدرك أنـه مهما ارتشف منه لا يمثل نبضه من عمـر الدنيـا التـى جعلهـا اللـه آيـة مـن آيات علمه الفياض .

وأجـاد شـاعرنا فـى تصريحـه ( مـاذا علمنـا منـه حتـى نزهـو ) ومنبـع الإجادة تعبيره ( بنا ) الدالة على الفاعلين وكأنه يعلـن لـو جمعـت العلـوم مـن عقول البشـر جميعهم لم تشكل إلا قطـرة فى محيـط العلم ويسـخر شـاعرنا فـى صـورة أدبيـة تهكميـة مـا تيهنـا بالعـلوم إلا كتيـه المعدم الفقير وهـى سخرية لاذعة تصـفع المغـرور المتكبـر الـذى يحقـر نفسـه بغـروره ويدفـع الناس لذمه فتضيع هيبته ويعلـن شـاعرنا أن العـالم المتكبر يهلـك نفسـه بينمـا يرتفع شأن جاهل حسن الخلق .

| | |
|---|---|
| كم عـــالم أزرى به تفاخـــره | وجاهـــل أكبـــره تصاغره |
| لا يفضل العـــالم أهل عصره | حتـى يكون عارفـا لقـــدره |

علام يفخر الفتـــى بعلمـــــه وقـــد يكون سببـــــاً لهمـــه

تخبر الصورة المتلقى بأن الغرور يحط من شأن صاحبه فقد يتمتع عالم بالذكاء إلا أنه يحتقر بسبب تفاخره وهناك جاهل يثنى عليه لتمتعه بالخلق الحسن وينادى شاعرنا العلماء بحقيقة أخلاقية رفيعة يجب على العالم التزين بها وهى إدراك العالم لقدره والمراد معرفة العالم أنه مهما حصل من علم فهناك من يفوقه فى نفس المجال وهذا الإحساس الواقعى يدفعه للإجادة والاستمرار فى التحصيل وتنبثق من الأبيات رؤية فلسفية صادقة نابعة من تجارب الشاعر بين فيها أن العقل الواعى والفكر الثاقب قد يكون سبباً فى جلب الهم لصاحبه فالعالم الذى يغوص فى أعماق تخصصه ويستوعب أبعاده لا يشعر بمتعه فى الحياة ويرى الموت خلاصه من سجن دنياه حيث تتعاقب عليه الهموم والأحزان ويصاحبه الألم المر ويتنفس الحسرة والندم ومرجع ذلك الأخلاقيات التى تتنافى مع كرامة الإنسان وكبرياء آدميته حيث :

يضيـــق صـــدره بما يلاقى بين الورى من دنس الأخلاق

يشعر المتلقى من إيحاء الصورة السابقة بما يتجرعه المنشىء من مرارة الحرمان وقسوة الأيام التى نسجت خيوط ليلة بمدموعه والصورة بمعانيها المرة رمز لتجربة الشاعر الذاتية الاجتماعية ولهذا يبكى أحمد الزين على العالم الذى يفنى حياته فى تحصيل العلم وسط ارتطام القيم الأخلاقية بصخور المفاسد الدخيلة :

قـــل للذى يفنى علام تفرح وفيم تلهو بالمنـــى وتمـــرح

لا يعذب العيش لغير الجاهل ولا يـــلذ كأســـه لفاضـــل

والصورة رثاء للنفس ونقد لما ساد المجتمع المصرى من تدهور ينزف له العالم المتفتح الذى يبكى لسلوكيات وضيعه تفشت فى مجتمع أصيل ورث العزة والمفاخر من أجداده ولكن الأمل فى الإصلاح يغرس المنى الذى يبشر بشروق شمس القيم ويصمت أحمد الزين صمت المقهور فيناجى صديقه العالم عبر نغمة حزينة أن الحياة لا تلذ إلا للجاهل الذى لا يدرك أبعاد الحقائق ولايفهم مغزى وجوده فى الحياة الدنيا فنظرته لها متعة سريعة تنقضى ليرتشف غيرها أما العالم فيبكى دنياه ومجتمعه ولهذا قدم له أحمد الزين العلاج الوجدانى الذى يخفف معاناته ويسعد مشاعره :

لا تبتغ العلم لغير الله ... ولا يكن همك كسب الجاه

لا تبغه لطلب الحطام ... فإنه من خلق الطغام

اعرض عن الدنيا وعن حطامها ... فلذة الحياة فى آلامها

إن كنت ذا علم فكن ذا عفه ... ليست رجال العلم أهل صفه

لا تتخذه سلم الإفساد ... إن كنت ذا عقل وذا سداد

علم الفتى إن لم يكن مقوماً ... كان اتباع الجهل منه أقوماً

الفكرة نغمة فلسفية فى لحن يشدو بالقيم التى يجب أن يلتزمها العالم ودعوة لرفع شأن العلم الذى يشرف بأن يكون خالصاً لله ويحذر المنشىء من إهانة العلم بتعريضه للوسائل الوضيعة للحصول على مكسب خسيس وينظر شاعرنا نظرة فلسفية من وحى واقعه الاجتماعى فالدنيا بما فيها من مظاهر ترف ونعيم حطام للقيم الغالية ويبين أن لذة الحياة ومتعتها السامية فى حرمانها من النعيم الزائل الذى يرفضه الإنسان بقدرته الاختيارية ليتنعم به فى عالم الخلود الذى يشرق بالأنوار الربانية . وقد أجاد المنشىء حينما بين

أن العلم يمنح طالبه العفة والصفاء والطهر ولهذا بين أحمد الزين أن نبيل النفس هو الذى ارتشف رحيق العلم ليرتفع بنفسه عن حطام الدنيا ويثير المفتن بذكاء صاحب المثل قائلاً :

إن كنت ذا علم فكن ذا عفة        ليست رجال العلم أهل صفه

ويدافع شاعرنا عن قيمة العلم بأسلوب جيد وصورة واضحة المعنى فالعلم وسيلة سامية للقيم العالية وغايته معرفة الله جل علاه والذوبان فى جمال رضوانه .

ويختم شاعرنا قصيدته ( النهى عن ادعاء العلم والتيه به ) ببيان أثر العلم على سلوك صاحبه وترقية فكره وتطهير مشاعره وخواطره وأن من اتخذ العلم للجاه واالنعيم والترف أصبح جاهلاً أحمق الفكر متحجر الوجدان .

والقصيدة واقعية تصور لمحات من سلوك علماء المجتمع المصرى وتتسم برمزية تعكس فلسفة شاعرنا ونظرته للمتعه العاجلة وكيفية بناء القيم الأخلاقية بين طبقة العلماء لأنها أشرف الطبقات وتبرز القيم الأخلاقية فى القصيدة بنداء شاعرنا إلى تقدير العلماء واحترام منزلتهم واتصافهم بالتواضع الشريف وتجنب الغرور وإخلاص نية العلم لله والمتلقى الكريم يجد أن أراجيز ( آداب المعلم ) ، و ( آداب المتعلم والحث على طلب العلم ) ، و (النهى عن ادعاء العلم والتيه به) صيحة واعية تهدف ليقظة العلم حتى نحافظ على اللغة العربية لغة القرآن الكريم كما نحافظ بها على منزلة الإسلام وحضارته ومدنيته السامية وأزهرنا الشريف هو أمل الرجاء فى سماع هذه الصيحة الصادقة وإذا كان أحمد الزين الشاعر الأزهرى الأخلاقى رفع صوته

ليترجم رغبته فى سيادة العلم من وحى الرحيق الأزهرى فنحن الآن نجدد هذه الدعوة ليظل الأزهر رائد المسيرة العلمية العالمية .

ونسير فى روضة أراجيز أحمد الزين فيستمتع المتلقى بأرجوزة ( آداب المجالس ) التى تصور السلوك الذى يجب أن يتزين به رواد المجالس :

إيـاك أن تستخدم الجليسا ولـو تكون السيد الرئيسا

فإنـه لـيس مـن الأداب مهانة الخـلان والصـحاب

إذا أردت أن تكون ماجداً فكن مع الجليس قدراً واحداً

يبين شاعرنا الأسلوب الأمثـل الذى يجب أن يلتزم بـه رواد المجالس وصاحب الدعوة أبرزها احترام قدره وتكريم جلسته والتبسط معه بحياء وخلق لإدخال البهجة على نفسه وغرس الود والمحبة والصفاء حتى تكون العلاقة الإنسانية نابعة من مشاعر طيبة وينادى أحمد الزين صاحب الدعوة بضـرورة التواضع مع الجليس والثناء عليه :

إياك أن تعلوه فى الرتبة فإنه يخلق حبل الصحبه

وربمـا يذكى أوار الحقد وربما يغيض مـاء الـود

يوضح أحمد الزين السلوك الطيب الذى يلتزم بـه صاحب الدعوة مع رواد مجلسه من تواضع ذكى يجدد ميثاق الود ويصور شاعرنا ان الكبرياء النابعة من الرتبة إذا تعامل بها صاحب الدعوة سيجنى أشواك الفرقة ويشعل نيران الحقد وشاعرنا مرهف الحس رقيق الوجدان استطاع أن يصور أثر السلوك على النفس الإنسانية فالتعالى على الناس يغرس بذور النفور ففى تعبيره ( وربما يذكى أوار الحقد ) يكتشف المتلقى أن شاعرنا يغوص فى

أعماق النفس البشرية ويتفاعل معها ويتعاطف بخواطرها ويحذر المنشيء من تقلب القلوب وتغير صفوها بغيوم التعالى :

| | |
|---|---|
| لا تأمنن صفوه أن يكدراً | وقلبه من الهوى أن يصفراً |
| ولا أرى أجلب للنفور | مثل استباق القوم للصدور |
| كن كاملاً واجلس مع الأذناب | ولا تكن صدراً بلا آداب |
| وارغب فى التصدير فى المجالس | إن كان فى الصدر استياء الجالس |
| فإنما الود بصدر الصاحب | أبقى من التصدير فى المراتب |
| فلا يغر بالصدور العاقل | فإنما داء الصدور قاتل |

ويستمر شاعرنا فى التغنى بأسرار الوفاق وعطر المحبة وينفر من أسباب الحقد والحسد والبغض ويشير إلى أن منبع هذه المشاعر قد يكون فى استباق بعض الناس للجلوس فى مكان الصدراة ويبين شاعرنا أن العاقل الكيس لا يتحرك لمثل هذه الأمور التى تحط من قدره ويكشف أحمد الزين عن شرف الإنسان الذى يشرق من حسن سلوكه عندما يقدم غيره على نفسه ويفضله فى مكان الجلوس ففى هذا التصرف ايحاء برقة الإنسان واتزانه وتمتعه بالقيم والأخلاقيات السامية التى تنشر نسيم الحب بين الأصحاب والفكرة تصور آداب المجالس تصويراً حياً وتتناوله بدقة وإحساس حيث بين أن الصدارة الحقيقية للإنسان تكمن فى حسن السلوك والترفع عن صغار الأمور و التزين بخلق الإيثار وينصح شاعرنا بالجلوس مع عامة القوم ففى هذا رفع للمنزلة وعبر شاعرنا عن ذلك بقوله ( كن كاملاً واجلس مع

الأذناب)[١] والمراد أقل الناس منزلة فى نظر المجتمع والواقع أن الجلوس معهم لن يحط من شأنه بل أن هؤلاء يرفعونه بحسن الذكر وبرقة الثناء عليه ولعل مقوله المنشىء ( ولا تكن صدراً بلا آداب ) تهكم ساخر بمن يدعى لنفسه المنزلة وهو فارغ النفس أجوف الوجدان جاف الفكر معا يجعله أضحوكة فى نظر العقلاء .

وقد أبدع شاعرنا عندما ربط بين صدر الصاحب وصدر المجالس فى صورة حسية وجدانية بديعة التجسيد :

فإنما الود بصدر الصاحب أبقى من التصدير فى المراتب

فالود الذى يحفر فى صدر الصديق يبقى ويفوح عطره وينساب عبيره بين أغصان خميلة خضراء ناعمة المشاعر دافئة الأحاسيس أما الجلوس فى صدر المجالس فلن يحفر فى النفوس إلا الضغينة والأحقاد ولا يتمسك بصدور المجالس إلا من يشعر فى نفسه بفجوة النقص وضعه الأصل وخسة الفكر ولهذا يحاول التعويض بالجلوس فى صدر الاجتماعات ودعوة أحمد الزين للود بين الأصدقاء نداء رقيق يرمى إلى توطيد العلاقات الطيبة بين الأصدقاء مما يثمر الألفة والتعاطف ويجعل أبناء المجتمع المصرى فى رباط وثيق يصد فتن الدخيل .

والمنشىء أخلاقى فلسفى يرى برؤية المصرى الأصيل أسس العلاقات الاجتماعية الرفيعة وآدابها التى تضفى على صاحبها منزلة عالية ولهذا يبين أن الكيس يدرك بذكاء متى يتحدث وأين يجلس ومتى يسأل وطبيعة السؤال :

واعرف لكل حقه فى المجلس فإن هذا من فعال الكيس

---

(١) الأذناب : الذنب التابع للمشىء على أثره وذنب كل شىء آخره .

واجلس بحيث ينبغى لمثلكا فإن هذا من سمات فضلكا

إياك أن تجلس فى مقام تهان فيه بعد بالقيام

واحذر من الإكثار فى التسآل وغض من صوتك فى المقال

وكن طريف القول والمحاضره وكن رقيقاً حسن المسامره

يوضح شاعرنا أن لكل إنسان درجته والفطن هو الذى يتصرف من وحى الموقف كما أنه يعلم مكانه ليحفظ كرامته ويصون عزته ويرسم أحمد الزين للمتلقى منابع الفضيلة فى الجلسة أبرزها الالتزام بآداب الجلوس والحديث وطبيعتة وغض الصوت وبهذا رسم المنشىء لرواد المجالس السلوك الطيب الرقيق الذى ينبغى التحلى به وجميل من شاعرنا مقولته ( وكن طريف القول والمحاضره ) التى توحى بحسن اختيار الأحاديث وعذوبتها ولطفها ورقتها وتجنب أحاديث الشجن التى تثير فى النفوس الأحزان .

والأبيات صورة أدبية تعرض بأسلوب واضح بسيط أصول العلاقة بين الحضور وقد استخدم شاعرنا فى صورته تجسيد الهيئات والأشكال والأصوات بدقة ووضوح .

ويستمر المفتن ينهل من نهر الأخلاق فيتغنى بأصول الزيارة :

ولا تزر من زرت إلا غبا[1] تزد لديه كلفا وحبا

من أكثر المجىء والذهابا إلى الصحاب ضيع الصحابا

والناس من دانا همو لا يكرم فادن قليلاً وتسل عنهمو

ولا تكن كلا على الإخوان فإنه أدعى إلى الهجران

---

(١) غب : قليل .

والفكرة تناقش الأصول الأخلاقية للزيارة وآدابها وأبرزها أن تكون خفيفة سريعة تمر مرور النسمة الرقيقة وتشرق شروق عطر حالم فى دنيا الأنغام الباسمة حتى يغرس فى نفوس إخوانه سحر الأشواق وحنين اللقاء وهذا أدعى لتكريم شخصه والصورة حية نابعة من واقع البيئة المصرية التى يتمنى الشاعر لها انتشار زهور الحب والود بين الأصحاب فى المجالس وخارجها وبديع قول شاعرنا :

مـــن أكثـر المجيء والذهابا ... إلى الصحاب ضيع الصحابا

حيث كشف بجلاء عن قبول النفس ورفضها لسلوك يشين كرامة الإنسان واستطاع المنشيء بالصورة المتناسقة تكرار المجيء والذهاب بالصياغة ( من أكثر ) وقد ضاعف وضوح الصورة كشفه لآثار هذا السلوك الأ وهو فقد الأصحاب .

ويتغنى شاعرنا الأخلاقى بما يدعم العلاقة بين الإنسان وأصحابه رواد مجالس الأدب أو السمر :

واحذر من الإعجاب والمراء ... واتـق ذكـر الأكـل والنســاء

وشارك القوم إذا ما طـربوا ... من مطـرب واعجب إذا ما عجبوا

ولا تشـذ عنهمو فى مذهب ... لكن إذا لم ترض شيئاً ما عـزب

يحذر المفتن من الغرور والكبرياء وتجنب ذكر الأكل والنساء ويرسم منهج المشاركة بين الأصحاب الذى يغرس فى نفوسهم الحب حتى يكون الجليس محبوباً لديهم مرغوباً فى وجوده والفطن يشارك الأصحاب فى طربهم وسرورهم وإعجابهم فى قبولهم ورفضهم حتى لا يتهم بالنقص والشذوذ والأبيات لمحة سلوكية رقيقة تحمل بين طياتها أمنية شاعرنا فى رباط حى

يجعل طبقات المجتمع المصرى فى نسيج متلاحم العواطف والمعانى مع وضوحها أنها نقلت حيوية الجلسة فى ترديد أصوات الإعجاب .

ويصور رقة العواطف مع همسات الود فى الجلسة قائلاً :

ودع القوم على اشتياق ... إليهمو وإن كنت ذا أخلاق

ولا تودعهم وداع القالى ... فإنه من خلق الأرذال

ولا تكن لهم ذلول المنكب ... وحاذر الإبعاد بالتجنب

والصورة تعكس الإيقاع العاطفى الذى يجب تحققه لحظة الوداع وقد استطاع الشاعر إثارة مشاعر الحنين حينما بين أن وداع القالى من خلق الأرذال ولهذا يجب أن يكون وداع الأصدقاء بشوق وردى وحنين الوداد يفوح بكبرياء العزة وشرف الكرامة ولعل مقولة أحمد الزين ( لا تكن ذلول المنكب) تجسد هيئة الإنسان الشكلية وانطباعه الوجدانى وأما قوله ( وحاذر الإبعاد ) بالتجنب لمحة لطيفة يحذر فيها من جفاف نبع المودة .

ويصف شاعرنا أصول القيم الأخلاقية التى تجب أن يتزين بها الجليس أثناء وجوده فى دار الجلسة :

إياك والإمعان فى المتاع ... فإنه من خلق الرعاع

ولا تمد الطرف للفراش ... ولا إلى الأثاث والرياش

ولا تقل بكم شربت ذاكا ... فربما استعير ما أدراكا ؟

بعد توديع الأصحاب تذكر شاعرنا خاطره لم يسجلها فعاد يترنم بسلوك طيب يدعم خيوط الود بين الجليس ورواد المجلس ويتبلور فى غض البصر عن أثاث المنزل والتزين بهيبة الحديث فلا يجوز الثرثرة بما لا يليق :

فقد يدفع الكلام إلى إشعال نيران الغيبة .

إياك والغيبة فى المحافل ... فإنها منقصة للفاضل

فإنما أنت إذا فعلت ... تنبىء عن ضعفك لو عقلت

وما رأى العجم ولا الأعراب ... أصغر من نفسك يا مغتاب

وإنما السيد من يغتاب ... فى بعده ولو أتى يهاب

والأبيات صورة أخلاقية تحث على تجنب الغيبة والنميمة لأنها صفه ضعيف الشخصية الجاهل بأمو دينية وينفر شاعرنا من هذه الصفة الذميمة التى تحفر بئر البغض بين الناس بتعبيره ( يا مغتاب ) وينقش شاعرنا على صفحة الخلق كلمات تصور حقيقة سلوكية اجتماعية ووجدانية :

وإنما السيد من يغتاب ... فى بعده ولو أتى يهاب

فالسيد هو الذى يتعرض للنقد فى غيبته لعجز من ينقده على مناقشته .

ويعلن شاعرنا أن مجلس الغيبة لا يضم إلا الأوغاد والفساق :

حذار من مجالس الأوغاد ... فإنها صخر على الفؤاد

وفرمن مجالس الفساق ... فإنها مفسدة الأخلاق

إياك أن تجالس الكذابا ... ولا مفاخراً ولا صخاباً

ولا تجالس محلداًفى الدين ... فإنما الإنسان بالقرين

وشاعرنا يحذر الجليس الذى يحضر المجالس من مجالسة الأوغاد ففى الجلوس معهم تدمير للمشاعر الرقيقة وقتل للأحاسيس النبيلة وقد أكد شاعرنا ذلك تعبيره التصويرى الجيد ( فإنها صخر على الفؤاد ) فهى جلسة ثقيلة تقبض القلب وتمزق الود والصفاء وجميل تعبيره ( وفر من مجالس الفساق )

الذى يصور الحركة وطبيعتها عند وجود فساق فى المجلس كما يحذر من مجالسة الكذاب والمغرور والثرثار والملحد وأحمد الزين فى تحذيره من هؤلاء ينادى بصحوة أخلاقية حتى يجدد حمية شباب مصر ليستيقظ مجدها والمتلقى لتحذير المنشىء من الصفات السابقة يقف على اضطراب أحوال المجتمع الأخلاقية وانتشار هذه العناصر التى تقتلع جذور الأمة الإسلامية المصرية فالكذب يدفع إلى الشك الذى يهدد كيان الأمة ويدمر أنواع الحضارة والمدينة كما أن الغرور والحقد والثرثرة يفجر طوفان الهمجية أما الإلحاد فهو بداية النهاية وشاعرنا الأزهرى يحذر من ضياع الشريعة إذا وضعت بين مخالب الدخيل الذى يحاول القضاء على اللغة العربية ليسهل عليه محاربة الإسلام والحضارة المصرية . وفى هذا الوضع الهزيل تكون العزلة وقاية من الضياع فى خضم القلق والفساد والفتن والانحلال :

| | |
|---|---|
| وأعلم بأن عزلة فى دير | للمرء خير من جليس ضير |
| قد أقفر الناس من الأخلاق | فلا ترم فى الناس ذا ميثاق |
| خير جليس لهم المغتاب | والصاحب الأوفى هو الكذاب |
| أخلاقهم تعدى فمن لا يهرب | يعدى كما يعدى السليم الأجراب |

ينعى شاعرنا أخلاقيات المجتمع عبر آداب المجالس فيعلن أن العزلة أفضل علاج للقضاء على هذه الأخلاقيات وقد صور شاعرنا تدهور الأخلاق بتعبيره ( قد أقفر الناس من الأخلاق ) فقد كانت مصر خضراء باسمة ضاحكة مستبشرة بأخلاقها الإسلامية وأزهرها الشريف والآن تعانى من الفتن والاضطرابات التى تحاول طمس معالمها ويسخر المنشىء من أحوال المجتمع فقد أصبح خير جليس لدى كثير من الناس المغتاب والكذاب والصخاب والملحد ومرجع ذلك فقر الأخلاق مما أدى إلى اختلال الأوضاع

وتفشت عدوى الأمراض الأخلاقية حتى أصبحت ظاهرة فاسدة تتمزق لها القلوب المؤمنة والمشاعر الوطنية :

مجالس جمعها الفساد   وعمها الشقاق والعناد

جليسهم رهين هم ناصب   فكيف بالخليط والمصاحب

فاجعلهمو كالنار للضياء   والدفء لا للمس والصلاء

لا تأمنن منهموا إنساناً   على نقير كائناً من كانا

إياك والتحسين فى الظنون   فإنها من شعب الجنون

يبكى شاعرنا حال مصرنا العزيزة وما تعانى منه من فساد انتشر بسبب الشقاق والعناد واضطراب القيم لقد كان المنشيء يتغنى بآداب المجالس وأدب الجليس إلا أنه كان يعانى مرارة التدهور وحسرة الضياع الاجتماعى الأخلاقى وانهيار الروابط الوجدانية فى مصرنا الحبيبة فسجل آداب المجالس وعبر التغنى بها صرح بما أصاب المجتمع وكأنه يصرخ بالصحوة الأخلاقية والبعد عن المجالس التى تحرق كيان الشعب المصرى ولهذا يحذر شاعرنا من الاندماج فى هذه المجالس والتعامل معها معاملة الكيس الفطن الذى يقطف من المجالس طيبها ويتقى نارها ويحذر شاعرنا من حسن الظن الذى يهدم المجتمع الإسلامى العربى المصرى فقد تغلغل الدخيل فى نسيج البناء الأخلاقى وارتدى ثياب الخسة والخديعة إلا أنه تزين بعادات الشعب المصرى لينفذ إلى معتقداته ويخر بها ويدمرها ولهذا أمعن المنشيء فى التحذير من الخداع فقد يجلس بينهم أجنبى يرتدى ثيابهم وينتحل صفاتهم وهو فى الحقيقة مخادع غشاش وفى الأبيات نداء بصحوة الأصالة الإسلامية المصرية الأزهرية والمتلقى الكريم يشعر بقلق أحمد الزين من شعاع بيته :

فاجعلهمو كالنار للضياء   والدفء لا للمس والصلاء

والمعنى يحمل بين طياته دعوة ذكية تكشف عن عمق تمتع شاعرنا الأزهرى بالفطنة الإسلامية فهو يشجع على الاستفادة من الأجنبى فى علومه ومعارفه ويحذر من الاطمئنان لمنهجه أو الانخداع بمظاهره وصرخته فى الشطر الأول ( فاجعلهمو كالنار للضياء ) يشعر المتذوق من تعبيره ( كالنار ) بما يحاول المنشىء بثه فى نفس المتلقى المصرى من الحرص والحذر حيث يتعامل مع النيران ويأخذ منها ما يفيده ولكنه لا يحاول الاقتراب منها والتحذير تحذير ذكى يعلن عن الروح الوطنية العالية والغيره على مصرنا الحبيبة وأصالة أخلاقها إن أرجوزة ( آداب المجالس ) نغمات أخلاقية قدمها المنشىء للمتلقى بقصد البناء الوجدانى والسلوكى لكل مصرى حتى يصبح مجتمعنا رفيع الشأن تنبثق منه أنوار الحضارة لتمد بأنوارها أرجاء الأرض وفى الأرجوزة نداء بتجنب ما يثير الحقد والحسد والبغض وكشف لما يجب أن يلتزم به الجليس من حسن حديث وتهذيب صوت ورقة حركة واتزان سلوكى وتواضع فكرى مع لطف وداع وشوق لقاء والأرجوزة جيدة البناء حيث تتمتع بالسهولة التعبيرية مع تناسق الدلالات اللفظية والصدق الشعورى إلى جانب قدرة التشكيل على الإيحاء المعنوى الذى ينقل للمتلقى رؤية الشاعر الوجدانية لقد عشق شاعرنا القيم الأخلاقية النابعة من الإسلام فحرص على بثها بين أبناء الشعب المصرى حتى تشرق أنوار عزته وكرامته فالجمال الأخلاقى ينسج خيوطه من طبيعة العلاقات الإنسانية العالية وهذا ما فطن إليه شاعرنا فبزغت أنوار أراجيزة لتبدد ظلمات الفساد الأخلاقى وتعلن أن القيم هى الصرح الشامخ للبناء العظيم الذى يشيده التعاون الحى بين أفراد البيئة الخاصة والعامة ولهذا تغنى أحمد الزين ( بآداب الأصدقاء ) ليبين أن العلاقة بينهم تمثل نواة طيبة فى البناء الأخلاقى الاجتماعى :

| | |
|---|---|
| أرى القطـــا أسـرباً | فاطـــلب الأصحابا[1] |
| إن الصحـاب عـــدة | ذخيـــرة فـــى الشده |
| هـــم زينة الإنســـان | وســـلوة الأحـــزان |
| هـــم حلية المعطـــل | وهـم سلاح الأعزل |
| إن نابــك الـــزمان | فإنهـــم أعـــــوان |

يعلن شاعرنا أن الأصحاب عدة وذخيرة وزينة وسلوة وحلية وسلاح يشعرون الصديق بدفء الحياة والمتذوق للأبيات يستحضر بخياله المناظر التى صورها المنشىء والتى تتجسد فى هيئة إقبال أسراب من الغزال تترابط فى ود وتتحرك بحب يحافظ كل منها على الآخر يرى فيه حياته واستمراره وفى هذه الصحبة وقاية من الأخطار والميل إلى الجماعة فطرة غرسها الله لتكون المنهج الصحيح فى العلاقات وإذا كان هذا فى القطا فكيف بالإنسان الذى كرمه الله وفضله وبث فيه حب التعارف والتعاون على الخير وعبارة ( فاطلب الأصحابا ) توحى برجاء مصحوب برغبة المنشىء فى تكوين روضة طيبة من الأصحاب ويتغنى شاعرنا بنغمات لطيفة الإيقاع تكشف عن منزلة الأصحاب فهم عدة وذخيرة فى الشدة ولفظة ( عدة ) توحى بأن الأصحاب وسيلة للنصر وأما الذخيرة توحى بأنهم كنز مدخر تتجلى منزلته فى الشدة ويمعن المنشىء فى مكانة الأصحاب فيصورهم بالزينة مما يدل على ضرورة اختيار الإنسان لإصحابه فيجب اتصافهم بالقيم الأخلاقية الرفيعة والسلوك النبيل حتى يرتشف منهم الأمن والبشرى عندما يشتد به ألم الشدائد وتعتصره مرارة الأحزان يجد أن الأصحاب حلية تبهج النفس وتنعش

---

(١) الديوان ١٦٠ .

الإحساس وهم سلاح فعال يحمى من كوارث الزمان وتعبيره ( الأعزل ) يوحى بأن الأصحاب هم العشيرة والحنان والحب لمن فقد أهله :

فتـــى بلا إخــــوان          عيــن بلا إنســــــان

هـــم نعمة لا تكفـــر          ومنــــه لا تنكــــــر

فضــــن بالإخــــوان          واحرص على الخلان

يترنم شاعرنا المرهف بالإخوان مصوراً أهمية وجودهم لحياة الإنسان فتعبيرة ( فتى بلا إخوان عن بلا إنسان ) ينقل للمتخيل هيئة عيون تتحرك بلا هدى مما يوحى بالضياع ويبث شعور الدهشة والرفض لشكل ( عين ) بلا إنسان وشاعرنا يغرس فى نفس المتلقى ما للإخوان من أهمية إيجابية فهم كيانه المادى والمعنوى هم نعمة وهبة حفظها فرض والحرص عليها ذخر ومقولته :

فضــــن بالإخــــوان          واحرص على الخلان

نداء نبع من تجربة ذاتية تمعن فى التمسك بالخلان فهم أصدقاء النفس وأحباب الروح يناجيهم الإنسان فى غربته فيجدهم أنوار وحدته ولهذا يفضلهم أحمد الزين على أخوان المصالح المادية ويغرد المنشىء بحقوق الصديق :

وكن نصـوح الجيـب          وكن أميــن الغيــب

كن للصـديق عـــزاً          وابــذل له ما عـــزاً

وأغنــه إن يفتقـــر          وعف عنــه إن قدر

وجـد ولا تستجـدى          تكن أثيــل المجـــد

ولا تكــن منــــاناً          تكــدر الإحســــانا

فالمــن بالإنعــــام     خليقـــة اللئـــــام

إذا أتـــاك يشكـــر     فقـــل له لا أذكـــر

دعوة من القلب تسطر في صفحة الود حقوق الصديق في إخلاص النصيحة وحفظ أسراره وغيبته والأخذ بيده ومساندته ورفع قدره وتعزيز أمره ويبين المنشيء أن من خلق الكريم تجنب الحديث عن مواقفه الطيبة تجاه الصديق حتى لا يتصف بصفة المن وهى صفة اللئام ويصور الزين المنهج الذى يجب أن يسلكه الصديق إذا أقبل عليه خليله يشكر له حسن موقفه :

إذا أتـــاك يشكـــر     فقـــل له لا أذكـــر

وهذا السلوك الرفيع ينشر عبير الود وينسج خيوط الحب بين الأصدقاء وقد أعلن شاعرنا عمق العلاقة الحانية بين الأصدقاء :

كن للصـــديق عزاً     وابـذل له ما عـزا

وأغنـــه إن يفتقـــر     وعف عنه إن قـدر

صورة تعكس ذوبان النفس فى النفس فالصديق يسكب نور قلبه فى قلب صديقه فينساب قلبهما فى نبضة واحدة فالصديق يجب أن يبذل لصديقه ما يعزه على الأخرين والعبارة توحى بكرم العطاء وفيضه وجميل من شاعرنا ( وأغنه إن يفتقر ) فهو نداء للتفانى الصادق والحب الذى يجب أن يكون أساس العلاقة بين الأصدقاء وأجمل منه حمايته من سحابة الفقر إذ اظهرت فى سماء حياته

دليـــل حسن الخيـــم     وآيـــة التكريـــم

ويغرى المنشيء بآداب الأصدقاء فيمعن فى دعوته لحسن المعاملة :

إيـــاك والمنازعـــــة    فإنهـــا مقاطعـــــــة
إن تحســـن المعاملـــة    فأقلل مــن المجادلـــة
دع الصـــــواب جانبـــاً    إن كان يؤذى الصاحبا
فـــــإن هـــــذا أدب    إن لم يضـــر الكـــذب

ويعلـن شـاعرنا أن مـن حقـوق الصديـق احـترام قـدره وتجنـب إثـارة المنازعة والجدال الصاخب الذى يمزق نسيج الود فمـن حسـن المعاملـة ونبل الخلق ترك المجادلة ويبين المفتن أن السمو يتجلى فى رعاية مشاعر الصديـق ومجاملته بما يسعده بغرس بذور الرضا فى نفسه :

ولا تقـــل ذا غلـــــط    إن كان فيـــه سخـــط
دع رأيـــه لا تتبـــس    لاسيمـــا فى المجلـس
إيـــــاك والجفـــــاء    إن تخلـــص الوفـــاء
ولا تطل حبل النـــوى    إن كنت صـادق الهوى

يحذر المنشىء مـن الجفـاء والبعـد فالوفـاء يقتضـى ود الأصدقـاء حتـى يرفرف نور الحب على الروابط الإنسانية .

ويختم أحمد الزيـن أرجوزتـه الطريفـة بنظـرة تأمليـة فلسـفية مـن واقـع الحياة :

واعلـــم بـــأن العمرا    ليـــس يطيق الهجـــرا
إن الزمـــان قلـــــب    والموت منـك أقـــرب
مــــا أقصـــر الأيـاما    وأســـرع الحمامـــا

فاغتنـــــم الزمانـــــا      وواصـــل الإخـــوانا

يصرح أحمد الزين بحقيقة يحاول الناس تجاهلها ألا وهى مرور العمر كالنسمة التى تعلن قرب النهاية فالأيام قصيرة سريعة تذوب فيها سطور العمر ليصبح سرابا وجميل منه تعبيره ( إن الزمان قلب ) والزمان هو عمر الإنسان يترجمه نبض قلبه الحى وعندما ينقطع النبض ينتهى زمان صاحبه ويصبح الإنسان ذكرى فى وادى النسيان ولكن ذكرى الإخوان له تبث لمحات الوجود فالذكرى عمر آخر تترجمة السيرة العطرة .

والمتذوق لأرجوزة ( آداب الأصدقاء ) يرى أنها ترنمت بالقيم الأخلاقية التى توطد العلاقة بين الأصدقاء والأصحاب حيث تبرز الآداب والسلوكيات العالية التى يجب أن تسود بينهم مثل العطاء العاطفى والوفاء بنبل وشرف ورعاية المشاعر والإيثار ودوام الود .

والأرجوزة لطيفة المطلع رشيقة البناء صادقة التجربة وقد ساعد على رقتها سهولة ألفاظ البناء التعبيرى مما أدى إلى قرب المعانى مع سرعة إحداث التفاعل الوجدانى بين المتلقى وأهداف الأرجوزة .

آمن أحمد الزين بالصداقة لأنها أصل العلاقات الإنسانية النبيلة فسطر نغمات رقيقة تعلن الآداب العامة بينهم فغرد قائلاً :

لا تصفيـــن الـــود إلا صافيـــاً      فليـس كل مـــن تـــراه موافيـــاً[1]

ضـــن بالإخـــاء قبـل الخبـــر      فإنمـــا الأخـــلاق رق الحـــر

وحـــب مـــن أحببته هـــوناً ما      عســـاك أن تهجـــره يومـــاً مـــا

(١) الديوان ١٦٢ .

وصاحب النـاس وكن على حذر　　　كم ضل ســـار غرة ضوء القمــر

ولا تـــذم غيـــر الزمــــان　　　فـــإن فيهــا خبــرة الإخـــوان

يستمع المتلقى لنغمات يشدو بها شاعرنا تنبعث من لحن حياته ووحى تجربته الذاتية تعكس فى ثوب من الرجاء نصيحة طيبة لغرس العلاقات السامية بين الأصدقاء ويناجى أحمد الزين الصديق فى مناجاة لنفسه ويحذرها ويرشدها فيحثها على الحرص فى اختيار الأصدقاء والحذر من الانخداع والضن بالإخاء حتى يقف على خفايا النفوس فالعشرة والمواقف هى التى تكشف درجة الوفاء والصفاء ودرجة الشهامة والإيثار كما يجب أن يعتدل الإنسان فى العطاء العاطفى فلا يبالغ فى حب الصديق ولا فى بغضه ويمعن شاعرنا فى دعوة الحذر بصياغة شكلية وايحاء معنوى بديع :

وصاحب النـاس وكن على حذر　　　كم ضـل سار غره ضوء القمر

والجمال التعبيرى ينبثق شعاعه من الشطر الثانى وتتجلى المهارة الفنية للشاعر فى قدرته على إثارة أحاسيس الحذر واستحضار من ضل فتخبط فى طريقة لإعجابه بضوء القمر والصورة مركبة تثير فى النفس حاسة الحذر فالإنسان يعشق ضوء القمر ويأمل فيه الخير ولهذا ينجذب له دون تفكير أو حذر حتى يتجرع حرارة الألم عندما يسقط فى بئر مظلم لم يكشف ضوء القمر أخطاره ولعل شاعرنا يحذر أيضاً من وهم الود وسراب الصفاء ويمعن فى التحذير فى صورة جيدة الصياغة واضحة الايقاع :

لا يـــزد هيك ظاهر مموه　　　فـى طى هذا باطن مشــوه

والبيت يحذر من جمال براق ينبهر به الرائى وما هو إلا أفعى مسمومة تدمر الشر وصرح شاعرنا بحمد الزمان على كوارثة لأنها تكشف حقائق الأصدقاء ويعلن أن المجرب هو الذى يستطيع أن يتقى غدرهم :

| | |
|---|---|
| كم من فتى يلقاك منه بشره | وإن تغب يسر إليك شره |
| والناس إن ينقدهم مجرب | زوائف ليس بهم من يصحب |
| لكنما يكفى الفتى من صاحبه | أن يأمن الصديق من عقاربه |
| من كنت منه آمناً فى سربك | فذاك لو عملت خير صحبك |
| فنحن فى قوم عليهم العفا | قد درست فيهم معالم الوفا |
| وغاض ماء الود فيهم ونضب | فإن ذوى إخاؤهم فلا عجب |

ويترنم المنشىء فى لحنه بحقائق نفسية تكشف عن ذكاء اجتماعى وفطرة واعية خبيره بالنفوس من حولها ولهذا يحذر من ظاهرة انتشار النفاق والرياء فى العلاقات الاجتماعية بين الزملاء ويعلن الشاعر عن تفشى الزيف والغدر بين الطبقات ولهذا يجب على العاقل حماية نفسه من عقارب خسيتهم حتى يصبح آمنا فقد اقتلع الوفاء وجفت عيون الصفاء وجميل تعبيره ( غامض ماء الود فيهم ونضب ) فبعض من يدعى الصداقة يفيض بالكلمات الجميلة والعبارات الرقيقة على الأصحاب والأصدقاء ويبش فى وجوههم مع أنهم فقراء العواطف يفتقدون الروح الإنسانية ويحاولون ارتداء ثياب غير ثيابهم والمتأمل للفظة ( غاض ) يدرك أنها ترمى إلى النضارة فى الحديث أما لفظة ( نضب ) فتعطى معنى الجفاف والبعد وشاعرنا بهذا يعلن الحذر من الكلمات المعطرة التى تحمل بين طياتها .

والمتذوق للصورة الأدبية فى الأبيات يتبين طبيعة أنين المنشىء ودرجة ما أصابه من حزن دفين لفقد الأمان وتغلغل الشرور فى النفوس وهل أدل على ذلك من مقولته :

لكنما يكفى الفتى من صاحبه      أن يأمن الصديق من عقاربه

فالمتخيل يربط بين معنى الصديق والصاحب وبين العقارب مما يوحى بضرورة الحذر والحرص من السموم القاتلة التى تبدد ظلال الأمن ومع تحذير المنشىء نجده لا يرفض قبول الصداقة :

فاقبل من الصديق ظاهراً أبدا      ولا تكلفه سوى ما عودا

إياك أن تنشر منه ما بطن      فربما أصلحه لك الزمن

وإن مما يظهر الأدابا      فى المرء أن يستبقى الأصحابا

والسيف إن تجل الصدا عن أثره      خير من استبداله بغيره

والأبيات دعوة تحمل عطر النصيحة التى تبرز فى ضرورة استمرار علاقة الأصدقاء وأصولها العامة حيث يجب كتمان عيوب الصديق الغائبة عن الناس عسى أن يصلحه الزمان فيصبح روضة طيبة الثمار ويبين الزين أن من الذكاء الاجتماعى الذى يشير إلى حسن أدب الإنسان ضرورة الحفاظ على الأصحاب طالما أدرك طبيعة عيوبهم واستطاع تجنب أخطارها وهذا السلوك أطيب من استبدال الأصحاب وقد أجاد فى تصوير ضرورة التمسك بالأصدقاء :

والسيف إن تجل الصدا عن إثره      خير من استبداله بغيره

والصورة رائعة جيدة المعنى عميقة التأثير تكشف عن فلسفة المنشىء وبعد نظره فقد رأى أن السيف الذى خبره الإنسان وأدرك مكوناته ووقف

على مواطـن إخفاقـه وإصابتـه مـن السـهل الانتفـاع بـه وهـو فـى هـذه الحالـه كالصديق الذى عاشره وعلم سلوكياته وطبيعته النفسية ويـرى أن التعـامل مـع ممن يعلمه الإنسان أفضل من التعامل ممن يجهل حقيقته وقد أصاب المنشـىء عندما صور الصديق بالسيف من حيث الإصابـة والإخفـاق وإذا تـرك تكـاثف الصدأ عليه وفقد وجوده هكذا الصديق يصيب ويخفق فإذا تجنبه صديقه وقعت القطيعة وجفت عيون الألفة .

ويوضح المنشىء أن العتاب آفة تهلك نسيج الأخوة :

| | |
|---|---|
| لا تكثر العتـاب فيمـا ساء | فإنـــه يكـــدر الإخــاء |
| وحاجـة الإخـاء للعتــاب | كحاجة الأرض إلى السحاب |
| أولـى فأولـى أن تقـل العتبا | إن الحيـا إن زاد عـاد جدبا |
| ولم أعــاتب صاحبـاً إلا وما | يأتــــى أكثـــر مما قدمـــا |
| مــن لام نفسه على ما كانــا | فذاك مــن لم يضـع الإخوانا |
| فلا تعاتبـه إذا مـا أذنبـــا | فحسبـــه هـــذا له مؤدبــاً |
| وضن بالعتبى على من يعجب | بنفسـه فإنـــه لا يعتـــب |

يحذر الشاعر من كثرة العتـاب حتـى لا يعكـر صفـاء العلاقـة وتتكـاثف سحب القطيعة فالأخوة علاقة سامية حاجتها للعتـاب كحاجـة الأرض للسـحاب ولهذا يجب أن يكون العتـاب لمسـة عـابرة يعـرض فـى أسـلوب يحفـه الحنـان ويحتضنه عطر الود ويحذر مـن حـدة العتاب وتكـراره حتـى لا ينقطـع حبـل الوصال ويبين المنشىء أن الذنب الذى ارتكبه الصديق سوف يحاسبه ويعاتبـه

فلا ضرورة لعتاب جديد وتغنى شاعرنا بالعتاب يوضح أن علاقة الإخاء يجب أن يخفف منه حتى تستمر روابط الود وقد أبدع شاعرنا فى صورته :

وحاجـــة الإخـــاء للعتـــاب كحاجة الأرض إلـى السحاب

أولـــى فأولـــى أن تقـل العتبا إن الحيـــا إن زاد عـاد جدبا

والمتذوق يستحضر ملامح الصورة ومعانيها فيتصور الأرض وحاجتها إلى المطر فيدرك أن المطر الذى تحتاجه الأرض إذا زاد قضى عليها وفقدت قدرتها على العطاء والنماء وهكذا العتاب إذا كثر أفسد أواصر المحبة ودفع إلى القطيعة الأبدية .

وقد بين المنشىء أن العتاب الجميل لا يكون للمغرور أو المتكبر إنما يرسم أسلوبه وينمقه بحب للخلوق الود ود الذى يستقبل الحديث بقلب منير ولهذا فالعتاب يكون لمن يثق الإنسان فى رقى فكره ووجدانه وكما يعاتب الإنسان صديقه يجب الاعتذار له إذا وقع ما يعكر الود :

ثلاثة ليس لهـم أصحـــاب الكل والمعجـــب والكـذاب

لا تعتـــذر إلا إلـــى من يعذر ومـــن إذا أتيت ذنبـــاً يغفـــر

لا تحتقـــــر بوادر اللســـان فإنهـــا مضيعـــه الإخـــوان

زن ما تقـــوله فـــرب قـول أنفذ فى مـــراده من صـــول

وقد تقال عثـــرة الأقـــدام ولا تقـــال عثـــرة الكـــلام

لا تستطل يوماً على الإخوان بمـــا منحتـــه مـــن البيـــان

فربمـــا جـــر اللســـان ضيراً وربمـــا كان العيـى خيـــراً

بين شاعرنا أن العتاب اللطيف يأسم الخلاف بين الأصدقاء ودعوة للأشواق ونداء لاستمرار العواطف النبيلة وكذلك الاعتذار الطيب النابع من قلب ينبض بالصفاء وحذر من تقديم لمحة الاعتذار للمغرور والكذاب والمنافق ومهتز الشخصية ففى شخصياتهم صفات الغدر والخسة والانحطاط الوجدانى والفكرى والاجتماعى ويذكر المنشيء ضرورة التزين بحسن الخلق فى العتاب ورقة الأسلوب فى المنهج ويكشف عن القيم الأخلاقية التى توثق العلاقة بين الأصدقاء والأصحاب أبرزها حفظ اللسان من الهفوات التى تدمر العلاقات الأنسانية وتهلك زهور الود فتضيع معالم الأخوة ولعل شاعرنا يحذر الإنسان أن يكون مهذارا حتى لا يصبح وسيلة للسخرية والاستهزاء وفى نصيحة أحمد الزين نداء لاحترام الإخوان وتقدير كيانهم حتى يحتفظ الإنسان بهم ويعلن أيضا عن حقيقة خالدة تبين أن عثرة الأقدام تزول بمرور الأيام أما عثرة اللسان فهى تمزيق لروح الأخوة ويثبت شاعرنا أن اللسان منبع السعادة وبئر الشقاء وينادى الصديق البليغ الذى استقدره الله على البيان بضرورة احترام الأصحاب وتقديرهم ويحذر من التعالى عليهم بسحر البيان ففى هذا السلوك إشعال لبذور الضغينة والفضيلة ترمى إلى بث مشاعر الحب ونشر لواء الخير بين الأصحاب والأصدقاء حتى تستقر الحياة الاجتماعية فى مصرنا الحبيبة .

وقد أعلن شاعرنا أن العيى قد يكون سمة من سمات الفضل :

قد كان موسى حصراً عيياً     واختاره الله له نجياً

وكان هرون بذاك أولى     لأنه أفصح منه قولا

لكن فـ [illegible] ـى مر     يؤتيه من يشاء من عباده

يستدل شاعرنا على أن القدرة البيانية والمهارة التعبيرية لا يجوز استخدامها للتباهى والفخر وتفجير طاقات الشر فالقدرة البيانية هبة من الله ونعمة اختص بها بعض العباد لترجمة المشاعر الإنسانيةى التى يشترك فيها البشر جميعاً ويبين شاعر أن عدم القدرة على الإفصاح ليس عيباً فقد كان سيدنا موسى عليه السلام لا يفصح القول ومع ذلك اختاره الله ليكون كليمه والباحث الكريم يتبين إخفاق شاعرنا فى صياغته ( عيباً ) حيث يجب التحفظ فى الاستدلال بسيرة الأنبياء .

ويتغنى المنشىء فى خاتمة مطافة بخلق الكريم والعاقل :

| | |
|---|---|
| إياك والفضـــول فـــى المقـــال | وغض من صوتك فى الجـدال |
| إيـــاك أن تبغى نصر البـــاطل | برفعك الصوت على المجـادل |
| مـــن ينصر الحق فليس يغـلب | ومـــن أبـــى فما يفيـــد الصخب |
| فإن يكـــن بالصخب افتخـــار | بذ الورى فى فخـره الحمـــار |

يصف المنشىء السلوك الفاضل الذى يتزين به الإنسان النبيل منه تجنب الفضول وغض الصوت فى الجدال والوقوف موقف القوى الناصر للحق كما يجب عليه تجنب الافتخار بالصخب الذى يوحى بهمجية النفس ويهدر الكيان الإنسانى .

ويختم أحمد الزين أرجوزته بلمسة ساخرة تكشف عن روحه المصرية الأزهرية الباسمة :

| | |
|---|---|
| فإن يكن بالصخب افتخـــار | بذ الورى فى فخره الحمـــار |

والبيت يثير الضحك عندما يستحضر المتذوق هيئة الحمار ودرجة صوته ويربط بينها وبين الإنسان الذى يحتد فى الجدال بصوت صاخب ليصل بهذا الربط التشكيلى والصوتى إلى تفوق الحمار وتميزه فى مجال الصخب .

والمتذوق الكريم لأرجوزته ( آداب عامة للأصدقاء ) يقطف من رياضها القيم الشريفة التى يجب أن يتحلى بها الأصدقاء من وضوح فكرى وصفاء وجدانى وتقدير اجتماعى وود رفيع ووفاء كريم وعتاب رقيق واعتذار لطيف وإيثار نبيل وتواضع جميل .

إن الروابط الإنسانية التى تسود بين الأصدقاء والأصحاب تعكس إيمان المجتمع بالقيم الإسلامية والسلوكيات العالية وتوثق الصلة بين الأفراد والجماعات .

والإخوة حبل من الوداد السحرى الذى يجذب القلوب ويستميل النفوس ولهذا نظم أحمد الزين أرجوزة أطلق عليها ( آداب الإخوان ) قال فيها :

| | |
|---|---|
| أنصت إلى حديث من تكلما | وإن تكن منه بذاك أعلماً[1] |
| لا تشتغل عنه بما سواه | ولا تمار فى الذى يراه |
| فإنه من خلق الأرذال | وليس فى شىء من الكمال |
| ولا ترده إلى الصواب | وانتما فى حضرة الأصحاب |
| فإنه ليس من السخاء | وإنه أقطع للإخاء |

يعلن شاعرنا أن الخلق الحسن الذى يجب أن يتزين ويلتزم به الإنسان فى حسن استماعه للمتكلم واحترام حديثه حتى لو كان به أعلم وإظهار

(١) الديوان ص ١٦٥ .

الاهتمام والشغف بالحديث لغرس زهور البهجة فى نفس المتكلم ويحذر شاعرنا من الجدال الأحمق لأنه من السلوكيات الخسيسة الوضيعة ويدرك المتذوق رقة شاعرنا وإحساسه المرهف فى المحافظة على مشاعر الجليس والكرم معه وتكريمه فإذا أخفق من حسن الخلق عدم رده إلى الصواب فى حضرة الأصحاب وهى صفة نبيلة راقية .

- ويخاطب الزين الإنسان مخاطبة الود والرجاء :

| | |
|---|---|
| إياك أن تقول ما لا تفعل | فإنها خليقه لا تجمل |
| وإنه ليس من الكمال | زيادة القول على الأفعال |
| فإنما ذو لسن قوال | أحسن منه أبكم فعال |

والأبيات تصور الجمال الذاتى للإنسان السوى الذى تطابق أقواله الحسنة أعماله الطيبة وينفر شاعرنا من كثرة الكلام الذى يصف الإنسان بالثرثرة ويصرف عنه الناس ويعرف بينهم باهتزاز الشخصية ويمدح أحمد الزين الإنسان الذى يتسم بالصفتين عن وعى وبصيرة بل يفضل الصامت بصفة مطلقة عن القوال الذى يبث الاضطرابات النفسية بين الأصحاب والأصدقاء .

ويتعرض لعلاقة الصديق بصديقه :

| | |
|---|---|
| إياك أن تقاطع الصديقا | وأن تبت حبله الوثيقا |
| فإنه ليس رقيقا يعتق | متى هفا أو زوجة تطلق |
| وإنه ليس من الأداب | قطيعة الخلان والأصحاب |
| وليس من معايب الإنسان | أقبح من قطيعة الإخوان |

إن أحسنوا فكن لهم شــكورا وإن أساءوك فكن غفـــورا

تتغنى الأبيات بمنزلة الصديق وحقه على صديقه الذى يتجلى فى الوصال الجميل والود الصافى ويحذر شاعرنا من قطيعة الخلان التى تدل على القبح الخلقى وضعة النفس وينادى الشاعر بضرورة الثناء عليهم وشكرهم والتسامح معهم حتى ينشر الحب أجنحته وترفرف أغصان السعادة .

ويتناول شاعرنا قبول العذر وأثره الطيب فى العلاقة بين الأصدقاء :

واصغ إلى معذرة الإخوان وقابل السيئ بالإحسان

قد قيل فى الأمثال من لا يعذر ذا هفوة فإنه لا يعذر

وإنه من آية الكريم أن يقبل العذر من الحميم

فإنه عضوك إن تألما فداوه بالحلم حتى يسلما

يوضح أحمد الزين قبول العذر وأثره الجميل الساحر فى توطيد الروابط الإنسانية وأجاد شاعرنا فى تعبيره الذى يحمل ملامح الرجاء ( واصغ ) والتعبير يحمل معانى العفو إلى جانب المشاركة الوجدانية وكأن السامع يعاتب نفسه على لوم صديقه ويغوص الشاعر فى أعماق النفس البشرية فى محاولة لإسعادها فيصف من يقبل العذر بالكرم الأخلاقى ويبين أن الهفوة التى وقعت من الحبيب ما هى إلا سحابة سوف تتقشع ويسطع نور الأخوة ويمعن شاعرنا فى تصوير قوة العلاقة بين الصديق وصديقة وذوبان شعورهما فى نبضة واحدة وقد أجاد شاعرنا فى تعبيره .

فإنه عضوك إن تألما فداوه بالحلم حتى يسلما

حيث صور الصديق بأنه جزء من جسد صديقه ولهذا يجب رعايته وحمايته ووقايته كما يحافظ على أعضاء جسمه ويعالجها عند إصابتها بالألم المرضى والجملة ( إن تألما ) توحى بطبيعة علاقة التراحم والترابط بين الأصدقاء وصعوبة الانفصال عنهم والكاف فى التعبير ( عضوك ) تبين شدة الترابط والتماسك أما عبارة ( إن تألما ) فقد ربطت بين هفوة الصديق وألم الجسد لتكشف أن الموقف معهما واحد ويترنم المنشئ بجمال العلاقة بين الأصدقاء قائلاً :

| | |
|---|---|
| وإن تكن حلو السجايا حرا | فاحتل له فيما يسئ عذرا |
| ولا تؤاخذه بذاك الذنب | ولا تكن فظا غليظ القلب |

والأبيات تناشد الصديق قبول عذر صديقه حتى تستمر العلاقة بينهما ويتمنى غرس سمة التسامح والعفو ولين الجانب ويرى أن العتاب لمسة حانية تشرق لها شمس الألفة

| | |
|---|---|
| ولا أرى خيرا من العتاب | فإنه دريئة العقاب |

ورغم دعوة شاعرنا بالود والإخاء وتجنب البعد إلا أنه احتد على المختال والكذاب والمرائى ورأى ضرورة الحزم معهم لأنهم وباء العلاقات الإنسانية الطيبة ويترنم الشاعر بفكرة كررها فى ( آداب عامة للأصدقاء ) ولكن عمق إيمانه دفعه لترديد الفكرة :

| | |
|---|---|
| إياك والحلم على ذى كبر | فإنما الحلم عليه يزرى |
| إنى أرى الحلم على المختال | علامة الضعف والاستدلال |
| حذار من صداقة الكذاب | فليس غيمه سوى ضباب |

إياك أن يخدعك السراب ... من لفظة فإنه خلاب

يمنحك الترحاب والسلاما ... وقلبه مستعر ضراما

وضن بالود على المرائى ... فإنه أخوك فى الرخاء

فإن كبابك الزمان العاثر ... فإنه عدوك المجاهر

تحذر الأبيات من حسن معاملة المغرور المختال لأنه مريض النفس يظن الإحسان ضعفا ولهذا يجب الرد عليه بما يناسب طبيعته كما يحذر المنشئ من صداقة الكذاب الذى لا يجلب إلا القلق والاضطراب وقد أبدع شاعرنا في صورته الأدبية حين صور صداقة الكذاب بغيوم مظلمة تقبض النفس وتقتل الأمال وقد برزت مهارة الشاعر فى ربطة بين الغيم والضباب وبين صداقة الكذاب والمنافق والمراد التحذير من معسول كلام مدعى الصداقة فصداقته تحجب الرؤية الصادقة وتسبب الأهوال كما بين شاعرنا الحذر من الكذاب الذى يزين كلامه فيخدع السامع الذى يسقط فى سراب الأمل ويعلن أحمد الزين أن الكذاب يتمتع بقدرة بيانية تجعل كلامه كالعسل المصفى والذى يبرز فى حسن ترحابه وجمال سلوكه مع أن قلبه يشتعل حقدا ويمور حسدا ويرفض شاعرنا صداقة المرائي الذي يعرف الإنسان فى الرخاء فإن تبدلت أحواله برزت عداوته فى صوره شيطانية وجميل وصفه الزمان بلفظة ( العاثر ) مما يوحى بتقلب الأيام .

ولقد حذر شاعرنا من صداقة الكذاب والمرائى كما حذر من صداقة البخيل :

لا تغرس الود لدى بخيل ... فإنه أسرع للذبول

فإنه من ضن بالإحسان ... يضن بالود على الإخوان

صديق ماله عدو النـــاس والجـود للزلات خير آس

وطالب الود بلا إحســـان كرافــع البيت بلا أركان

والمعنى رؤية شعرية معنويـة لطيفـة فـالبخيل بالإحسـان المـادى يبخـل على الناس بالود أيضا فمشاعره جافة من ينـابيع الحنـان كمـا جفت يـده مـن العطاء وهو ربط جيد بين السلوك الاجتماعى وبين التكوين النفسـى وقـد أفـاد النهى فى تعبيره ( لاتغرس ) تجسيد المعنى حيث صور المنشئ الـود بـالبذرة الخصبة الطيبة التى تذبل عند البخيل بصورة معنوية مادية قريبة التخيـل مـن المتلقى وبين شاعرنا أن الصديق الودود المخلص الجـواد خـير بلسـم لصديقـه ويعلن أحمد الزين أن الإنسان يعقد ميثـاق الصداقـة ليجنـى ثمـرة طيبـة ولهـذا يجب عليه التحلى بنبل العطاء وجمال المشاعر وصفاء الأحاسـيس حتـى يقـدم له الأصدقاء رياحين الود ويغوص المنشئ فى أعمـاق النفـس البشـرية بنظـرة فلسفية تأملية .

من يبغى بالمال سـوى إنفاقة فإنه ينفــق مـــن أخلاقه

أدن إليــك سالف الإخوان إن تغد ذاعز وذا سلطان

وارع له الوداد فى الرخاء كما رعى ودك فى البأساء

إياك أن تطغيك النعمـــاء فإنهـــا ليس لهـــا بقـــاء

كل زخاريف الحيــاة زور وكل من صبالها مغـــرور

سرعان ما يذوى بها الرطيب لا بشـــرها باق ولا التقطيب

وهكـذا غاية كـل حـــى تشـــابه الأشيب بالصـــبى

والأبيات خلاصة تجربة حية عاشها الشاعروجسدها فى أداء صادقة واعية فالمال ينفق لنشر السعادة على صاحبه وأحبابه كما يسلك الإنسان السلوك الحسن لنشر آثار الجمال فى العلاقات الإنسانية وربط شاعرنا بين إنفاق المال والسلوك النبيل فالمال عطاء وبذل مادى والمعاملة الطيبة عطاء معنوى وهما معا زهور السعادة الناضرة .

ويرى المنشئ التقرب من إخوان الطفولة والشباب وخاصة عندما يتمتع الإنسان بالترف والنعيم والسلطان لأنهم رفاق الزمن الأخضر وسيشعر الإنسان معهم بسحر الحياة إلى جانب معرفته الدقيقة بطباع كل منهم معرفة يقينية بدرك من خلالها كيفية التعامل مع كل منهم .

ويرى أحمد الزين رعاية حق الوداد بوفاء رفيع ويحذر من الكبر والتعالى وفى دعوته نداء من القلب لرعاية الود القديم ود الطفولة وللشاعر حجته فالترف ورغد العيش إلى زوال أما المشاعر الإنسانية الخالدة فتتولد من العشرة الطيبة ولا تخضع للأيام ويترنم شاعرنا بمشاعر حية وتجربة ذاتية فلسفية تكشف عن روح التأمل العميق فكل مباهج الحياة زور وخداع ورياء فمن يثق بها المغرور الأحمق فسرعان ما تذبل زهورها ويعبس وجهها وتكشر عن أنيابها ويتساوى عندها المسن والصبى فهى دنيا الغدر والألم دنيا تدفع إلى الحذر والحرص والذكى فيها من يتمسك بالأصدقاء والإخوان لأنهم أعوان الشدة ووقاية من الكوارث .

والمتذوق للصورة الأدبية يلمس روعة الأداء التعبيرى والقدرة على توظيف الألفاظ مما ينم عن إحساس المنشئ وواقعية أفكاره التى أبدع فيها وأجاد مما يدل على صدق إيمانه بما يتغنى به مثل مقولته :

سرعان ما يذوى بها الرطيب لابشرها باق ولا التقطيب

البيت يكشف عن حقيقة الدنيا وغدرها وتقلبها وهو دعوة للحذر منها ورفض بسمتها والحرص من غدرها .

والمتلقى الكريم لأرجوزة ( آداب الإخوان ) يجد أن القيم العليا تتجسد فى احترام منزلة الصديق وتقدير مكانته واحترام مشاعره والحفاظ على استمرار العلاقة الطيبة معه وقبول عذره والصفح عن ذنوبه وغرس ميثاق الود والوفاء معه إلى جانب التحذير من سلوك المنافق والكذاب والمرائى وينصح أحمد الزين المتلقى بتنمية غصون الوفاق حتى يسود لحن السعادة وهذا ما ترنم به فى أرجوزته ( نصيحة ) التى صورت القيم السلوكية الإنسانية التى تنشر سحر الولاء وعطر الوحدة البشرية :

| | |
|---|---|
| إذا أردت أن يدوم الحب | فلا تكن صـــهرا لمـن تحب[1] |
| فإن هـــذا يذهب الوفاقا | ويجلب العنـاد والشـــقاقا |
| ولا تبايعه لأجل الكســب | فإنه مذهبـــه للحـــب |
| إنـى رأيت أكثر العـــداء | يكون فى البيع وفى الشــراء |
| وليس من مروءة الإنسان | أن يكسب المال من الإخوان |
| لا تنقل الشتم عن السـفية | إلى الصـــديق إنه مؤذيه |
| واكتمه عنه إن ذاك شــر | وجهله بالشـــر لا يضـــر |
| إذا أردت أن تكون كاملا | فلا تكن لمـــا يسـئ ناقلا |
| فإنه داعيـــة النفـــور | وباعث الأحقاد فى الصـدور |

---

(١) الديوان ص١٦٨

أشرقت النصيحة بدعوة رقيقة تحمل لمسة الحب والولاء وتنشر سحر الألفة ولطف الوفاق عبر ترنم المنشئ ببذور الحب حيث يرى أن استمراره يتولد من ذكاء المعاملة وفن العلاقة الإنسانية بين الأصدقاء والإخوان كما يبرز من تجنب الكبر والتعالى لأنهما مجلبة الشقاق والخلاف ويبين المنشئ أن أعمدة الأخوة أساسها خلق المروءة والشهامة والإيثار وتجنب العلاقة المادية البحته بين الإخوان ويحذر أحمد الزين المتلقى من سلوك الغيبة وإثارة الفتن وتحريك مشاعر البغض بين الأصدقاء ويصف هذا السلوك بالخسة ويعرض النفوس إلى التمزق الذى يدفع لتدمير الروابط الإنسانية بين أبناء الوطن المصرى وهذا ما يسعى إليه الدخيل ولهذا يجب على الصديق الالتزام بعفة اللسان وشرف المقولة وحسن الحديث وتجنب نقائص النفس حتى لا يتسم بصفات الوشاه لأنها صفات تبعث على إثارة الحقد وتشعل نيران الضغينة فى الصدور والمتلقى يقف على ذكاء المتذوق فى العلاقات الإنسانية وينادى شاعرنا المتلقى موضحا خصائص العلاقات الأخلاقية :

| | |
|---|---|
| إنى أرى من دينـــه التفريقْ | ليس له بين الورى صـــديق |
| يفر منه الأهل والأصحاب | فإنه نار وهم أحـــــطاب |
| من نم لى بما يقول القـــائل | فإنه عنـــى كـــذاك ناقل |
| فلا يظن أننـــى أصـــفيه | بالـــود لكنى أتقيـــــــه |
| فإنه فى صحبتـــه الملامة | وإن فى اتقائه الســـلامه |

تهاجم الفكرة السابقة مرض النميمة الذى يهلك روح الصداقة ويقتل مشاعر الإخوة ويمزق الروابط الإنسانية ويشيع السموم السلوكية بين أفراد المجتمع ويبين المنشئ أن هذا الإنسان البغيض يفر منه الأهل والأصحاب

ويوضح أحمد الزين أن منهج التعامل معه يعتمد على تجنب شره بصورة يتوهم فيها الصفاء حتى لا يبث سمومه بأسلوب شرس وضيع كما يبين شاعرنا أن هذه الصفات تدفع الإنسان الخلوق إلى الفرار من صاحبها حتى لا يصبح موضعا للنقد والعتاب والاتهام والمتذوق يقف على الجمال التصويرى لهذه الفكرة من خلال التجسيد فى الصياغة الآتية :

يفر منه الأهل والأصحاب    فإنه نار وهم أحطاب

وتعبيره ( يفر ) تجسد درجة الحركة وسرعتها أما الشطر الثانى فيعكس الحالة الوجدانية التى تنتج من سلوك الأحمق الذى يؤذى الناس بنقل الكلام فهو نار حامية تلتهم البهجة وتترك الأصحاب حطاما ورمادا من حدة اشتعالها وجميل منه جعل الناس الأحطاب لنيران غيبته حيث جسد المنظر لخيال المتصور هول سلوك الغيبة على العلاقات الاجتماعية مما يهدد كيان أبناء الوطن المصرى ويشير المنشئ إلى آثار الوشاة الوخيمة :

إن زخاريف الوشاة تخدع    فالعاقل العاقل من لايسمع

وإنما السيد والهمام    من لاينال سمعه نمام

وإن يبلغك الوشاة سبا    وإن تكن صدقا فلا تسبا

فإنه ليس من الأداب    أن تجزى السباب بالسباب

ففى أسلوب الوشاة ما يخدع من زخاريف الأقوال والحكيم هو الذى لا يسلم أذنه حتى يتجنب شرهم ويبين أحمد الزين أن من ينتصر عليهم بقوة شخصيته وحسن سلوكه يتصف بسيادته على نفسه فيدرك النمام عجزه أمام الشخصية الحكمية الواعية فينصرف مهزوما ويحذر شاعرنا المتلقى من الاستسلام للوشاة أو تبادل الشتم والسب معهم لأن هذا سلوك الرعاع أما صاحب الأداب يترفع بنفسه عن هذه السلوكيات الخسيسة :

إيـاك أن شاتـم الطغـاما وإن تسأ منهم فقل سلاما

واجعله كاللغو من الكلام فإنه من خلق الكرام

من يتغابى عن سماع شتمه فإن هذا سيد في قومه

من كان مرفوع الذرى في الناس فلا يرى في شتمه من باس

فإنه لايسقط الأقدار ولا أراه يهدم الفخارا

ومثله مدحك للأرذال ووصفك الناقص بالكمال

فإن من يمدح من غير علا كالكلب قد طوقته من الحلى

يصور المنشئ السلوك الأخلاقي الذي يجب أن يلتزم به الخلوق العاقل الذي يدرك مقادير الأمور فهو لا يسب ولا يشتم حتى الطغام بل يقابل السيئة بالحسنة وينظر لسبهم مثل لغو الكلام ويتناسى ما سمعه من شتم قوة منه وحكمة سلوكية رفيعة حتى يحقق لنفسة الفخار ولسمعته حسن الذكر والثناء ويبين المنشئ أن السب على لسان الطغام يضاعف من مكانه الإنسان ومنزلته ويقيس شاعرنا على هذه الحقيقة مدح الأرذال بالكمال ليبين انها تكشف حقيقتهم الوضيعة .

ويصور الشاعر الوضيع الذي يمدح بالكلب الذي يزين بالحلى حيث لا تغير الزينة من حقيقته ولا قيمته والصورة تعكس بجلاء معاناه الشاعر الوجدانية وما وقع عليه من مظالم اجتماعية والمتذوق للصورة يستطيع تجسيد الهيئة من استحضار مظاهر الزينة التي تطوق عنق الكلب مع إدراك طبيعته المنفردة والصورة يستدل بها الشاعر على أن الخسيس مهما نال من منازل

شريفة ومراتب عالية سيظل وضيعا وكأنه بهذا يواسى نفسه الشريفة المحرومة مع تمتعة بالموهبة والنبوغ .

ويغرد شاعرنا بالصديق وما يجب أن يتبع معه : -

كن للصديق حصنه الحصينا ... وكن على أسراره أمينا

ولاتسله بذل ما لا تبذل ... ولا تحمله سوى ما تحمل

فإنه داعية النفار ... وإنه آية الاستئثار

لاتطو عنه ما يضر جهله ... فإن هذا لا يذم نقله

وانصح له أن كنت ذاوفاء ... فإن هذا واجب الإخاء

والأبيات تتعلق بعلاقة الصديق بصديقة وتبين أنه الحصن الحصين له ومنبع الأمن والأمان ورافد من روافد البركة وتعلن الأبيات مايجب فى سلوكيات الصداقة من قيم رفيعة تتمثل فى الوفاء والشهامة والصفاء والاحترام وتقدير مشاعره حتى تستمر روابط الأخوة ولا ينشب الفراق مخالبه ويرى أحمد الزين أن النصح الصادق من أبواب الإخوة الطاهرة بل إنه من علامات الوفاء ويذكر الشاعر إن للنصح أصولا أخلاقية:

إياك أن تنصحة تصريحا ... لكى يراك صادقا نصيحا

عليك بالتعريض فيما تنصح ... فإنما الحازم لا يصرح

ولايكن نصحك إلا لينا ... إنى أرى التشديد خرقا بينا

مما حفظناه من الآثار ... الماء قد يطفئ حر النار

**من الأصول الأخلاقية الرفيعة التى صورها شاعرنا نصح الصديق بالتعريض واللين لابالعنف والتجريح وتعبيره ( الماء قد يطفئ حرالنار) يدل على أن الرقة واللين مدعاه لسد عيون النفور والبديع فى التعبير السابق أن الماء يطفئ حر النار كما تطغئ الكلمة الطيبة نيران الغضب.**

**فالصديق رفيق النفس وشقيق الروح ونبض القلب ولهذا فالنصح له توثيق للوداد وتجديد لعهد المحبة والوفاق**

| | |
|---|---|
| **إن الصديق لومه تأديب** | **ولوم من عاديته تأنيب** |
| **إياك أن تنصحه جهارا** | **فإنه يزيده ضرارا** |
| **لا تنصح الناس بما لاتفعل** | **فإنها نصيحة لا تقبل** |
| **إنى أرى نصيحة الأفعال** | **أبلغ من نصيحة الأقوال** |

**يمعن الشاعر فى الحفاظ على مشاعر الصديق عند نصحه حتى تظل العلاقة باقية تحتضنها لمسات الحنان وتتدفق بالعواطف النبيلة حتى لا يتألم الصديق من صديقه لأنهما نبضة قلب واحد ويرى شاعرنا فى نهاية النص ارتباط النصح بسلوك الناصح وقيمة كما يجب أن يعكس النصح الأخلاقيات التى يتمسك به الناصح من مثل وقيم حتى يكون للنصيحة أثرها الإيجابى الفعال والمتأمل لأرجوزة (نصيحة)[1] :**

يدرك أن منبع قيمتها يتدفق من الأخلاقيات الإسلامية السامية وقد حث شاعرنا فى نصيحته على الحب الذى يثمر الوداد والوفاء بين الأصدقاء

---

(١) الديوان ص ١٦٨

وتجنب السب والشتم والغيبة والنميمة والحرص من الوشاة وإخلاص النصيحة للصديق مع المحافظة مشاعره ورعاية أحاسيسه والمتذوق للنص الشعرى يلمس سهولة الألفاظ ووضوح المعانى وإيجابية القيم وواقعية السلوك الأجتماعى المتسم بالروح الإنسانية التى تتفق مع طبيعة أبناء البيئة الإسلامية المصرية لقد أحب أحمد الزين القيم وأمن بالخلق فتغنى بكل ما يدعم الروابط الإنسانية بين المعلم والمتعلم والإخوان والأصدقاء حتى يصبح المجتمع المصرى من أرقى المجتمعات المتحضرة فعمق الروابط دلالة على التحضر الفكرى والوجدانى ويبين شاعرنا أن السبل التى توثق العلاقات بين الإخوان والأصدقاء كثيرة ومتنوعة فقد تبرز فى كلمة عتاب حانية يناجى بها الصديق من يستحق العتاب الجميل من الأصدقاء وقد صور فى أرجوزته (من يعاتب من الإخوان ومن لا يعاتب) وبين فيها أن العتاب كلمة طيبة تسرى فى مشاعر الودود فتحرك عواطف الأخوة الصافية ولكنها تحجب عن اللئيم الخسيس لتحجر أحاسسة وضعة نفسه

| | |
|---|---|
| لاتترك العتب لمن تصاحبه | إنك تستبقى الذى تعاتبه[1] |
| إياك أن تعاتب اللئيما | إنى أرى العتب له تكريما |
| ومن يرى الإخوان دون رتبته | فذاك لا يحمد غب صحبته[2] |
| فلا تعاتبة إذا أساء | فإنه يريده استعلاء |
| حذار من معتبة الآسافل | فإنها منقصة للكامل |
| وإنه قد دنس العتابا | من جعل العتب لهم جوابا |

---

(١) الديوان ص ١٧١

(٢) غب صحبته : عاقبتها

| | |
|---|---|
| فـــإنـــهم أشـــــبه بالـــكلاب | لا يعـــرفـون قـيمة العـتابا |
| وليــــس للسـفلة مــن تأديب | إذا أســاءوك ســوى التعذيب |

يتغنى الشاعر بالعتاب بين الأصدقاء والأحباب ففيه ينابيع الألفة والمودة وتعبير المنشئ ( تستبقى ) بما يحتوى من مساحة صوتية ونغمات موسيقية يدل على ضرورة الحفاظ على الروابط الإنسانية القائمة بين الأصدقاء ويحذر المنشئ من معاتبة اللئيم والأسافل ويرى أن فى عتابهم ذروة التكريم لهم والعتاب جليل القيمة رفيع الشأن ولهذا يجب حمايته فلا يكرم بـه إلا الأفاضل أصحاب القيم الأخلاقية العالية.

ويصور المنشئ سلوك الأسافل الذين يشبهون الكلاب فى الضعة كما يعكس خسة نفوسهم وقد برز ذلك بجلاء فى تعبيره ( أشبه بالكلاب – دنس )

والصورة الأدبية تنقل بصدق الألام المفعمة للمنشئ وكأنـه يصـرخ فـى وجه الأسافل الذين تجرع كأس العـذاب مـن شراسـة سلوكهم معـه ويـرى أن التعذيب هو المنهـج الذى يطبـق عليهـم حتـى تستقيم أمـور الحيـاة لأنهـم آفـة الأمان والاستقرار:

| | |
|---|---|
| وإن غدوت صاحب السلطان | فـلا تـكن منه عــلى أمــان |
| ولاتـعاتـبه عـلى مـا يصنع | فــإنـــه عـــن العتاب أرفع |
| إيــاك أن تـدنـو ممـن يـبعد | عـنك وأن ترغب فيمن يزهد |
| فــإنـما الــرغبة ذل نفــــس | فكيــف بالرغبة فى ذى يأس |
| مــن طلب الماء من السراب | يــرض مــن المـغنم بالإياب |
| إيــاك أن تـزهد فيمن يرغب | فــيك وأن تبـعد عــمن يقرب |

يعلن الشاعر أن السلوك الايجابى الذى يلتزم به العاقل يتمثل فى الحرص والحذر من أسافل الناس ويجب أن يشتد حرصه عندما يصبح فى سلطة ومكانة عالية من هذه النفوس المريضة ويتغنى المنشئ بسلوك أخلاقى يرفع منزلة الإنسان يبرز فى اعتزازه بنفسه وافتخاره بمكانته حيث يتبادل مشاعر الولاء وأحاسيس الود والألفة مع من يتجاوب معه وجدانيا واجتماعيا ويمعن شاعرنا فى التحذير من بذل الحب لمن جفت مشاعره فرفض عواطف الصديق ففى هذا الرفض مهانة وتمزيق للنزعات الإنسانية السامية كما أنه يدفع إلى الحرمان من الاستقرار الوجدانى ويستدل المنشئ على صدق رؤيته بدليل منطقى واقعى :

من طلب الماء من السراب          يرضى من المغنم بالإياب

إياك أن تزهد فيمن يرغب          فيك وأن تبعد عمن يقرب

فالسراب وهم كاذب وأمل خادع وكذلك ينابيع الحب لا تفجرها المشاعر الجافة لقد بين شاعرنا فى صورة تعبيرية حية أن الماء العذب الذى ينعش الجسد يشبه العواطف النبيلة التى تنعش الوجدان وتسعد الروح والمتذوق للصورة يدرك أن طلب الماء من السراب من الأمور المستحيلة كذلك طلب الود ممن يزهد فى الإنسان والمراد بيان الحرمان التام فى كل منهما وينادى الشاعر بحسن الخلق والقيم العالية فى صحبة الإخوان والتجمل بالسلوك الشريف الذى يقابل الإحسان بالإحسان

فإنه ظلم وأى ظلم          تركك صاحبا بغير جرم

وآية الأداب فى الإنسان          أن يجزى الإحسان بالإحسان

لا تأمن الغدر من الإخوان          فإنما الإخوان كالزمان

وإن مـــن عـــهدتـه مصاحبا　　　ســرعــان ما ألفـيته مناصبا

يخـدعـنى بالـبشر والـوداد　　　والـــحقد قـــد برح بالفؤاد

والأبيات نغمة رقيقة عذبة يشوبها الحزن الدفين حيث تصور في استهلالها حسن العلاقة وجمال التمسك بالصاحب وتحث على تزين الإنسان بالأخلاق الحميدة التى تسعد الصاحب ويتنهد أحمد الزين أثناء تصويره لتظهر سحابة داكنة تعكس مرارة تجربة شخصية ينطلق عبرها ليحذر من غدر الأصحاب وطبيعتهم المتقلبة التى تشبة الزمان الذى يشرق للإنسان ببسمة الأمانى حتى إذا سرى السرور فى نفسه عبس له عبوسا يحفر فى الوجدان مرارة الحسرة ويفجر عيون الألام المصحوبة بالندم والصورة حقيقية منبثقة من الواقع الاجتماعى فقد ينقلب الصاحب على صاحبه ويصبح خصمه الخطير الذى يدمره لعلمه بمواطن ضعفه .

ويكشف الشاعر للمتلقى أن هذا السلوك الغادر قد ذاق مرارته فصور بحاسته الفنية ومهارته الأدبية وقدرته البيانية أثر عداء الأصحاب فالصياغة (والحقد قد برّح بالفؤاد) تبرز مايكنه بعض الأصحاب من حسد ودرجة الضرر الذى يقع على الصاحب من حسدهم وبالتأمل فى صياغة ( برّح ) بما فيها من تشديد وإيحاء صوتى تبين درجة تمكن الضغينة من قلب الحاقد وأثرها المر على الصاحب المخدوع وبهذا فصياغة ( برّح ) تكشف عن الحالة الوجدانية لمدعى الصداقة وصديقة ويشير أحمد الزين إلى الرياء بين الأصحاب من وحى تجربته الذاتية :

كـم من فتى يظهر لـي صفاء　　　فـى حضرتى ويضمر الشحناء

يـؤجج الغيـظ بـه ضرامـا　　　لـم يرع لى عهدا ولا ذماما

فكم دنوت وهو عني ينفر وكم أفي وهو بعهدي يغدر

وهكذا من أمن الأصحابا مثل الشياه تأمن الذئابا

يجد المتذوق أن الأبيات قوية النسج حية الخواطر عميقة الأحاسيس كما يدرك أن ظاهرة الغدر والنفاق والرياء أصبحت سمة أخلاقية تنافي القيم العالية مما يدل على التدهور الاجتماعي ويبين شاعرنا أن هناك كثرة كاثرة من الإخوان تظهر له الصفاء في حضرته وتضمر له شرا مستطيرا مما يوحي بالمعاناة النفسية التي مر بها ودفعته دفعا لنظم أراجيزه الإخلاقية والمتأمل لعبارة ( يضمر الشحناء ) يقف على تشعب شر الصديق وتمكنه من نفسه إلى جانب تحرك ضغينته دائما لدرجة تصيب الصاحب إصابات بالغة مدمرة ويقرر شاعرنا حقيقة لمسها في عصره ألا وهي لا أمان للأصحاب فمن يطمئن لهم يمزق وجدانه ويحطم حياته ويعرض نفسه للهلاك وقد صور ما ينزل به بتعبيره ( مثل الشياه تأمن الذئابا ) والصورة ربطت بجلاء بين الآثار التي تحل على الإنسان الخلوق الذي يطمئن لصاحبه وبين ما يحدث للشياه التي تأمن للذئاب ويتعجب شاعرنا من خسة بعض الأصحاب وعنفوان حقدهم الذي يشتعل ليدمر ما في القيم من جمال ويقضي على مشاعر الأخوة وما بها من شروق وصفاء وأمل فكم تقرب أحمد الزين للأصحاب ليرسم معهم أنوار الود وجلال الصحبة ولكن هيهات لقد خرج شاعرنا من تجربته بضرورة الحذر فلا أمان ولا أمل وكيف يوجد الأمل مع فقدان القيم ؟ وكيف يأتي رجاء الود مع غلظة النفس :

ما حيلتي أدنو له ويصرم وأبتني الود له ويهدم

وجميل تصويره الود بالبناء الحسى والحقيقة أن المتذوق يجد أن الود الصرح الشامخ الذى يبنى بالقيم الشريفة والسلوكيات النبيلة وأن معول هدمه يمكن فى الحقد والحسد وخسة السلوك والبيت ينم عن إحساس مرهف ونفس سامية ترمى إلى غرس ثمار الحب ولكنها أخفقت ولعل تعبيره ( ما حيلتى ) تبين انقطاع الأمل فى تحقيق أمينة الشاعر

ويجفف أحمد الزين دموعه ليعلن أن هؤلاء الأصحاب ومن على شاكلتهم لا أمان لهم ولا عتاب :

| | |
|---|---|
| فمثله لا خير فى عتابه | كل امرئ يجرى على آدابه |
| حاسنه لا تبغ الذى يبغيه | كل إناء ناضح ما فيه |
| والطبع فى اللئيم ليس يغلب | والسم فى العقرب ليس يعذب |
| مما حفظناه من العظات | وما رويناه عن الثقات |
| إن العصا من هذه العصية | هل تلد الحية إلا حيّة |

يوضح المنشئ أن الغادر الخسيس الذى لا يعرف قيمة الود لاخير فى عتابه ولا ثمرة طيبة تزدهر من أخلاقة فقد ذبلت لديه رياحين الأداب وجفت عيون الخلق فأصبح غليظ الطبع فاسد النفس تعكس نفسيته الوضيعة سلوكه ويستدل شاعرنا على هذه الحقيقة السابقة بتعبيره ( كل إناء ناضح ما فيه ) وهو يرمى أن سلوك الحقد الخارجى يترجم من الحقد النفسى الداخلى ويربط أحمد الزين بين خسة اللئيم وطبعه الوضيع وبين سم العقرب القاتل ليبين أن سلوك اللئيم سيظل نكبة على الأصحاب ويمعن فى كشف آثار سلوك الوضيع فى تعبيره ( هل تلد الحية إلا حية ) ويتنفس شاعرنا الصعداء فيتغنى بالأصول السلوكية التى يجب أن يلتزم بها العاقل مع أصحابه :

لا تفش سرا أنت منه مشفق　　لا يـأمن الإخوان إلا أحمق

فإن غدا صدرك وهو ضيق　　فصدر من تغشى إليه أضيق

ومـا رأيت حـافظا لسره　　فـى الناس إلا مالكـا لأمره

ومن طوى عنك الذى يعنيكا　　مـن سـره فـإنـه شانيكا

فـذاك شر من مذيع سرك　　لأنـه مبـالغ فـى ضرك

ينـادى المفتن بضـرورة الاحتفـاظ بالأسرار الشـخصية فالإنسـان الـذى يصون أسرارة يبنى جدار أمنه ويقف أمـام ضربـات الأيـام وغـدر الأصحـاب بصمـود وشـموخ حتـى يوهـم الأنـداد أن الزمـان يخشـاه ويبيـن شـاعرنا قيمـة احتفاظ الإنسان بأسراره فيعلـن أنهـا تعـز قـدره وترفـع منزلتـه وتضفـى عليـه الهيبة ويتعرض أحمد الزين لواقع إنسانى يوضح فيه انتشار الأحزان والهموم والمشاغل بين الناس :

فـإن غدا صدرك وهو ضيق　　فصـدر مـن تفشى إليه أضيق

ولهذا فالإنسان الحكيم المتزن يملك زمـام أمـره وصمـام أمنـه ولا يثقل على الأخرين بالشكوى وفى الأبيات دعوة للصبر وتحمل أعبـاء الحيـاة وكـأن شاعرنا يذكر نفسه بهذه الحقيقـة فـى مواسـاة نفسية رقيقـة توحـى بـأن نبض الإنسان وخلجاته وخواطره وأماله وآلامه عالمه الخـاص بـه وقد أجـاد أحمـد الزين فى التعبير ( لاتفشى ) فقد أراد فى التعبير كشف درجـة سـرعة انتشـار السر إذا خرج من صدر صاحبه كما أجاد فى ( من تفشى إليه أضيق ) الـذى يحـذر مـن الشـكوى التـى تدفـع إلـى نفـور الأصحـاب ويختـم الشـاعر رؤيتـه السلوكية الوجدانية ببيان آداب المجلس :

وإن أتيت مجلس الإخوان      فـلا تجالسهم بلا استئذان

خشية أن يـمسك احـتقار      وأن يــكون بينهم أســرار

فإن دعيت للدخول فادخل      وإن أبـوا فاتركهم لا تثـقل

يدرك المتلقى الكريم من الأبيات السابقة اهتمام الشاعر باحترام الإنسان لنفسه والحفاظ على كرامتـه ومنزلتـه بيـن النـاس فيتغنـى بسـلوك مهـذب عنـد مجالسة الإخوان يبرز فى الاستئذان اللطيف المصحوب بجمـال الحيـاء حتـى لا يتجرع مرارة رفضه والأرجوزة تترنم بالقيم الأخلاقية التى ترقى بالإنسان وبالعلاقات الطيبة بين الإخوان وقد كشـف عنوانهـا ( مـن يعـاتب مـن إخـوان ومن لا يعاتب ) عن المعانى التى تغنى بهـا الشـاعر محورهـا تجنـب عتـاب اللئيم والأسافل من الناس والحذر من غدر الأصحاب وخياتهم والحرص علـى الأسرار الخاصة إلى جانب غيرة الإنسان على آدميته وكيانه وشـرف منزلتـه والنص دعوة أخلاقية نبيلة استطاع الشاعر مـن خلالهـا التنفيـس عـن تجربتـه الذاتيه والاجتماعية بمصداقيه تثير المتلقى فتدفعة إلى الذوبان مع خواطره وقد أجاد شاعرنا فى تجسيد المعنويـات عبـر الصـورة الأدبيـة الواضحـة لقد ذاق مرارة غدر الأصحاب وتقلبهم ولم يحصد منهم إلا حسرة قلبه وأنين مشـاعره ولكنه فى حاجة إلى صديق وحبيب يفرغ فيه ومعه شـحنة عواطفـه وخواطـر مشاعره وتأملات فكره ولهذا سطر كلماته الرقيقة فى ( صـحبة الكتـاب ) هـذا الصديق العزيز الذى يعيش معه الإنسان بعشق وود وألفة فيجـد فيـه الصديـق والحبيب والنصير والظل الظليل والنسمة الرقيقة والأمل المثمر :

إن عزت الأصحاب      وقلت الأحباب[1]

---

(١) الديوان ص ١٧٤

وأعـــوز الـنصير وأبـــطأ المـــجير
وكــــثر اللئـــام وقـــلت الكـــرام
وغـــاض مـاء الود وفـاض نكث العهد
حـتى ذوى الإخـاء وأمـــحل الـوفـــاء
فـلا تـرى صـفيا ولا أخـــا وفـــيا
عـــونا على الزمان ومـــعقل الإخـوان
إن تـدعه لـم يأتل لـــيس بنكس ذمل

يتغنى أحمد الزين بأثر الكتاب الوجدانى والاجتماعى على صاحبه فهو الونيس الذى يبدد وحشة الغربة عندما تعز الأصحاب والأحباب يعيش الإنسان مع الكتاب صاحبه الوفى فيرتوى من عيونه آيات النصر والعزة والكرامة كما أن الكتاب يعقد مع صاحبه عهدا للود والأخوة الصادقة السامية التى تغذى مشاعره بنبل الوفاء والكتاب عون لصديقه عندما تكثر اللئام ويتلاشى الوفاء وتنقض العهود ولهذا فهو خير ونيس وأصدق المنابع للأخلاقيات الفاضلة إنه النصير والمعين على مظالم الزمان وهو النبض النقى الوفى لصاحبه وفى النص دعوة لترك الأصحاب من البشر ومصاحبه الكتاب :

فـاتـرك الأصحـابـا واصطحـب الكـتابا
فـهو الجليس الصـالح وهـو الصديق الناصح
وداده لا يخلــــــق وحـــبه لا يمــــزق
وحــــبله موصـــول إن قـــاطـــع الـوصول
لـيس يـرائى صاحبا ولا يــــرد طـــالـبا

ويرى أحمد الزين ترك الأصحاب ومصاحبة الكتاب لأنه نعم الصديق الناصح الأمين الودود المحب وجميل تعبيره :

وداده لا يخلـــــق وحـــبه لا يمـــزق

والمعنى يوحى باستمرار الخير وجمال العطاء وصدق الولاء وسحر الوفاء كما أن البيت يعرض بصداقة الإنسان الذى يصاحبه الصديق ويخلص له بالمشاعر الصافية والسلوك الطيب ومع ذلك يغدر به ويرفض وداده بعد طول العشرة ويزهد فى صداقته وكأنها أصبحت بالية يتمنى الخلاص منها كما أن تعبيره ( لا يمزق ) إيحاء بالمعاناة الوجدانية التى تجرعها المنشئ من أقرب الناس له ويبين المنشئ أن الكتاب يغرس فى النفس الشوق والحنين إليه لنقاء محبته وفيض كرمه :

| | |
|---|---|
| ليس يرائى صاحبا | ولا يرد طالبا |
| يزيد فى نواله | مازدت فى سواله |
| يجزل فى الإحسان | وليس بالمنان |
| لا يستعيد سائلا | ولا تراه ماطلا |

ويبدو أن المفتن تألم من نتائج الرياء والكذب والنفاق والبخل وهضم الحقوق ولكن الكتاب كريم العطاء من يرتشف من روافده بعشق يمده بالنوال الطيب المثمر المباشر بلا من ولا تسويف بل يرفع صاحبه ويقدر منزلة صديقة وشاعرنا يعرض بما حدث بينه وبين أخيه الشيخ محمد الزين من خلافات اجتماعية غرست فى أحمد الزين الشعور بالحرمان والظلم. ورثه فقدان الثقة فيمن حوله إلا الكتاب :

مــؤدب لا يصغرك      ومــحسن لا يــحقرك

إن تــدعــه لمعضل      لــباك غــير مــوئل

ذاك الصديق الأطوع      وهو الرفيق الأخضع

والأبيات تعلن عن شرف العلاقة بين الكتـاب ، وصديقه فهو طواعيـة لصاحبه ورفيق بصديقـة يحتضنـه بأغصـان الحنـان الـود والعطـف ويشـاركة لحظات النشوة كما يشـاركه لحظـات الألـم والأحـزان بـل ويدفعـه إلـى السـمو والأخلاق والنبل النفسى :

لم أر كالـــكتاب      أحـــفظ لـــلآداب

أبعد عـن مشـاغبة      أزهــد فــى معـاتبه

أرغـب عـن جدال      أكـف عـــن قـتال

أجـــمع لـــلأخبار      وطـــيب الآثـــار

وحســن الصفـات      وأبـــلغ العظـــات

تـــرى بـــه سخيفا      وجـــيدا طـــريفـا

والغـــث والسمينا      وشـــدة ولـــينا

أمـــا تـــراه نـــاسكا      ثـــم تـــراه فـــاتكا

أمنـــع للأحـــرار      من صحبة الأشرار

أو عـــظ لـــلإنسان      مـــن غـــير الزمان

يتغنى شاعرنا بفضائل الكتاب فيعلن أنه صـــاحب المكانـة الفريـدة حيـث يحفـــظ الآداب العـــالية بين طيـــاته ويقدمها لصديقه بحـب ورضـا لا يجـادل

ولا يخاصم ولا ينازع بل مهمته تغذية العقل وتنمية الإحساس وترقية الذوق لأنه يهدى لصاحبه طيب الآثار وأفضل الأخبار ويعرض المواقف الوجدانية والاجتماعية والثقافية والسياسية مما يجعل صاحبه يعيش معه فى الماضى والحاضر والمستقبل ويرى أحمد الزين أن الكتاب عبرة وعظة لصاحبه كما أنه حماية ووقاية من أشرار زمانه فهو خير جليس يواسى صاحبه بأجمل آيات المواساة :

| | |
|---|---|
| خير جليس فى الدنا | وشاغل عن المنى |
| إن المنى ضلال | قصورها أطلال |
| ومأوها سراب | وبرقها خلاب |
| يقنع بالدنية | من أكثر الأمنية |
| فإنها أحلام | أصحابها نيام |

يمعن المنشئ فى عرض فضائل الكتاب فيصرح بأنه خير جليس يشرح القلب ويسعد الوجدان ويبارك الوقت والفكر ويتغنى شاعرنا بنغمة ذاتية يكشف فيها عن آلامه النفسية وأحزانه فى صورة أدبية إيقاعها الأنين وكيف لا فالمنى فى نظره سراب وأمل خادع يضل الفكر والقلب فالأمانى تسرق عمر الإنسان وتجعله يبنى ويرتفع حتى إذا وصل إلى عنان السماء سقط صريعا فى بئر الواقع وتصبح الأمانى كالرسوم الواهية ولهذا يعد الكتاب الرفيق الواقعى يبنى ولا يهدم يسعد ولا يشقى يتجنب الأوهام ويتقى الأحلام لأنها ملتقى الأحزان وبديع من شاعرنا صورته الأدبية :

| | |
|---|---|
| إن المنى ضلال | قصورها أطلال |
| ومأوها سراب | وبرقها خلاب |

حيث صرح عبر الإيقاع الوجداني أن الأماني التي يعشقها الإنسان تجسد الضلال وتبني القصور الواهية ولعل شاعرنا شبه المنى بالضلال من وحي حياته المظلمة التي فقد فيها نور البصر ونور العدل وروح الإنسانية لقد عشق الأمل والأمان فلم يحصد من عشقة إلا الأطلال الباكية فقد أمن بعهود أصحابه ووعود أقاربه ولكنه تجرع منهم الحرمان التام وجميل منه تصويره للمنى بالأطلال والسراب وقد توج جمال المعنى صدق إحساس الشاعر ورؤيته للمنى من واقع تجربته الذاتية ويمعن شاعرنا في التحذير من طلب المنى وسراب الأمال حتى لا يقع الإنسان فريسة للأحزان :

| | |
|---|---|
| ليس بها علاء | فإنها هباء |
| سرعان ما تزول | وحالها يحول |
| أحبالها رمام | وسحبها جهام |
| وإنما الأماني | تعله الجبان |
| إن فاته ما يطلب | أو ناله ما يرهب |
| أكثر في التمني | وقوله لو أني |

إن الأماني أشواك وضباب وضياع ووهم كاذب ولهذا يجب على الإنسان تجنبها والالتزام بالواقع الأخلاقي والاجتماعي الذي يستمد منه الأصحاب والإخوان سلوكهم حتى لا يفقد الإنسان إيمانه بالقيم وقد أجاد أحمد الزين عندما ربط بين المنى وبين زوالها فصور أحبالها بالتعبير ( رمام)(١) مما يوحي بحدوث الانقطاع وأكد هباء المنى بصورة بديعة أخرى حين

---

(١) الجهام : السحاب الذي لا ماء فيه مادة / جهم / لسان العرب .

صوره بالسحاب الجهام[١] الذى لارجاء فيه حيث تتعلق به الأمال ولكنه يغتال شوقها ويبدد حنينها ويتركها وسط أمواج متلاطمة من الأحزان .

والأبيات تنادى الإنسان المرهف بترك الأحلام والنزول لساحة الواقع حتى يحقق ما يصبو أليه ويحذر شاعرنا من الاستسلام للإخفاق والهروب إلى الحجة الواهية التى تعلن عن الجبن فى تحقيق الأمنية ويصرح شاعرنا أن الأمانى حرمان من السعادة بل هى ملاذ الضعيف الذى يتعلق بوهم عقيم يحجب شروق الحقيقة ويترك النفس تعانى شقاء الوحدة وأنين الغربة ووحشة الظلمة حيث يحتضنها سحاب مقبض حزين وأحلام ضائعة ولهذا يجب تجنب المنى ولزوم صحبة الكتاب وأرجوزه ( صحبة الكتاب) وجدانية تعكس نفسية شاعرنا وما تجرعه من مظالم وحرمان وما ذاقه من حسد وأحقاد من غدر الأصحاب وخسة الأقارب وضعة الأصدقاء مما جعله يعلن أن الوفاء والولاء والصدق والصفاء فى صحبة الكتاب وأن أرقى الأمانى تتحقق فى صداقته فهو الناصح الأمين والصادق الوفى والمؤدب الواعى صاحب العطاء ومنبع العزة والشرف والكرامة وأبيات الأرجوزة رقيقة الألفاظ واضحة المعانى متجانسة العناصر الأدبية بديعة الصور حيث يتخيلها المتصور عبر التجسيد بيسر وسهولة مع إحداثها للمتعة النفسية والفنية مما يدل على الصدق الشعورى للمنشئ وتتجلى القيم فى الأرجوزة السابقة من خلال سمات صحبة الكتاب الوجدانية والاجتماعية .

ونسير في روضة أشعار أحمد الزين الأخلاقية لنقطف زهرة تتميز بصفات اجتماعية اطلق عليها المنشئ اسم ( آداب الأكل ) وتترنم القصيدة بالأسس الأخلاقية التى يجب الالتزام بها فى الأكل ويربط بينها وبين الخلق السوى الذى يسمو بالإنسان ربطا طريفا بديعاً :

---

(١) رمام : رم الحبل تقطع والجمع رمم ورمام مادة / رمم / لسان العرب .

انظر لأداب الفتى فى الأكل | تعرفه إن كنت به ذا جهل
خلق الفتى يظهر فى الطعام | كما يبين اللب فى الكلام
مهما يكن من خلق يخفيه | فإنه فى أكله يبديه
وهذه آدابه فى شعرى | فصلتها كلؤلؤ فى نحر
فاعمل بها إن كنت ذا كمال | تكرم الحل وفى الترحال(١)

بدأ الشاعر نصه الشعرى بصياغة توحى بنداء يرمى إلى جذب فكر ووجدان المتلقى لما يقدمه من سلوكيات مهذبة تدل على كرامة الإنسان وقد بين شاعرنا أن طريقة الإنسان عند الاستعداد للطعام وكيفية تناوله تعكس بجلاء خلقه وطبعه كما يكشف الكلام عن تكوينه الشخصى وأسلوبه الفكرى ورؤيته للحياة ويعلن شاعرنا أن هذه الأداب صياغة جميلة فجعلها مثل لؤلؤ بديع فىنحر ساحر يسعد الناظر فىجميع الأحوال وحباته منسقةتشرق بما يلى:

دونك غسل اليد قبل الأكل | لايهنأ الأكل بغير غسل
وكثر الأيدى على الطعام | فإنه من خلق الكرام
إن لم تجد مشاركا فى أكلك | فكثر الإيدى ولو من أهلك
إن يد الله مع الجماعة | وخير ما تعلو به القناعة
شر الورى من أكله بمعزل | ذاك وضيع القدر مهما يعتلى
حذار الاتكاء حين تأكل | واعمل كما كان النبى يعمل
ولاتغير هيئة الجلوس | ولاتكن فى الأكل ذا عبوس
أياك والتبديل فى المكان | فإنها من خفة الإنسان

---

(١) الديوان ص ١٧٧ .

الأبيات السابقة تعرض أول حبات العقد وتتجسد فى النظافة التامة يعقب ذلك دعوة الأصدقاء والإخوان والأهل فالدعوة صفة من صفات أهل الكرم والجود وقد عبر شاعرنا ( بكثّر ) المشددة ليمعن فى طلب دعوة الأحباب لتناول الطعام معه ويربط شاعرنا بين كثرة الأحباب التى تتناول الطعام وبين يد الله ولعل المنشئ يرمى إلى تدعيم الروابط وتوثيق الصلة بين أبناء الشعب المصرى وبث خلق القناعة الذى يولد فى النفس نبل التصرف ويحذر شاعرنا من جلسة الإتكاء لما فيها من ملامح الكبر والغرور ويستشهد بجلسة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم لما فيها من تواضع شريف وبساطة عزيزة ورفعة محمودة وينادى أحمد الزين بضرورة الالتزام فى هيئة الجلوس وعدم تبديل المكان حتى لا يتهم الإنسان بخفة التصرف وخسة السلوك ويحذر المنشئ من العبوس والفضول ويحث على حسن استقبال الضيوف :

| | |
|---|---|
| وإن دعوت الصحب نحو دارك | فلا تمل القوم بانتظارك |
| لاتذكر البطنة عند الأكل | فإن هذا غاية ى البخل |
| ولا تقل رب الطعام يهلك | ورغب القوم إذا ما أمسكوا |
| وكرر القول على الإخوان | واحذر من الترغيب بالإيمان |
| فإنه من غرر المكارم | أن تذكر العظيم فى العظائم |
| وحاذر الصمت على الطعام | فإنها من سيرة الأعجام |

يوضح أحمد الزين الآداب التى يستقبل بها الحضور أبرزها إعلان مشاعر الأشواق والإقبال عليهم ببشر وسرور وسرعة استقبالهم وينادى المنشئ صاحب الدعوة بضرورة الحرص من ذكر الطعام وطياع الأكول

وأثر البطنة عند الأكل حتى لا يخجل الحضور بل عليه ترغيبهم فى تناول الطعام إذا ما أمسكوا فهذا سلوك الكريم ويصف شاعرنا كيفية تناول الطعام فيقول :

| | |
|---|---|
| لاتلمس غير الذى يليكا | فإن هذا خلق يعليكا |
| إياك أن تأكل مما يبعد | عنك فهذا خلق لا يحمد |
| إياك أن تأكل حتى تشبعا | كم لقمة عادت سماما منقعا |
| إياك والإفراط فى التقنع | فإنه ضرب ن التصنع |
| وإن تكن بالمكرمات توصف | فلا تسر إلا على ما يعرف |
| لاتحوج الصاحب لا نتقاد | إن كنت ذا عقل وذا سداد |

تحث الأبيات على تمسك الإنسان بالسلوك الرفيع الذى يرفع قدرة ويغز شأنه ويطبع فى فكر الحضور ما يتمتع به الضيف من سمات فكرية ووجدانية شريفة كما ذكر أحمد الزين فى مطلع الأرجوزة : ويرى المنشئ ضرورة الاعتزاز بالنفس عند تلبية دعوة الطعام : -

| | |
|---|---|
| لاتسبق القوم إلى طعام | فإنه من جشع اللئام |
| لاتتبع اللقمة غير فاحصى | فإن هذا من فعال الناقص |
| وغض عنهم طرفك استحياء | ولا تقل هل يشربون ماء |
| فإن من أخبار من قد سلفا | أن أمرأ واكل بعض الخلفا |
| فأبصر الأمير بعض الشعر | فى لقمة الفتى فقال انتظر |
| إنى أرى وسط الطعام شعرا | فنحة فإن فيه ضررا |

قــال لــه الفتى أانت نــاظر  إلـــى إنـــى للطعـــام هاجر

أتنظــر الشعره فــى طعامى؟  أفـضل مـن طعامكم صيامى

كـيف ترى اللقمة فيها شعره  ليس الـــكريم من يحد نظره

فقال فاسترها وكن لى غافرا  ليس الكــريم للمساوى ناشرا

وهـــكذا المــرء إذا مـاكرما  تراه يخشى أن يــقال لــوما

انظر لأداب الفتــى فى الأكل  تعرفه إن كنت به ذا جهـــل

سرد أحمد الزين فى أبياته الصفات االكريمة التى يتحلى بها الضيوف منها غض البصر استيحاء حتى لا يتحرج الحضور أثناء تناول الطعـام ويعرض المنشئ قصة طريفة حدثت بين رب الدار وضيفه وقد بين فيها هجر الضيف للطعام بسبب فحص رب الدار لطعام الضيف ويستمر شاعرنا فى سرد الأخلاقيات الكريمة :

إيـــاك أن تــذكر مـا يستقذر  فـــإنــه مــن الكريم منكر

إيـــاك والإمساك عن طعـام  إن كــان يدعو الصحب للقيام

شــاركهمو ولا تشـــذعنهمو  فـإن شبعت فــاعتذر إليهمو

ولا تقـــدر ثــمنا لـــلأكل  ولا تقل يـــأكل هــذا مثلى

إيــــاك والســعال والبصاقا  واحذر على الخوان الارتفاقا

يبين أحمد الزين طبيعة الكلمات التى يتبادلها جلوس الطعام منهـا لطف العبارات ورشاقتها وجمالها وسحر معانيها إلى جانب تجنب ذكر مـا يستقذر

أوفعله فالطعام نعمة يجب احترامها ويشير الشاعر إلى السلوك المهذب الذى يلتزم به بعد الانتهاء من الطعام :

| | |
|---|---|
| واغسل يديك بعد الانتهاء | وقدم الأفضل عند الماء |
| لا ترفضن منهمو تقديما | إن قدموك بينهم تكريما |
| قد قيل فى أمثال من تقدموا | لا يرفض الإكرام إلا الألأم |
| لاتحتقرقدرأمرئ ذى فضل | وأصبب على يديه ماء الغسل |
| فليس فى ذلك من صغار | لا سيما إن كنت رب الدار |

فكما بدأ الضيف بغسل يده يختم طعامه بنفس هذا السلوك الطيب الذى يدل على الطهر والنقاء ويشير المنشئ إلى احترام المسن واحترام رغبة الضيوف وتقدير تكريمهم.

والأرجوزة تهذيبية أخلاقية ارتشف المنشئ معنيها من تعاليم الإسلام وقد صاغها أحمد الزين صياغة سهلة واضحة متناسقة الشكل والمضمون ويتجلى للمتلقى الكريم أن شاعرنا لم يفرغ شحنته ولهذا سطر أرجوزته ( أداب الضيافة ) عقب أرجوزة ( أداب الأكل ) والمتذوق ( لأداب الضيافة ) يجد أنها ثمرة طيبة تكشف عن سلوكيات من يستحق الدعوة :

| | |
|---|---|
| طهارة الشمائل | تظهر بالمواكل[1] |
| فبادع إلى الطعام | أحق بالإكرام |
| لاتدعون فاسقا | ولا أمرأ منافقا |
| ولا كثير الصخب | ولا حليف الكذب |

---

(١) الديوان ص ١٨٠

لا تـبتغ المطاولـة     بـه ولا المـفاضله
وابـغ بـه الإكراما     وصل بـه الأرحاما
فـإنمــا المـوائد     غــايتها الـتوادد

يربط الشاعر فى الفكرة السابقة بين الخلق السوى وبين المستحق للدعوة فيتغنى بطهارة السلوك ونقاء الصفات من الفسق والكذب والنفاق والهمجية ويبين أحمد الزين أن الغرض من إقامة الموائد تدعيم الود ويتحقق هذا فيمن يتمتع بالرقى الخلقى والصورة التى صور بها المنشئ ارتباط الخلق بالسلوك تذكر بصورته فى الأرجوزة ( آداب الأكل ) .

انظر لآداب الفتـى فى الأكل     تعرفـه إن كنت به ذا جهـل[1]
خلق الفتـى يظهر فى الطعام     كما يبين اللب فـى الكـلام
مهمـا يكـن من خلـق يخفيه     فإنــه فى أكـله يبـد بــه

ومطلع أرجوزة ( آداب الضيافة ) يتمتع بالبساطة التعبيرية إلا إنه عبر عن المراد بدقة وإيحاء فكرى واجتماعى جيد :

طهارة الشمائـل     تظهر بالمؤاكـل

وطهارة الشمائل تدل على السلوك الطيب الكريم والصفات الرفيعة الشريفة والنفس الزكية النبيلة ولهذا فالبيت الأول من ( آداب الضيافه ) جيد التعبير لشموله التصويرى وتمتعه بالإيجاز وعمق الإيحاء .

ويبين المنشئ فى الأرجوزة أن دعوة الموائد يجب أن تشرق بصلة الرحم :

---

(١) الديوان ص١٧٧ .

وابـغ بـه الإكرامـا وصـل بـه الأرحامـا

فإنمـا الموائـد غايتهـا التـوادد

تكثـر فيك الراغبـا وتستميـل الصـاحبا

وإن تكـن ذانبـل وأدب وفضـل

فـأدع فتـى مليّـا لا تدعـون آبيـا

وإن دعيت فـأجـب ولا تقل إنـى نصـب

ولب مـن يدعوكـا مهمـا يكن مفلوكـا[1]

لا فـرق فى القيـاس عنـدى بين النـاس

لا فـرق بيـن موسـر فيمـا أرى ومعسـر

فكـم غنـى بأخـل وكـم فقيـر بـأذل

وضـن بالإكـرام بخـلا علـى اللئـام

فإنمـا اللئيـم يفسـده التكـريـم

تتغنـى الأبيـات بـأصول الدعـوة التى يجب أن يتصدرها الأهل حتـى تتناجى عواطفهم ويزدهر ودهم ودعوة الموائد للأهـل والأحباب تنشر الحب وتفيض بسحر الولاء ورحيق الأنتماء ويبين المنشئ أن الدعوة توجه للفـاضل الذى يلبى ويقدر قيمتها فى توثيق الروابط والعلاقات الطيبـة ويتعرض أحمد الزين لأصول تلبية الدعوة فيبين أنها دلالة على نفسية راقية مهذبة سوية ومن نبل سلوك التلبية عدم التفرقة بين الموسر والمعسر فقد يكون الغنـى بخيل الطبع والفقير كريم النفس وينادى أحمد الزين بضرورة الضن على اللئام

(١) مفلوك : أحمق .

وتجنب استجابة دعوتهم ففى قبولها تكريم لهم مما يضاعف من فسادهم وخستهم :

| | |
|---|---|
| يأكـــل مـا تقـــدم | إليـــه ثـــم ينقـــم |
| يكثـــر فى المذمـــه | ولا يراعـــى حرمه |
| إيـــاك والتصـــدرا | إذا الطعام استحضـرا |
| فإنمـــا الصـــدور | يعقبهـــا نفـــور |
| ودع لـــرب المنزل | ترتيب أهـل المحفل |
| لا تعتـرض ما يفعله | فـــذاك شـئ تجهله |
| لعـــل ذاك الصـدرا | به ســـواك أحـــرى |
| إيـــاك والتضيقـــا | تـــؤذى به الصديقـا |
| وافسـح إذا قيل أفسح | ولا تقـــل لم أبـــرح |

تصور الأبيات سلوك اللئيم بعد الطعام من خسة وضعة حيث يكثر من النقد والذم ولا يراعى حرمة البيت ويحذر الشاعر من تصدر موائد الطعام حتى لا يعرض نفسه للنقص والنفور ويقدم المفتن المنهج السوى الذى يتبعه الضيف ويتجلى فى ترك رب الدعوة ترتيب ضيوف محفله وقبول ترتيبه ببشر ورضا لأنه أعلم بمنازل ضيوفه وبين المنشئ ضرورة الإفساح للصديق برقة وجود حتى تكون الجلسة طيبة يفوح منها سحر المودة وعطر الألفة ويرى أحمد الزين احترام المحفل بغض الصوت وتجنب الجدال والبعد عما يشين الكرامة :

| | |
|---|---|
| واغضض من المقال | واحـــذر من الجدال |
| فإنمـــا المؤاكـــله | تفســـدها المجـادله |

| | |
|---|---|
| وإن تكـــن ذا أدب | فــلا تكن ذا غضب |
| تقــوم وسط القــوم | ترمــى سهـام اللوم |
| حتــى يكف الآكــل | ولا يسيـــغ الناهــل |
| وذاك شــــئ يكــثر | فى عصــرنا لا ينكر |
| واحـذر من الاصغاء | لحجـــرة النســـاء |
| واجلس بعيــدًا عنها | لا تقـــرين منهـــا |

والسلوكيات السابقة تذيع الفضائل وتضفى علـى المحفل بسمة السعادة ونشوة السرور فالضيف يجب أن يتسم بحسن الخلـق، فـلا يغضـب ولا يرمـى سهام اللوم بين الحضور وعليه تجنب الإصغاء لما يدور فى حجرة النساء بـل يجب أن يشتد حرصه فلا يقترب من مكـان النسـاء حتـى لا يتهم فـى كرامتـه ونزاهته وكبرياء رجولته .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الأخلاق يخـاطب بهـا أحمد الزيـن الرجـال مما يوحى بأن النساء لهم سمة اجتماعية نابعة مـن القيـم الأخلاقيـة الإسـلامية والمتأمل الكريم للقيم الأخلاقية والسلوكيات الاجتماعية فـى ( آداب الأكـل ) ، و( أداب الضيافة ) يتبين له أن دعوتـه الأخلاقيـة فيهـا تنـادى بـالكرم وحسـن التصرف ونقاء القلب وطهر النفـس وصـدق الـود وتوثيـق الصلـه بيـن الأهـل والأصحاب والأصدقاء واحترام أدمية الإنسان وتجنب النفاق والكذب والريـاء والفسـق والبخـل والغـرور والكـبر والأرجوزتـان نغمـة طيبـة فـى لحـن القيـم الأخلاقية الاجتماعية والوجدانية ويلمس فيهما المتذوق الكريم سهولة العـرض ووضوح المعانى وواقعيتها مما أدى إلى تحقيق الصدق الشـعورى الـذى دفـع إلى إحداث سرعة التفاعل بين المنشئ والمتلقى .

ويتحرك موكب البحث فيصل إلى أرجوزة ( أداب متفرقة ) التـى تمثـل روضة فيحاء من رياض القيم الأخلاقية التى يفيض بها الديوان .

تغنى فيها الشاعر بالشباب وزهرته اليانعة التى تذبلها الليالى كما تغنى بالعلا والأمجاد :

| | |
|---|---|
| إيـــاك أن يفتنـــك الشباب | وأن يغـــر عينـــك السراب |
| فإنمـــا الشبـــاب ظل زائل | ويـــدره لابد يومـــا آفـــل |
| وزهـــرة تذبلهـــا الليـالى | وليس وصـــله سوى خيال |
| سرعـــان ما ينقشع الجهام | من سحبـــه ويسفر الإظلام |
| بادره ما استطعت بما يزين | ولا تدنســـه بمـــا يشين |

يترنم أحمد الزين بالشباب فيصوره تصويرًا بديعًا يكشف فيه عن جمال نسمته الزمنية التى تمنح الإنسان البهجة والسعادة والأمل مع أنها تمثل فى حياة الإنسان خيطًا رفيعًا فى نسيج العمر ويبين الشاعر أن الشباب يمر مرور الطيف الحالم فينبض القلب بعطره السحرى نبضة النشوة التـى يرتشفها عبر رحيق الأمانى ويسبح فى عالم الجمال المطلق برهة ليستيقظ بعدها على شبح الحقيقـة التـى تعلن غروب الشباب بعطره وسحره وجماله وطموحه ليبدأ الإنسان رحلة الكهولة الطويلة ويذوق ما فيها من وحشة وغربة ووحدة مما جعل المنشئ يحذر من الإنخداع ببريق الشباب ونبضه المتدفق الذى يفيض بالحيوية وكأنه يعلن أن العمر كتاب نقشته أحداث الزمان وأن الشباب حرف منير مشرق بين صفحاته الموحشة ويشعر المتلقى الكريم بنبرة الألم ومرارة الحرمان التى تعلن بداية الذبول النفسى للمنشىء وزوال لمسة حنان تعلق قلبه بها كما يشعر المتذوق الكريم بزحف ظلام الكهولة الوجدانية والشيخوخة الاجتماعية لشاعرنا الذى أبدع وأجاد فى صورته للشباب الذى يشبه السراب

والظل والبدر الآفل والزهرة الذابلة والسحاب الجهام وعندما يتخيل المتلقى تصوير الشاعر للشباب بما سبق يدرك أن مراده بيان الجمال الزائف والبريق الخادع مع سرعة الزوال وقد بينت الصورة الأولى أن الشباب كالسراب يتعلق به الظمآن حتى إذا وقف أمامه لم يجد شيئًا مما يسبب له الحسرة والحرمان والشباب سراب لما فيه من فتنة لعشاق الحياة والصورة كشفت تمكن الأمانى من نفس الإنسان لحظة شبابه والصورة الثانية بين فيها فترة الشباب الزائلة وكيفية حدوث الزوال حين صوره بالظل الذى ينعش صاحبه وينفث فى روعه الإحساس بالجمال حتى يطمئن ويتوهم استمرار السعادة لكن هيهات فالظل يزول ليستيقظ الإنسان أمام هجير الكهولة وليلها المظلم الداكن.

والصورة توحى بمرور لحظة الشباب الجميلة بعد غرسها بذور الأمل فى النفس .

والصورة الثالثة جسدت جمال الشباب فى هيئة البدر ليلة كماله وتمامه إلى جانب الإيحاء بحركة الزوال وقد تجلى ذكاء شاعرنا فى هذه الصورة عندما ربط بين ميلاد الإنسان وتطور مراحله العمرية حتى الشباب وبين هيئة ميلاد القمر واكتماله وذروة جمال الإنسان شبابه كما أن ذروة جمال القمر تمامه واستدارته التى تتحقق ليلة ليبدأ فى النقصان وينقضى جماله وهكذا الإنسان عندما يتحقق له كمال الشباب وتمام سحره يبدأ فى النقصان والتلاشى لقد استطاع شاعرنا إثارة الإيقاع العاطفى وتحريك ملكة الخيال مع هذه الصورة البارعة البديعة الحية والصورة الرابعة جسدت روعة منظر الشباب وسحر عطره عندما صوره بالزهرة التى تتفتح وتناجى الحياة ببسمة أمل ولكن سرعان ما يتبدل حالها ويتلاشى عطرها لتتنفس حرمان الكهولة وقد أصاب أحمد الزين فى تصويره ( زهرة تذبلها الليالى ) ومنبع إصابته عبارة

( تذبلها ) فالذبول يوحى بالتبدل والتغير مع استمرار الوجود وكلما مرت الأيام يشتد الذبول وتتجسد ملامحه على الزهرة حتى تجف أوراقها لتعلن النهاية وهكذا الإنسان والصورة توحى بجمال باهر مشرق يعقبه ذبول داكن ثقيل يقدمه للفناء .

ولم يكتف شاعرنا بما سبق من صور رائعة لزوال الشباب تجسد الشكل والحركة فصوره المنشئ بسحابة عقيمة تتقشع ليحل الظلام ( سرعان ما ينقشع الجهام )(١) حيث صور الشباب بسحابة تبعث المنى فى حدوث الخصب والنماء إلا أنها لا تحقق الرجاء فيجتث المنى وعندما يتأمل المتذوق أبعاد المعنى ويستحضر ملامح الصورة يجد أن اللوحة توحى بإن العمر سماء والشباب فيها سحابة تحرك الأمل فى الأرتواء ولكن سرعان ما تتقشع الأمانى ويتولد الواقع المر كما توحى الصورة بأن الشباب بمنظره الرائع الخلاب لا يرجى منه العطاء بل يشرق فى سماء العمر ليدق ناقوس الوداع للبهجة والنشوة والطرب .

والشباب بهذا لا يعتد منه إلا بما فيه من عمل صالح لأن استمراره رجاء مفقود وأمله طيف لحلم عقيم ولهذا نجد أحمد الزين يحث على التزين بالخلق الرفيع وتجنب السلوكيات التى تشين صاحبها وتدنس زهرة شبابه حتى ينعم بالتقدير وطهارة الشمائل التى تصاحبه زمن الكهولة ويتغنى شاعرنا بما يجب من سلوك إيجابى لحظة الشباب :

| | |
|---|---|
| واغتنـم الشبـاب قبل الهرم | وقبـل أن تصلى أوار الندم |
| وأبخـل به إلا على ما ينفعك | وجـد به فيما تـراه يرفعك |

---

(١) الجهام : السحاب الذى لا يمطر .

فإنمـــــا أيامــــــه لآلــــــى      فأبخـــل بها إلا على المعالى

لا تفنهـــــا فى لـــذة المـدام      فلـــذة الـــكأس إلـــى آلام

لا يسبــك الـدل من الحسان      واحـذر من التشبيب بالغوانى

وأطلب العليـــاء فهـى أطيب      وإن وصل الغيد بـــرق خلب

ينادى الشاعر صديقه فى الإنسانية محذرًا له من ذبـول الأمـل وضيـاع الرجاء ويرسم له منهج السعادة الذى يتجلى فى اغتنـام الشباب فى غرس غصون الرفعة والعزة مع تجنب المدام والحذر من الغيد الحسان ويحث أحمـد الزين على طلب العلياء والأمجاد التى تثمر ثمـار العـزة والكبريـاء والصـورة التـى تجلت ملامحهـا فـى قـول الشـاعر ( واغتنـم الشـباب ) توحـى بدرجـة الحرص وشدتها فى تحصيل المنفعة والخبر والمتذوق للتعبير ( اغتنم ) يدرك حث الشاعر على ضرورة اقتناص فرصة الشبـــاب لســرعة فرارها أما قوله ( قبل أن تصلى أوار الندم ) فهو صورة تعبيرية تبيـن مـرارة النـدم ولزومهـا للإنسان وقد أجاد المنشئ حين صور وصل الغيد ( ببرق خلب ) الذى يوحـى بضوء باهر ساطع يجذب القلوب ويستميل النفوس وسرعان مـا يذهب جمالـه ويترك الإنسان فى ظلمة حالكة يتجرع فيهـا حسـرة النـدم وشـاعرنا المرهـف علم من دراسته الإسلامية أن انشغال الإنسان بالنساء من أسباب تركه للمعالى التى يدعم أركانها فى ظل الشباب الزائل ولهذا أمعن شاعرنا فى التحذير من فتنة النساء :

أيــــاك أن تجلس فـــى ســـبيل      تنظـــر ذات منظـــر جميـــل

ترشـــــقها بأســــهم الألحـــــاظ      وســــاقط الأقـــوال والألفـــاظ

إنـى أرى عجائبـــا فـــى مصـــر      لاســـيمـــا فتيـــان ذاك العصـــر

| | |
|---|---|
| تجـردوا مــن حليـة التـدين | فلم يعـد إيمـانهم فـي مأمـن |
| يقضـي الجهول ناضر الشـباب | فـي لعب النـرد مع الأصحاب |
| تتـذره الساعات وهـو سـادر[1] | وكـم هـداه الدهر وهـو حـائر |
| مما حفظـناه مـن العظـات | وما روينـاه عـن الهـداة |
| يقـول بادر لذة الحيـاة | فكـل لذات إلـى فـوات |
| أواه لـو كـان الشـباب يبصـر | وآه لـو كـان المشـيب يقـدر |

يدرك المتلقى الكريم من المعانى السابقة عمق تحذير الشاعر من النساء وكأنه يصرخ صرخة إسلامية عالية تحذر مـن غروب شمس الشباب وتبدد شعاعها فيما لا ينفع ويصرح المنشئ أن الفتنة بالنساء من أهم عوامل الضياع الفكرى والاضطراب النفسى وهذا أمل الدخيل الذى يسعى إلى صرف الشعب المصرى عن البناء الإسلامى المتكامل ولعله يدس نساء جنسه بقصد تدمير الكيان الوطنى كما يحذر من الأخلاق الوضيعة التى تجسد فى الأقوال الساقطة والألفاظ الجارحة التى تجرح مشاعر النساء ويتوهم بعض الرجال أن هذا السلوك من مظاهر الحضارة والتفتح وما هذا الوهم إلا اختلال تام لمعايير القيم ويبكى أحمد الزين أحوال شباب مصر وما حدث لهم من تدهور دينى أصابهم بغيبوبة أخلاقية والأبيات تشرق بروح الغيرة على الإسلام وقد تشبع بهذه الروح من دراسته فى الأزهر الذى حفظ مكانة الإسلام العالية ومصر الغالية وقد استطاع شاعرنا ترجمة ثورته وغيرته بمصداقية بلورتها الصور الأدبية الناطقة التى جسدت الهيئة والشكل مثل ( تتظر – ترشقها بأسهم الألحاظ – لعب النرد ) كما تبلور ضياع القيم مثل ( أرى عجائبًا فى مصر –

---

(١) السادر : الغافل المتحير .

تجردوا من حلية التدين ) والمتلقى والكريم يدرك أن تحذير نبع شاعرنا من روح إسلامية تأثرت بالقرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ .

قال عز من قائل : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾[1] صدق الله العظيم

وقال المصطفى صلى الله عليه وسلم " ما أدع بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء "[2] .

وبنظرة تأملية لمعانى الشاعر يدرك المتذوق إنه ينادى شباب الجيل عبر دعوة إسلامية ترمى إلى صحوة دينية تنير لهم طريق الحياة الفاضلة .

وقد أجاد أحمد الزين فى بيته :

أواه لو كان الشباب يبصر وآه لو كان المشيب يقدر

والبيت نغمة باكية على سقوط الشباب فى مصيدة اللهو والمجون كما أنه يبكى بنبرة الأسى والحزن ما يحل بالإنسان من إخفاق ووحشة وغربة فى ليل المشيب وجميل منه وصفه للشباب بالصورة ( لو كان الشباب يبصر ) وجميل أيضًا تصويره المشيب بالصياغة ( لو كان المشيب يقدر ) الصورة الأولى أنين ذاتى يرثى به نفسه التى حرمت من الرؤية البصرية كما أنه نحيب وجدانىّ لفقدان نسمة عليلة وطيف سحرى جعله الله لغرس بذور التأمين التى تحصد ثمرتها المرجوة فى المشيب ولكن الشيطان يجتهد فى إغراء الإنسان لينتزع منه أمن شيبته وآمان كهولته والصورة الثانية صرخة مكتومة تحمل الآم الوداع لومضة الشباب الخاطفة وحلول ضيف

---

(١) سورة النور : الآية ٣٠ .

(٢) سنن ابن ماجه جـ٢ ص١٣٢٥ - بيروت .

لا يعذر وقد تجسد الجمال التصويرى فى بث الحياة للشباب الخادع والمشيب القاسى .

ويصف شاعرنا بعد البكاء الصامت عزة المناصب ويبين أنها زائلة أما عزة النفس النابعة من التقوى والإيمان فباقية :

لا تـزدهيك عـزة المناصب      فعـزة الدنيـا كبـرق خالب

عمـا قليـل شمسها تغيب      ما فخر ذى العقل بمجد يذهب

لا عـزة بمنصـب وجـاه      وإنمـا العـز بتقـوى الله

فحسبـك التقوى عـلا وعزا      وعـدة لمـن أراد بـزا

لا تفتخـر بمنصـب ومـال      إن كنت ذا عقـل وذا كمـال

دع ما استطعت الفخر بالأصول      فذاك فخـر العاجـز الكسول

وإن تكـن بين الورى شريفًا      فاضمـم إلـى تليدهم طريفًا

لا يرفـع المرء بمجد الوالد      فكلنـا فـرع لأصـل واحد

لا فضـل لا مرئ على أخيه      إلا بذكـر طيـب يبقيـه

والأبيات لوحة فنية طيبة تعبر عن عشق المناصب الدينوية والإنخداع بسلطان المال ولهذا يحذر شاعرنا من زيفها فعزها مفقود وفخرها إلى غروب ويوضح أن العزة والرفعة والشرف كامنـة فـى تقـوى اللـه فهـى كنز لا يفنـى وثمرة يانعة جذورها فى الأرض وأغصانها فى السماء ويتغنى أحمد الزين شاعر الأزهر الأصيل بتقوى الله فيبين تمتع صاحبها بالعلا والعزة والشرف لأن الحق جل علاه نور القلوب وشفاء الروح ونبض المشاعر وروضة المشتاق وأمل الظمآن وظل الحنان ونهر الأمان ينهل الإنسان من حبه رحيق

الإشراقات الربانية فتسمو نفسه وتذوب روحه وتهفو إلى عالم الرضوان العلوى إن فى تقوى الله وحبه جل علاه كمال الأنوار وتمام الفضائل فالله هو الحبيب المرتجى الناصر القوى من تمسك به سبحانه عز قدره وشرف مكانه ويبين المنشئ أن صاحب الكمال المتصف بالحكمة والأتزان لا يفتخر بالمال والحسب والنسب والسلطان لأن هذا الفخر دلالة على عجزه وخموله وإخفاقه فى البناء ودلالة على سلبيته وقصور تفكيره ولعل المنشئ يصرخ فى وجه الشعب المصرى قائلا : إياكم وضياع مصركم وعليكم متابعة مجد الأباء باستمرار البناء وتجديد العطاء حتى لاينهاد كيان مصر ويتمكن منها الدخيل فيقتلعها من خريطة الحضارة ولكن هيهات فمصر شامخة عريقة مكرمة عزيزة الأبناء الأم للحضارات جميعها وجميل قول الشاعر :

لا يرفع المرء بمجد الوالد ... فكلنا فرع لأصل واحد

والبيت دفعة صادقة وإثارة لحمية أبناء مصر للعمل والبناء لأن فى هذا رفعة للإسلام والحفاظ على أمن الأجيال القادمة ويغرد شاعرنا بفكرة تبين أن قيمة الإنسان فى ذاته :

مما حفظناه من الآثار ... وما سمعناه من الأخبار

أن أمرأ أتى إلى محمد ... يسأله عن دينه ويهتدى

فأدركته رعدة وهيبه ... لما رأى أى محمدًا وصحبه

فإنه كان مهيب المحضر ... إن تلقه كأنه فى عسكر

قال له النبى : ماذا ترهب ... منا وقد جئت إلينا ترغب ؟

هون عليك ما أنا جبار ... ولا أنا بين الورى قهار

| | |
|---|---|
| أمــى كانت تأكــل القــديدا | أكــرم بهـــذا خلقًا حميدًا ؟ |
| وهكــذا كــل عظيـم القدر | دان إلــى النـاس قليل الفخر |
| ومـــن تكـــن بغيته العلياء | فقدرَه فـــى نفســـه هباء |

الأبيات تقص قصة حدثت لسيدنا محمد صلـى اللـه عليـه وسلم أشرف الخلق وسيد البرية الخلوق الكريم المهيب المحضر شفيع الأمـة سيدنا محمد المختـار الذى جعل الخـالق العظيم منزلتـه الشريفة تشرق مـن نـور نبوتـه وأضواء ومحاسن أخلاقه ومنهج الحق مع المصطفى الحبيب صلى اللـه عليـه وسلم يهدى للسبيل السوى فى الحياة ويكشف لأمـة الإسـلام أن قيمـة الإنسـان تنبع من ذاته وتتجلى فى دوره الإيجابى الذى يبرز فى البنـاء ومسـايرة ركب الحضارة ويبين شاعرنا أن مكانة الإنسان لا ترجع إلى أصله ونسبه ويستدل على هذا برائد أمة الإسلام صلى الله عليه وسلم فقد كان جليلاً عظيمًا طـاهرًا مجدًا صابرًا مثابرًا وآية مجده وعزته الأنوار الربانية التى تحـث علـى العمـل والرقى للحفاظ على راية الإسلام ويبين أحمد الزين أن منزلة العظمـاء تكمـن فى تواضعهم وتجنبهم الدنس ويصور بدقة صفات صاحب العلا والمفلس :

| | |
|---|---|
| ومـــن تكـــن بغيتـــه العليـاء | فقـــدره فـــى نفســـه هبـاء |
| يسعـــى إلى المجد وليس يقنع | ومـن يذق طعم العلا لا يشبع |
| أمـــا قصير الباع فى المعالى | فـــإنه يقنـــع بالآمـــــال |
| مهمـــا تكـــن رتبته صغيرة | فإنهـــا فـــى ظنـــه كبيـره |
| حسبك ما قد جاء فى الأمثال | والكلـــم النفـــائس الغـوالى |
| إن الأســـود فخـرها زئير | وبالنهيـــق تفخـــر الحميـر |

يشير أحمد الزين فى صورة اضحة الصياغة جيدة النسق بأن طالب العلياء يتطلع إلى بناء الأمجاد بتواضع الشرفاء ونبلهم وجميل من شاعرنا تعبيره ( ومن يذق طعم العلا لا يشبع ) حيث جسد العلا وجعل له حلاوة حسية ومعنوية فى ربط جيد أوحى بصورة الرغبة فى العلا واستمرارها وأثرها على النفس ويسخر شاعرنا من الكسول الخامل الذى يقنع بما ورثه من أمجاد ويرضى من آماله بالقشور ويجسد أحمد الزين هذه الأمال الخسيسة التى تحط من شأن طالبها فيصورها بزئير الأسود ونهيق الحمير وما هذا إلا سخرية عميقة وتهكم لاذع يدل على الأبعاد المعنوية فهذه الأصوات التى تصدرها الأسود والحمير تتلاشى فى الهواء لتصبح سرابا كما أن المعنى يحقر من يرضى بماضى الأجداد ويعيش على الذكرى ويضم المعنى بين طياته تحذيرًا للشعب المصرى الذى يتغنى بأمجاد الأجداد ويتناس دوره فى البناء مما يولد الخمول والكسل والتدهور والضياع حتى تصبح هذه الأمجاد مثل صدى الصوت لا وجود إيجابى له والأبيات تحمل نبرة وطنية ودعوة للبناء الإسلامى الصحيح والاجتماعى الواعى والسياسى الشريف فى إطار مشرق الألفاظ بديع الصياغة دقيق التعبير ويصرخ أحمد الزين فى وجه الكسول والخامل فى دعوة واعية تحذر من التراخى فى طلب العلا :

| | |
|---|---|
| لا تزه بالطريف والتلاد | فكل ما ترى إلى نفاد |
| أواه لو يعرف كنه قدره | فى الناس من أسقطه بكبره |
| لو ينظر الإنسان مما صورا | وما يؤول أمره ما استكبرا |
| إن كنت ذا علا وذا ارتفاع | فى الناس فاحفظه بالاتضاع |

والأبيات صورة فلسفية جيدة تذكر الإنسان بحقيقة يدركها ولكنه قد يتناسى وسط زخرف الحياة هذا الواقع ولهذا يحذر المفتن من الفخر الذاتى فكل ما فى الدينا من مال وسلطان ومنصب إلى زوال ويتأمل سلوكيات بعض الناس وكبرهم وغطرستهم مع أنهم لو تذكروا حقيقة خلقهم ومادتهم الأولية لأدركوا أن الدنيا لا تستحق الصراع القائم على الأنانية وإنما النبيل الفاضل من يخلص لله ورسوله لرفع راية الإسلام فى كل وطن وخاصة مصرنا بلد الأزهر الشريف .

وينادى شاعرنا صاحب العلا فيحذره من الغرور حتى لا تذبل أغصان مجده بل عليه رعايته وخلوده بالتواضع وحسن الخلق :

وكن شبيه البـدر فى السماء ونـوره يلـوح فوق الماء

يحث الشاعر صاحب العلا على التمسك بحسن الخلق ورقة المعاملة بتجنب الفخر والغرور والكبر حتى يصبح ذكره رفيعًا شريفًا عاليا صافيا يبهج السامعين ويربط المنشئ بين هذه المعانى وبين هيئة البدر فى السماء ليلة اكتماله وتمامه مع انتشار نوره القضى على صفحة الماء حيث يداعبه النسيم العليل والمراد أن المتواضع بعلم وعلا ورفعة يصبح رفيع المنزلة ويحتل مكانه سامية متميزة بين قومة عامة وبين أصحاب الأمجاد خاصة وقد أبدع الشاعر فى هذه الصورة التىتهدف تجسيد الشرف والفضل حيث صور النبيل صاحب العلا والخلق بالبدر فى الارتفاع والجمال والاكتمال وأثره الحسن بالنور الذى يحذب الأنظار وجميل تصوير الشاعر أهل الفضل فى المجتمع بالسماء ونجومها البديعة والأجمل جعل الخلوق صاحب العلا المتميز بينهم بالبدر وقد أجاد المفتن حين جعل نوره يلوح فوق الماء الذى يمثل عامة الناس

وفضل الخلوق يرفرف عليهم ويبرق فوقهم ويتلألأ([1]) وينتشر ضوءه ومنبع جمال الصورة ينبثق من إحساس أحمد الزين شاعرنا المرهف الذى استطاع رغم فقده حاسة البصر تجسيد الفضل والتميز بصورة حسية لها أبعاد معنوية ووجدانية سامية.

ويتغنى الشاعر بشيمة التواضع قائلاً : ــ

| | |
|---|---|
| إن الفتــى مـن لم يقل أنا أنا | كالغصـن إن أثمـر مال وأنثنـى |
| وإن يصب أخوك فضل منصب | فلا تـزد فـى الود والتحبب |
| فإنـه ضـرب مـن النفـاق | وإنه مـن سيئ الأخـلاق |

تبين الأبيات أن المتواضع الشريف يتزين بعلمه حيث يتجنب الغرور والفخر حتى لا يهلك نفسه بآفه الكبر ويعلن أحمد الزين أن الفخر بالمجد يهدم العزيمة ويقتلع جذور الطموح فتموت الأمال ويصور المغرور الذى يفتخر بنفسه بالجذع الذى يجتث جذوره كما يصوره بالغصن الذى ينعم بالثمر الناضج الذى يميل على الأرض فتسقط ثماره والصورة بملامحها تحذير صريح من الغرور والأنانية فمن ينعم الله عليه بالعلم ولم يتعهده بالحمد والثناء على الحق واستمرار التحصيل كالغصن الذى يثمر مرة واحدة ليموت بعدها ويتعرض أحمد الزين لقضية أخلاقية تتفشى فى المجتمع وهى الرياء لأصحاب السلطة فيحذر من النفاق ويرسم المنهج السوى للعلاقة النبيلة :

| | |
|---|---|
| وإن تكـن ذا أدب وكيس | فكـن كمـا كنت له بالأمس |
| وزده فـى التبجيل والتعظيم | ولا تـزد فـى ودك القديم |

(١) راجع مادة / لوح / لسان العرب .

وإن تــزره وهو فى ديوانه فــلا تداعبـــه لدى إخوانه
تريـــد أن يفهــم منك الكل أنــك أنت الصــاحب المدل
دع ذلك الخلــق فــإن فيه غيظًــا لمـــن آخيتـه يؤذيه
لا تحســين خلقــه ما تفهم قبــل ولا طباعه ما تعلم
فإنمـــا الأخــلاق قد تبدل والطبـــع بالعزة قد يحول

الأبيات تناقش أسس العلاقة الفاضلة الشريفة القائمة على الأخلاقيات السامية التى تنبع من عيـون العزة والكرامة بين الأصدقاء والمعانى دعوة صريحة للصديق الفطن الكيس ليتزين بالعزة إذا أصاب صديقه منصبًا رفيعًا وبين شاعرنا أن المنهج الرفيع يتجلى فى تجنب النفاق والرياء وكثرة مداعبة الصديق صاحب المنصب حتى لا يعرض نفسه للسخرية والتهكم والإذلال إلى جانب نفور صاحب المنصب منه ويختم أحمد الزيـن قصيدته الرائعة بحقيقة واقعية تبين أن طبع الصديق قد يتبدل ويتغير مع المنصب وعزته والسلطان ورفعته وقصيدة ( آداب متفرقة ) دعوة للجهاد والكفاح واستغلال الشـباب فى البناء الإيجابى كما أنها أخلاقية تحذر من الإنحلال وتدهور القيم مما يتولد عنه ضياع الأمجاد وقد تغنى الشاعر فيها بالعزة والكرامة النابعة من التدين الواعى عبر صور أدبية راقية جيدة الألفاظ واضحة المعانى عميقة التأثير فى المتلقى مما يدل على صدق المنشئ الشعورى وتفاعله مع الشكل والمضمون.

وقد ختم شاعرنا أراجيزه الأخلاقية بقصيدة أطلق عليها ( فى معاملة النـاس والسـير معهـم والإحسـان إليهـم ) والقصيـدة نغمـة سـريعة تتغنـى

بالأخلاقيات الكريمة التي يجب أن يتزين بها الإنسان في علاقته بالأخرين حتى يستحق الثناء وقد بدأ شاعرنا يترنم بقصيدته قائلاً(١) :

| | |
|---|---|
| أولـــى بنى حواء | بالمـــدح والثنـــاء |
| من قوله معروف | والآلف والمـألوف |
| فطيب المعـــاملة | وأحسن المجـاملة |
| وادرع المصـانعه | ليأمـــن المقاطعـة |
| وبـــذل العطـــاء | لا يبتغـــى ثنـــاء |
| أحســن تكن أميرا | وازهد تكن نظيرًا |
| لم أر كالسخـــاء | أدعـى إلى صفاء |
| وليس كالأيـــادى | أجلـب للـــوداد |
| قـد جاء بالمعالى | من ضن بالنـوال |
| وليس للبخيـــــل | فى الناس من خليل |
| فإنمـــا هم سرب | وأيـن أين الحب |

يبين شاعرنا أن أولى الناس بالثناء صاحب السجية السهلة السلسلة الذى يوثق علاقته بالإخوان والأصحاب على أساس من الألفة والود وحسن المعاملة ويثنى أحمد الزين على صاحب الذكاء الاجتماعى الذى يجامل الجميع مجاملات رقيقة تبعث فى المشاعر سحر الوئام وجمال الانتماء ورونق الوفاء وسمو الزهد وصفاء العطاء وجميل من شاعرنا تعبيره (فطّيب)

---

(١) الديوان ص١٨٥ .

حيث أوحى التشديد بضرورة الإمعان فى تحسين العلاقات بالناس والمبالغة فى تقديم غصون الحب لهم وأوراق المجاملة الخضراء ويبين المنشئ أن تقديم مشاعر الولاء لا ينبغى معها انتظار الثناء ويداعب أبناء مجتمعه المصرى الكريم فيبين لهم أسلوب المعاملة التى ترقى بهم منها بذل العطاء الكريم والسخاء الرفيع الذى يثمر زهور الصفاء وبديع تعبيره :

وليس كالأيـــادى      أجلـــب للـــــوداد

الذى يصور أن الأيادى تجلب الوداد بالسلام والتحية وتقديم الهدايا التى تعلن عن مشاعر الحب السامية وتغرس المعالى لصاحبها ولهذا من ضن بالعطاء اغتال معاليه وجميل من شاعرنا جمعه بين جاد وضن مما أكسب الصياغة روعة العطاء والإحساس بجمال الود :

قــد جاء بالمعالى      من ضن بالنـــوال

وفى البيت لمحة تحذير لطيفة لمن يبخل بالعطاء تبين أن بخيل المشاعر والأحاسيس يضحى برفعته وعلو منزلته بين النـاس ويمعن فى التحذير من بخل العواطف قائلاً :

ولـــيس للبخيـــــل      فى الناس من خليل

فإنمــــا هــم سرب      وأيـــن أيـــن الحب

لا تبــغ بالإحســان      شكـــرا من الإنسان

وابتـــغ شكر القادر      فالله خيـــر شاكـــر

على ربيب نعمتك      كـــان دليـل نقمتك

أعرض عن المثالب      تسلـم من المعاطب

وانظـــر إلى ما فيك      فإنــــه يكفيـــك

ينفر أحمد الزين من البخل فيبين أنه ينشر البغض ويجعل صاحبه في عناء الغربة ووحشة الوحدة ويعلن المنشيء أن الناس في حاجة دائمة للحب والفيض العاطفي الذي ينمي الروابط الاجتماعية والمتذوق لتكرار حرف الاستفهام أين أين الحب يشعر بصرخة أنين ينادي فيها شاعرنا المصريين لعقد رباط الحب ويحذرهم من سموم الدخيل ويذكر المنشيء (الله) فيوضح أنه صاحب النعم الوهاب للخيرات جميعها المستحق للشكر لذاته المرتجى لجلاله والمعنى دعوة للعودة إلى رحاب الله ففيها النصر المبين والفوز العزيز والنبل الشريف كما أنها رجاء لصحوة القيم الأخلاقية التي تطهر القلوب وتنقي النفوس من المثالب ويعلن شاعرنا وجوب الإصلاح الذاتي وتجنب الأنشغال بعيوب الناس وقد فصل أحمد الزين عيوب هذا السلوك فقال:

ليس من التهذيب ... حفظك للعيوب
ومن يرى رذائله ... ولا يرى فضائله
فذاك عندي الكامل ... وهو البصير العاقل
ومن يريني عيبي ... فذاك خير صحبي
أفديه بالحياة ... لأنه مرآتي
أرى بها القبيحا ... مني والمليحا
شر من المكاشح[1] ... من زان لي قبائحي
فربما يضر ... لأنه يغر

---

(١) المكاشح العدو / كشح / لسان العرب .

ذاك الشـــفيق الغافـــــل وهو الصـــديق الجاهــل

يصرح أحمد الزين أن جمال القيم ونبل الخلق يتجلى فى ستر عيوب الغير والتأمل فى النفس ومحاولة إصلاحها فالعاقل الحكيم ينظر لرذائله ويغفل فضائله والصديق الخلوق يستر عيوب صديقه ولكنه يبصره بعيوبه لأنه مرآة صادقة تكشف العيوب والمحاسن ويحذر ممن يزين للإنسان صفاته القبيحه ويبين أنه العدو المبين أو الصديق الجاهل الذى ينشر بجهله الشر والمنشىء بهذا يتمنى الإصلاح الشريف الذى يبدأ بالفرد حتى يعم على المجتمع فيصبح البناء الاجتماعى قوى البنيان :

ولا أريـــد حمــــــدى بالشـــئ ليــس عنـــدى

أألبــس المعتــــارا وأعجـــب افتخـــارا

فمادحـــى بالميــــن[1] مبالـــغ فـــى شــــينى

مـــن ذمنـــى بحــــق وعابنـــى بصـــدق

أنصـــح عنـدى العاقــل مـــن مادح بالبـــاطل

يرفض أحمد الزين سلوك المدح والثناء الذى يقصد به تضليل الحقائق ويبدأ بنفسه فى رفض المدح المزيف وصوره بالثياب التى تستعار وهو تصوير جيد بين به أن هذه الصفات لا يمتلكها الممدوح وإنما أضيفت إليه لحظة الثناء المزيف مع غفلة تامة بحقيقتها وينفر المنشىء من مادحه بالكذب ففى هذا المدح تشهير بعيوبه وينتقل شاعرنا إلى منهج المسالمة مع الناس :

ســالم جميـع النــــاس تســلم مـــن الوســـواس

---

(١) المين : الكذب .

| | |
|---|---|
| وطـــول العنـــــانا | وقصـــر الســـــــتانا |
| ثم حرب مــن يقـــارب | فكيــف مــن يحـــارب |
| إيـــاك والمنــــــافره | وأحســن المعاشـــــره |
| فحســـــنها يزيــــن | وســــوءها يشــــين |
| تقـــرب الغريبــــا | وتجمـــع القـــلوبا |
| كــن ليــن الخـــلال | فــي القــول والفعــال |
| ســـهلا بغيـــــر ذل | تحمـــــد عنـد الكـل |
| مــن طــاب مثـل الزهر | يحمـل فــوق الصـــدر |

رسم المفتن أسلوب المعاملة الحسنة بيــن النــاس ومنبعهــا الســلوك الإنسانى النبيل الذى يتجسد فــى المسالمة التــى تثمـر راحـة النفس واستقرار القلب وطهارة الوجدان من الوسواس وقد أجاد أحمد الزين فى تصوير طبيعـة المسالمة :

وطـــــول العنانـــا[1]      وقصـــر الســـــنانا[2]

والمراد الإمعان فى توثيق روابط الحب والود وتقصير ملامح النقد والتزين بالخلق السهل الكريم والصورة حسية جيدة ربط بهـا الشاعر بين المشهد الحسى والمعنوى المتمثل فى التسامح واليسر وتجنب العنف والحدة وقد أجاد عندما عبر عـن مضاعفة المحبه بسير اللجام ممـا يوحـى بـالطول والتراخى وعبر عن الحد من الخلاف وتجنب الخصومة بتقصير حديدة الرمح

---

(١) العنان : سير اللجام : مادة/عنن/ لسان العرب .

(٢) السنان : سنان الرمح حديدته مادة/سنن/لسان العرب .

وتنبع الإجادة أيضًا من تناسق طبيعة المحبة والود من العنان وطبيعة الخصومة وحدتها من السنان .

وقد أعلن أحمد الزين أن الجدال والخصومة يمزق روابط الود وأن طيب المعاشرة وحسنها يجمع القلوب ويعطر العلاقات برحيق الألفة كما أن لين الطباع وحسن المنطق وجماله يجدد ينابيع العواطف التى يجب أن تنطلق من نفس عزيزة فالتواضع المحمود واليسر الممدوح هو النابع من الإنسان القوى الحازم الحكيم والواقع أن المنشىء أحسن فى تصوير جمال المعاملة حين قال :

| | |
|---|---|
| من طاب مثل الزهر | يحمل فوق الصدر |

والمتذوق للبيت يتصور منظر الوردة الناضرة وطيب رائحتها وجمالها وهى تتراقص بسحر فى مداعبة لطيفة مع النسيم فهى بديعة طيبة الأثر تسعد الناظرين ولعل تعبير الشاعر (يحمل فوق الصدر ) يوحى بمنزلة الإنسان الذى يتصف بحسن المعاشرة وجمال السلوك كما يوحى بدرجة حب الناس له وتبرز القيمة الجمالية للبيت عندما يربط المتلقى بين أثر الزهرة الناضرة فى الشكل واللون والرائحة وبين أثر السلوك الحسن ودرجة وقعهما على النفس الإنسانية .

ويمضى أحمد الزين فى منهجه الأخلاقى فينفر من الثقيل الذى يسبب للناس الهم والضيق :

| | |
|---|---|
| لكنما الثقيل | فى قومه مرذول |
| يلقى عن الكواهل | فالأرض أقوى حامل |
| وكن سليم الجانب | وانظر إلى العواقب |

| | |
|---|---|
| ليـــس مـــن العـــــلاء | وصــــــفك بالدهــــــاء |
| يفـــر منـــك الكــــــل | ويتقيـــك الأهـــــــل |
| من ذا الذى لا يهـــــرب | منك وأنـــت عقـــــرب |
| يخشـــاك من يجا نبـــك | فكيـــف مـــن يقاربـــك |
| فأنـــت كالصـــــياد | والنـــاس كالجـــــراد |
| مـــن ضـــمه الشـــراك | فمـــا لـــه فكـــــاك |

يدرك المتذوق للأبيات السابقة سلوك الثقيل الذى يرهق الناس بالشكوى ويلقى عليهم أحزانه وهمومه ومشاغله وقد يختلق بعض الأحزان ويدعى بعض المشاكل التى تكشف كذبه وسوء خلقه ومرض نفسيته مما ينفر منه الإخوان بل الأهل .

والأبيات تتمتع بجمال الصورة وقوة الإيحاء فالثقيل يفرغ شحنته الغاضبة الكاذبة على الأصدقاء والأهل ولو تدبر هذا الثقيل لأدرك أن للناس همومها وأحزانها وأن الأرض وحدها هى التى تتحمل شكواه وهى رؤية واقعية من شاعرنا فالأرض صامتة جهزها الخالق العظيم لتحمل عباده جميعاً بمالهم من صفات سيئة وسلوكيات وضيعة كما إجاد فى صورته .

| | |
|---|---|
| فأنـــت كالصـــــياد | والنـــاس كالجـــــراد |
| من ضـــمه الشـــراك | فمـــا لـــه فكـــــاك |

فالثقيل صياد يتصيد الناس الذين يستمعون له وهم كثرة كاثرة لأنهم بنفس صفاته ولهذا فهم فى بؤرة مظلمة تدور فى شراك واحد أما غيرهم فمنهجهم الهروب والفرار من الثقيل وأمثاله .

وقد وضح أحمد الزين أن ما سبق من أخلاقيات وقيم سجايا عالية رفيعة الشأن تشبه اللؤلؤ . البديع وبين شاعرنا أنه نظمه فى فترة زمنية تمثل رؤيته الوجدانية والاجتماعية والفكرية .

تلك سجايا عاليه ... وذى عظات غاليه
جمعتها فى شعرى ... كلؤلؤ فى نحر
ظللت فيها مدة ... تسعين يوما عدة
بين نهار جاهد ... وبين ليل ساهد
مقرح الجفون ... مفرق الشؤون
والسقم منى باد ... والهم فى وسادى
والفكر فى شتات ... من نكد الحياة
فى حين أن الأدبا ... فى أرض مصر نضبا
فلا أرى من ينصف ... ولا أرى من يعرف
ولا أرى تشجيعا ... لكن أرى تشنيعا
بين مقال حاقد ... أو انتقاد حاسد
تجارة الأخلاق ... أبعد عن نفاق
وباذل الآداب ... كباذل التراب
فكدت عنها أنكل ... لولا الإمام الأفضل
علامة الزمان ... ومهبط العرفان
هذا فريد العصر ... وغرة فى مصر
وذو العلا والمجد ... فيها ( فريد وجدى )

صرح أحمد الزين بمعاناته الشخصية وتجربته الذاتية والاجتماعية ليوضح كيفية خروج هذه القصيدة من جوارحه ومشاعره ونبض قلبه فقد جاش بها صدره وعاش معها وتعايش فيها حتى اكتملت ملامحها وبرزت لعالمها الخارجي فى هذه الصورة الجيدة الحسنة كما آثار المنشىء قضية القلق المتولدة عن الأخلاقيات الفاسدة فى المجتمع المصرى وقد تعايش شاعرنا مع موضوعه بعمق عاطفى أثمر الصدق الشعورى كما بين بجلاء تعبيرى خواطره ومشاعره وخلجاته شقاء نفسه وطرب وجدانه وأفصح بذكاء عن دور الأدب فى البناء الوجدانى والاجتماعى الإيجابى لمصر إلا أن الدخيل يحاول جاهدا اقتلاع لمسة النور وبسمة الأمل حتى يظل الشعب المصرى تحت قبضته ويعرض شاعرنا بمن يتصنع الصياغة الأدبية وفى هذا نداء لصحوة لغوية أدبية تثرى المكتبة العربية وتمد الفكر العربى بأصول الحضارة والمدنية حتى يعود للأدب بهجته وإيجابيته وبين أحمد الزين أن وسط هذا الضباب بزغ العلا فى سماء مصر متمثلا فى محمد فريد وجدى الذى يندد بالظالم وتهفو نفسه لرقى مصر وصحوتها لأنها أصل حضارة الأمم:

| | |
|---|---|
| ذاك الذكـــى الأروع | شـــمس هـــداه تسطع |
| مكانـــه لا يجهـــل | بيـــن الرجـــال أول |
| أشـــباهه قليـــل | ورأيـــه جميـــل |
| حبـــب لـــى الإقداما | وثبـــت الأقدامـــا |
| تلك يـــد لا تكفـــر | ومنـــه لا تنكـــر |

تغنى شاعرنا بصفات ( محمد فريد وجدى ) فوضح صفاته الأخلاقية العالية التى يجب أن تسود بين أبناء الشعب المصرى وقد وصفه بذكاء القلب ونبل النفس وسمو الروح وشجاعة الرأى وحرية الفكر أنه غرة فى جبين مصر ويتنهد أحمد الزين فيبكى موقف بعض المفكرين تجاه الذكى المتدين والوطنى الأصيل إلا أن شعاع الأمل فى صحوة أخلاقية نابعة من الدين الحنيف تخفف من آلامه وتنعش وجدانه وكأنه ينادى بثورة إسلامية مصرية توقع حدوثها لما كان يعانى منه الشعب من غليان وجدانى ورفض للعادات والتقاليد الدخيلة والأبيات نغمات صادقة فى أنشودة القيم الأخلاقية تغنى بها المنشىء من وحى إيقاع وجدانى ودلالات اجتماعية نابعة من سلوكيات البيئة وقد أضفى الجناس على البيت رقة تعبيرية :

| | |
|---|---|
| حبب لى الإقداما | وثبت الأقداما |

فالجناس بين( الإقدام والأقدام ) جعل المعنى يتراقص ويهتز بأغصان البشرى وكأنه يتمنى ثورة عارمة تطرد الدخيل وترفع لواء النصر الذى يشرق من القيم الأخلاقية التى وضعها الإسلام .

وختم الشاعر الأرجوزة الأخلاقية بحمد الله والثناء على ذاته العليا :

| | |
|---|---|
| فهذه حوراء | ومهرها الدعاء |
| لا أبتغى جزاء | بها ولا ثناء |
| والحمد لله كما | أولى الجميل منعما |
| ثم الصلاة أبدا | على النبى أحمدا |

والأبيات ترنيمة طاهرة تحث على حمد الله والثناء على حبيبنا ﷺ فهى ترنيمة العلا والفخر والشرف وثمرة العزة والمجد والكبرياء .

والمتذوق الكريم لأرجوزة ( فى معاملة الناس والسير معهم والإحسان إليهم ) يجد أنها دعوة للبر والإحسان والعطاء والود والإصلاح والبناء كما أنها نداء لصحوة أدبية عمادها القيم وأحياء مجد مصر التليد توجها المنشىء بحمد الله والصلاة على حبيبنا ﷺ ، ليشرق عمله بنور الرضا وبركة الاستمرار وكلمات الأرجوزة واضحة الأبعاد المعنوية سلسة الصياغة جيدة التصوير تتاسق فيها الشكل والمضمون مع الايحاء الصوتى الذى يعكس طبيعة التجربة الشعورية .

وبالقصيدة السابقة يصل موكب أراجيز القيم الأخلاقية إلى تمام أنواره وكمال أخلاقياته ويتبين المتلقى الكريم أن المنشىء عالج فى أراجيزه عناصر البناء الوجدانى والاجتماعى والفكرى بمهارة فنية وقدرة بارعة على توظيف الصورة للأداء التعبيرى .

## موارد رؤية أحمد الزين للقيم الأخلاقية :

استقى الشاعر القيم الأخلاقية التى غنى بها من القرآن وسنة المصطفى ﷺ ، وأقوال الصحابة ورواد الفكر الإسلامى ويستطيع المتذوق الكريم إدراك سمة التأثر بجلاء من مطلع أرجوزة الأخلاق(١) :

| | |
|---|---|
| الحمـــد للــــه كمـــا | أولى الجميـل منعمـاً |
| ثـــم الصـــلاة أبـــداً | علـى النبـــى أحمـــداً |
| من حاز حسن الخلق | وســـاد كـل الخلـــق |

فقد أشرقت الأرجوزة بحمد الله والثناء عليه والصلاة على الحبيب المصطفى ﷺ ، رغبة فى التقرب إلي " الله "جل علاه والتمتع بجمال حمده ونور ذكره وبركات اسمه وتحصيل رضاه ورغبة فـى تحصيل سعادة القلب بحب المصطفى والفوز بشفاعته وذكر الله ورسوله ﷺ ، فى أى عمل يضفى عليه البركة وتحفة الإشراقات العلوية والخيرات الربانية وقد أدرك شاعرنا أن سمو الفكر وطهر الوجدان وصفاء المشاعر من الأمور الوجدانية الحادثة بذكر الله ورسوله ﷺ ، ولهذا افتتح أراجزه بحمد الله والصلاة على الرسوم وختمها أيضاً بنفس المنهج :

| | |
|---|---|
| لا ابتغـــى جـــزاء | بهـــــا ولا ثنـــــاء٢ |
| والحمـــــد للـــه كمـا | أولـى الجميـل منعمـاً |
| ثم الصــــــلاة أبـداً | علـى النبـى أحمـــداً |

---

(١) الديوان ص١٣٧ .

(٢) الديوان ص١٨٩ أطلق على هذه الأرجوزة اسم ( فى معاملة الناس والسير معهم والإحسان إليهم ) .

حيث سطعت الأراجيز الأخلاقية بأنوارهما ففاضت الإشراقات الربانية وفاح سحرها وتبسمت الألفاظ والمعانى حتى تنسم المتلقى عبير الهدى الذى حف كل ما تغنى به أحمد الزين من قيم إسلامية عالية .

والمتذوق لصورة القيم يستشف ثقافة المنشىء وظروف بيئته فيهتدى إلى إنهما منبع رؤيته التى أثرت فى عرضه للقضايا الأخلاقية وكانت مرآة صادقة لحياة الشاعر الذى ذاق مرارة الظلم وقسوة الحرمان ووحشة الغربة التى أشعلها فقدانه لبصره فتجرع من حياته الخاصة والعامة الآلام وحصد أشواك الوحدة ولم يجد سبيلاً لمواساة نفسه إلا التغنى بالقيم الأخلاقية ففيها دعوة للخير ونداء للإصلاح حتى يرفرف لواء الأمن على أبناء الشعب المصرى ولهذا ترنم بالوفاء والضمير والبر والإحسان والود والحق والعطاء والعدل والشجاعة والعلم والمعلم والمتعلم والأمانة والعفة وعلو الهمة والنزاهة والمروءة والصبر والصدق والصداقة والصديق والعدل وآداب المجالس وحقوقها وأصولها ونفر من الكذب والنفاق والحقد والحسد والرياء والغيبة والنميمة والسلبية والتكلف .. إلخ .

لقد عالج أحمد الزين الأصول الأخلاقية والسلوكية السابقة فى صور أدبية حية ناطقة عكست ثقافته الأزهرية العالية وكشفت عن درجة اقتناعه بضرورة ثبوت جذور القيم لأن فيها الحل الإيجابى الفعال لصلاح أحوال الفرد والجماعة ومما سبق يستطيع المتلقى معرفة موارد رؤية أحمد الزين القيم الأخلاقية والمتمثلة فى :

القرآن الكريم ، وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة وبعض رواد الفكر الإسلامي مثل : أبى حيان التوحيدى(١) صاحب كتاب الصداقة والصديق والماوردى(٢) صاحب كتاب أدب الدنيا والدين وابن مسكويه(٣) صاحب كتاب تهذيب الأخلاق هذا إلى جانب ظروف البيئة الخاصة والعامة وعلى سبيل المثال إذا تصفح القارىء كتاب ( أدب الدنيا والدين ) يجد أنه يضم فصلاً فى أدب العلم تعرض للقضايا الآتية : شرف

---

(١) على بن محمد بن العباس التوحيدى ( ٤٠٠هـ ) المكنى بأبى حيان فيلسوف متصوف معتزلى نعته ياقوت بشيخ الصوفية وفيلسوف الأدباء أقام مدة ببغداد وانتقل إلى الرى . من كتبه ( الصداقة والصديق ) و ( البصائر والزخائر) و ( الامتاع والمؤانة ) و(الإشارات الإلهية ) و( المحاضرات والمناظرات ) و ( تفريط الجاحظ ) . الأعلام - الزرركلى جـ٤ ص٣٢٦ ( ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م ) - بيروت .

(٢) على بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردى أقضى قضاه عصره من العلماء الباحثين أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة ولد فى البصرة وانتقل إلى بغداد ولى القضاء فى بلدان كثيرة ثم جعل ( أقضى القضاة ) فى أيام القائم بأمر الله العباسى . كان يميل لمذهب الاعتزال وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء من كتبه ( أدب الدنيا والدين ) و (الأحكام السلطانية) و ( النكت والعيون ) و ( الحاوى ) و ( تسهيل النظر ) و ( أعلام النبوة ) و ( الأمثال والحكم ) الأعلام - جـ٤ - ص٣٢٧ بيروت .

(٣) أحمد بن محمد بن يعقوب المعروف بابن مسكويه ( ٤٢١هـ - ١٠٣٠م ) بحاث أصله من الرى وسكن أصفهان وتوفى بها اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاء وكان قيماً على خزانة كتب ابن العميد ثم عضد الدولة ابن بويه فلقب بالخازن قال أبو حيان فى جملة وصفه ( لطيف الألفاظ سهل المأخذ مشهور المعانى شديد التوقى ضعيف الترقى .. ) ألف كتباً نافعة منها ( تجارب الأمم وتعاقب الهمم ) و ( تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ) و ( طهارة النفس ) و ( آداب العرب والفرس ) و ( رسالة فى ماهية العدل ) الأعلام - جـ١ - ص٢/١ ، ٢/٢ بيروت .

العلم وفضله ، لا نهاية للعلم ، أفضل العلوم علوم الدين ، الدين ينظم المجتمع، ما يتعلق بعلم الدين من العلوم ، نفرة الجهال من العلم وأهله ، معاداة الجهال لذوى العقول ، السعادة : بالعلم والعقل ، الترغيب فى طلب العلم وإخلاص النية فيه .

كما عقد فصلاً فى أدب المتعلم فتحدث عما يجب أن تكون عليه أخلاق العلماء ، شيمة العالم : العمل بما عمل ، على العالم ألا يقول ما لا يفعل ، من آداب العلماء : بذل العلم لطالبه ، نصح العالم المتعلم ، الرفق بالمتعلمين ، تحبيب المتعلمين فى العلم وفصلاً تحدث فيه عن المؤاخاة بالمودة ، المؤاخاة فى الناس ، اختيار الإخوان قبل اصطفائهم ، اختلاف مذاهب الناس فى كثرة الإخوان ، الإغضاء عن هفوات الإخوان ، صداقة الملوك ، حق الصديق على صديقه ، وأشار الماوردى إلى تأديب النفس فذم الكبر والإعجاب وناقش قضايا الصدق والكذب والحسد ثم تعرض فى الفصل الثامن لآداب المأكل والمشرب .

والقارىء الحصيف لأدب الدنيا والدين يجد تشبع أحمد الزين بأفكار الكتاب وتفاعله بصدق وبصيرة واعية جعلت نظمه يشرق من وحى مجتمعه وروح بيئته ويعكس بجلاء ملامحه الوجدانية والاجتماعية والثقافية وسماته الأدبية التى تميزه عن غيره من الشعراء ولبيان درجة التفاعل يعرض البحث بعض ملامح هذا التأثر ومنها تغنى الشاعر بجلال العلم وثمار بركاته فقال :

| | |
|---|---|
| لا نلــه بالمـــال وبـالأولاد | عن طلب العلم والاسـترشـاد[1] |
| فإنـــه ذخائـــر الإمـــلاق | وثروة تزكـو علـى الإنفـاق |

---

(١) الديوان ص١٥١ .

| | |
|---|---|
| وعـدة مــن غيــر الليــالــي | وخير ما ثمرتــه مــن مـــال |
| ذخيــرة المعــاش والمعـــاد | وكــل مــا تـــراه للنفـــاد |
| تحــرس ما تجمعه مــن وفــر | والعلــم حــارس بغيــر أجـر |

والمعانى السابقة صرح بها على بن أبى طـالب رضـى اللـه عنـه حيـن بين فضل العلم على المال فى قولـه ( العلـم خـير مـن المـال : العلـم يحرسـك وأنت تحرس المال العلم حاكم والمال محكوم عليه مات خزان الأمـوال وبقـى خزان العلم أعيانهم مفقودة وأشخاصهم فى القلوب موجودة ... )(١) .

اختمر رأى على بن طالب رضى اللـه عنـه فـى وجـدان شـاعرنا حتـى تبلـورت ملامحـه فنظمـه شـعراً فـى صياغـة جيـدة الملامـح مشـرقة الديباجـة واضحـة الصـور قـادرة علـى إثـارة المتلقـى لجـودة عـرض المعـانى وحسـن توليدها حيث جعل العلم ذخيرة الدنيا والآخرة وثروة مباركة وعدة من أحـداث الليالى وحماية لأصحابه وعزة منزله وشـرف قـدر وبهـذا تفـاعل مـع المعنـى وأضاف إليه مما يحمد لشاعريته .

كما تأثر شاعرنا بفكرة تواضع المتعلم فقال :

| | |
|---|---|
| ذلل قيـــاد النفـس للتعـــلم | واخفض جنـاح الذل للمعـــلم[٢] |
| فلا ينـــال العلــم بالتعــالى | فالسيل حرب للمكان العــالى |
| واعمـل بما يـراه لا تناضـله | وكن له أرضــا يجـدك وابله |

والمعـانى الســابقة منبثقـة مـن منثــور الحكـم العربيــة فقـد ذكـر أن المتواضع من طلاب العلم أكثر علماً كمـا أن المكـان المنخفض أكثر البقـاع

(١) أدب الدنيا والدين – الماوردى – طبعة دار الكتب العلمية ص٤٨ .
(٢) الديوان ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

ماءَ .. )(١) فقد تفاعل المنشيء مع فكرة التواضع وأدرك أن المكان المنخفض أعظم استفادة من الماء حيث تصبح أرضه روضة غناء تزهو بحياة خضراء يانعة تسر الناظرين فعبر عن هذا المعنى بصور جيدة تثير في المتلقى بواعث الحيوية التى تنبع من تعبيره ( فالسيل حرب للمكان العالى ) و (وكن له أرضاً يجدك وابله) حيث يتصور المتخيل هيئة السيول وصوتها وعنفوان اندفاعها ويتخيل المكان العالى عندما ترتطم به السيول وكأن بينهما عداوة ضارية كما يتخيل الأرض المنخفضة ينساب الماء بين جداولها وكأنه يداعبها بانسجام ورشاقة وعندما يستحضر المتصور هذه المناظر يدرك قدرة المنشيء ومهارته فى عرض الأفكار والمعانى للقيم والأخلاقيات التى آمن بها مع تجديده وابتكاره المتميز .

ومن يتجول بين رحاب كتاب أدب الدنيا والدين يقطف من ثمار روضته الترنم بالصداقة والصديق والإخوان وما يبهج نفسه ويغذى مشاعره ويرضى أمانيه وما يجعله يشهد لأحمد الزين بجمال النظم وصدق المشاعر ونبل الأحاسيس وخاصة أن كتاب الماوردى يفوح بكلمات الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويضم بين طياته الأقوال المأثورة والأشعار الجيدة التى تعلن تميز شاعرنا فى الإطار الأخلاقى التعليمى الإسلامى الرفيع الذى يتذوقه المتلقى فيجد عبيراً يترجم تغريداً لطائر ساحر النغمات يشدو بعواطف الحياة ومشاعرها وفكرها ويرتشف من ألوانها الطيب العبق الذى يفوح بعطر متميز يشرق بطبيعته وسماته ومن هذا المنبع انبثقت أنغام أحمد الزين الذى قطف من كل بستان زهرة ليخرج ثمرة حية تنساب عطرها مع روح عصره ومن هذا ما تغنى به أحمد الزين فى قصيدة ( آداب عامة للأصدقاء )(٢) :

---

(١) أدب الدنيا والدين – الماوردى – ص٥٧ .

(٢) الديوان ص١٦٢ .

وحـب مـن أحببتــه هــوناً مــا ... عسـاك أن تهجــره يومــاً مــا
وصـاحب الناس وكن على حذر ... كم ضل سار غره ضوء القمــر

يجد المتلقى المعانى السابقة فى كتاب أدب الدنيا والدين عندما تحدث الماوردى عن ( حق الصديق على الصديق ) قائلاً :

( وينبغى أن يتوقى الإفراط فى محبته فإن الإفراط داع إلى التقصير ولأن تكون الحال بينهما نامية أولى من أن تكون متناهية وقد روى ابن سيرين عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

" أحبب حبيبك هوناما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً وأبغض بغيضك هوناما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما " وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً وقال أبو الأسود الدؤلى(١) :

---

(١) ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلى الكنانى ( ٦٠٥ – ٦٨٨م ) واضع النحو كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء الفرسان رسم له على بن أبى طالب شيئاً فى أصول النحو فكتب فيه أبو الأسود وأخذه عنه جماعة وفى صبح الأعشى أن أبا الأسود وضع الحركات والتنوين لا غير سكن البصرة فى خلافة عمر وولى إمارتها فى أيم على استخلفه عليها عبد الله بن عباس لما شخص الحجاز ولم يزل فى الإمارة إلى أن قتل على وكان قد شهد معه ( صفين ) . له شعر جيد فى ديوان صغير أشهره أبيات يقول فيها ( لا تنه عن خلق وتأتى مثله ) .
الأعلام – جـ٣ ص٢٣٧ بيروت .

عدى بن زيد بن حماد بن زيد العبادى التميمى كان قروياً من أهل الحيرة فصيحًا يحسن العربية والفارسية والرمى بالنشاب ويلعب لعب العجم بالصوالجه على الخيل وهو أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى اتخذه فى خاصته وجعله ترجماناً بينه وبين العرب فسكن المدائن ولما مات كسرى أنوشروان وولى ابنه هرمز أقر عدياً ورفع منزلته ووجهه رسولاً إلى ملك لروم.قال ابن قتيبة كان يسكن الحيرة ويدخل الأرياف فثقل وعلماء العربية لا يرون شعره حجة.جمع ما بقى من شعره فى ديوان ببغداد توفى سنة ٥٩٠م .
الأعلام – جـ٤ ص٢٢٠ بيروت .

وكن معدنًا للخير وأصفح عن الأذى    فإنك راء ما عملت وسامع

وأحبب إذا أحببت حباً مقارباً    فإنك لا تدرى متى أنت نازع

وأبغض إذا ما أبغضت غير مباين    فإنك لا تدرى متى أنت راجع

وقال عدى بن زيد :(١)

لا تأمنن من مبغض قرب داره    ولا من محب أن يمل فيبعدا

والمعنى دعوة للاتزان العاطفى الذى يضبط أصول العلاقة وينظمها بين الإخوان والزملاء والأصدقاء لتستمر مشرقة الأنوار مثمرة الأغصان وقد أخذ شاعرنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب وما تغنى به الشاعران فقال :

وحب من أحببته هوناما    عساك أن تهجره يوماً ما(٢)

وصاحب الناس وكن على حذر    كم ضل سارغره ضوء القمر

يجد المتلقى أن شاعرنا عاش معايشة تامة مع خيوط النسيج المعنوى ونبض قلبه بخفقات الرؤية الشعورية وذاب فى وعاء النداء الوجدانى والاجتماعى فأثمر هذا الاندماج ثمرة طيبة تعكس هيئة الماضى الأصيل ولون ورائحة الحاضر المتجدد الذى تجلى فى إضافة الشاعر للمعنى الموروث :

وصاحب الناس وكن على حذر    كم ضل سار غره ضوء القمر

البيت السابق يحث على مصاحبة الناس والتقرب إليهم بحذر وحرص والبيت دعوة لوضع حدود إنسانية راقية تنظم العلاقة بين الإخوان والأصحاب

---

(١) أدب الدنيا والدين - الماوردى - طبعة - دار الكتب العلمية ص١٧٦ - ١٧٨ .

(٢) أرجوزة آداب عامة للأصدقاء ص١٦٢ .

والزملاء والأصدقاء وبرزت درجة التجديد والإبداع في الصورة ( كم ضل سار غره ضوء القمر ) ليمعن في ضرورة اتباع منهج الحذر والحرص عبر إيحاء تشكيلي نقل للمتصور حقيقة واقعية حيث يهيم الناظر بضوء القمر عشقاً آملاً فيه الهدى ونشوة الوجدان ولكنه سرعان ما يصدم بظلمة الحرمان وحيرة الوجدان وضلال الرؤية وما ذلك إلا لا نخداع الرائي بضوء القمر المنير وجميل من شاعرنا هذا الابتكار الذى ربط فيه بين جمال ضوء القمر الساحر الذى يضل المغتر به وبين جمال صحبة الناس التى تخدع ومن الجدير بالذكر أن منبع جمال ضوء القمر نوره الذى يناحى الوجدان ومنبع جمال صحبة الناس شعور الإنسان بكيانه والجمال فيهما يتجلى فى الوجود الإيجابى الحى الجذاب وبهذا تفوق أحمد الزين على أبى الأسود الدؤلى وعدى بن زيد بخصوبة خياله وجمال صورته . وقد أعجبنى تفاعل الشاعر بفكرة التسامح التى وردت فى كتاب أدب الدنيا والدين عن ( حق الصديق على صديقه ) حيث ذكر الماوردى ما يلى ( ثم من حق الإخوان أن تغفر هفوتهم وتستر زلتهم ، لأن من رام بريئاً من الهفوات سليماً من الزلات رام أمراً معوزاً واقترح وصفاً معجزاً وقد قالت الحكماء : أى عالم لا يهفو ، وأى صارم لا ينبو وأى جوادلايكبو(١) ؟ ) .

أخذ أحمد الزين المعانى السابقة وتغنى بها فقال فى أرجوزة ( آداب المتعلم والحث على طلب العلم ) :

إياك أن تخجلـه إن ضـلا ... واجعل له عذراً إذا ما زلا

فأى عضـب صـارم لا ينبو ... وأى طرف سـابق لا يكبو٢

(١) أدب الدنيا والدين – دار الكتب العلمية – ١٧٩ .

(٢) ديوان أحمد الزين ١٥٤ .

فبين المنشىء ضرورة قبول عذر المعلم إذا أخفق والجميل منه استخدامه المعنى فى علاقة المتعلم بالعلم مع أن الماوردى استشهد به فى علاقة الصديق بصديقه مما يدل على تفهم المنشىء لأبعاد المعانى وكيفية استخدامها فى المواضع التى تنسجم معها فى لمسة تجديدية حية ومن الجدير بالذكر أن أشهر أبيات لأبى الأسود الدؤلى ( لا تنه عن خلق وتأت مثله )(١) تناوله أحمد الزين فقال :

واعمل بما أنت إليه ترشد    وانته عما أنت عنه تبعد[٢]

لا تحم وردا أنت منه ناهل    ولا تحله وأنت عاطل

تناول أحمد الزين المعنى وأضاف من وحى خياله الخصب صورته الجيدة التى أشرقت ملامحها بجلاء فى البيت الثانى والتى تجسدت فى هيئة طائر ينهل بشراهة من ورد يصيبه مباشرة مما يوحى باستمرار ارتياده لهذا المنبع وارتباطه به حتى أصبح موطنه الطبيعى ومما سبق يدرك المتلقى الكريم أن شاعرنا تفاعل بذكاء وحس مرهف مع المعانى الموروثة ثم طبعها برؤيته الشعرية وروح مجتمعه وتوجها بحبات من لؤلؤ يسطع بخصائص نظمه الفنية والأدبية .

وبعد فقد تجولنا فى روضة أراجيز أحمد الزين الأخلاقية وقطفنا أزهارها اليانعة التى تفوح بعطر السلوك وسحر القيم حيث يجد المتذوق الكريم الإبداع الجمالى فى الوفاء والضمير الحى والإيثار والعدل والعزة والكرامة والشجاعة وآداب المعلم وآداب المتعلم وصفاء العلاقة بين الأصدقاء والإخوان وآداب المجالس وقد عبر شاعرنا عن هذه الآداب والأخلاقيات فى إطار أدبى جيد التشكيل متناسق المعانى واضح الصور تفيض منه مشاعر

---

(١) الإعلام – جـ٣ ص٢٣٧ .

(٢) الديوان ص١٤٩ من أرجوزة ( آداب المعلم ) .

الصدق التى تعشق الإصــلاح للأمـة الإسـلامية وقد استطاع شـاعرنا تجسيد معانى أراجيزه الأخلاقية النابعة من القيم الإسلامية عبر نسيج تعبيرى قـادر علـى توظيف أداء الصياغـة لإثـارة مشـاعر المتلقـى الاجتماعيـة والوجدانيــة والثقافية لتكوين رؤيية واعية ترفع راية المجتمـع الإسـلامى المصـرى ولهـذا فشعر أحمد الزين الأخلاقى دعوة نبيلة للقيم نشـرها أثير يـترنم بأنغـام السـمو ورنين الرقى الـذى ارتشـف روافـده مـن القـرآن الكريـم وأحـاديث المصطفـى صلى الله عليه وسلم وأقـوال الصحابـة ومـأثور أقـوال رواد الفكـر الإسـلامى وأمهات كتب التراث إلى جانب الثقافة الأزهرية الواعية ولا يغفل البحث دور الموهبـة فـى خلـق الأثـر الأدبـى ووصفـه بدرجـة الإبـداع وقد تمتـع شـاعرنا بموهبة(١) فياضة توجها إلهـام نبـض بحيويـة المشـاعر والأحاسيس وواقعيـة الأفكـار وموضوعيتهـا ، وبعـد هـذه الجولـة التـى ترنمـت بـالقيم الأخلاقيـة وترجمت ما تغنى به أحمد الزين فى أراجيزه الأخلاقية وعكست الروافد التـى استقى منها نظمه لأراجيزه يصل موكب البحث إلى الفصل الثالث الذى يقطف من ثمار الخصـائص الفنية لشاعرية أحمد الزين ويبيـن سـمة إبداعـه الشـعرى من خلال تناسق وانسجام عناصر الأثر الأدبى .

---

(١) وبط أفلاطون بين الموهبة والإلهام فبين أن الشعر نوع من النشوة الفنيـة يغيب فيهـا الشاعر عن شعوره فهو إلهام ومصدره إلهى محض فالشاعر عنـده لا يمكـن أن يبتكر قبل أن يلهم وهو يفقد فى هذا الإلهام إحساسه وعقله وإلا لأصبح غير قـادر علـى نظـم الشعر إذ الشعراء عنده لا ينظمون عن فن بلْ عن موهبة إلهية ومن الجدير بـالذكر أن ا الكثير من الأدباء يفسرون سر الجمـال فـى الفنـون وفـى الشـعر خاصـة لـى أنـه أثـر للموهبة التى يعجز الفكر عن تحليلها لأنها هبة السماء .
النقد العربى الحديث – أ . د محمد عبد المنعم خفاجى – المكتبة الأزهريـة ٧٢ – ٧٧ بتصرف .

# الفصل الثالث

## الخصائص الفنية لأراجيز

## أحمد الزين

## الخصائص الفنية لأراجيز أحمد الزين

يتمتع المنشىء بقدرة على تصوير رؤيته الوجدانية والاجتماعية والتأملية من وحى موهبة ملهة تتدفق بالعواطف الجياشة التى تحرك بواعث الخلق والإبداع حيث تغوص فى أعماق الأحداث وتذوب معها حتى تكتمل ملامحها فتخرج لعالم الوجود الفنى فى صورة الآثار الأدبية التى تترجم ظروف المفتن الذاتية والاجتماعية كما تكشف عن موقفه تجاه قضايا مجتمعه وعالمه الإنسانى ويتبلور هذا فى ملامح رفضه أو قبوله التى فجرتها عيون الصراع بين المنشىء وعالمه ولهذا افترض علماء النفس ضرورة وجود علاقة معينة بينه وبين مجتمعه حتى يسهل تفسير وتحليل عوامل الإبداع وقد رأى ( فثاولس ) أحد علماء النفس أن الخطوة الأولى نحو تعليل الإبداع الفنى هى الكشف عما شاهده الشاعر من نقص فى بيئته وكيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تفقد الحل الذى يرضيه ويقرر أن الإبداع نشاط اجتماعى من بعض نواحيه وأن المفتن إما يريد به أن يوقظ بعض استجابات معينة فيمن يشهد فنه(١) . وقد تبين من ترجمة حياة أحمد الزين ما ذاقه من حرمان دائم تمثل فى فقده لبصرة وما تجرعه من آلام تجسدت فى فقده لفذة كبده وفساد حال ابنه الآخر وما تنفسه من أحزان تمثلت فى حرمانه من الميراث إلى جانب إخفاقه فى تحقيق طموحه الاجتماعى فقد تطلع إلى تولى منصب مرموق بالأزهر الشريف ولكنه استبعد عنه كل هذه الأحزان المتلاحقة أشعلت

---

(١) الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة د. مصطفى سويف بتصرف ١١٥ : ١٢٥ طبعة ١٩٥٩م.

جذوة الصراع فى نفسه مما كان له أثره العظيم فى تميز نتاجه الأخلاقى بل وإبداعه التصويرى فيه وقد ذكر بعض علماء النفس أن الإبداع لا ينتج إلا بالاصطدام الملح الطويل فروعة التصوير وجودته لا يتسم بها إلا الأشقياء من الشعراء فهم ينسجون ملامح صورهم من منطلق رغباتهم الشقية(١)وأحمد الزين أحد هؤلاء الأشقياء الذين تجرعوا مرارة الظلم والحرمان وعاشوا حياة انفعالية باكية جعلت تصويرهم يتصف بالتكرار والاستطراد والإطناب... إلخ.

ورغم تلاطم أحزان أحمد الزين إلا إنه لم ينقم على الحياة نقمة ابن الرومى الشاعر العباسى(٢) الذى دفعته مرارة الحرمان وقوة المظالم إلى فحاش وسباب ولعان حيث ترجم شعره الساخر ثورة عارمة تنطلق بالسهام المسمومة فى قلب خصمه أما شاعرنا فقد هذبته ثقافته الأزهرية الراقية فكانت أحزانه ترنيمة باكية ترجمتها أنشودة سامية ترمى إلى تطهير المجتمع من السموم السلوكية الفاسدة من خلال صورة أدبية رفيعة فاضت من ينابيع تجربة ذاتية اجتماعية صادقة حفتها أغصان حانية تناجى شروق القيم الأخلاقية التى جسدتها أراجيزه النابعة من جاحة المجتمع وقد أشاد علامة مصر محمد فريد وجدى بشاعرية أحمد الزين وبمنزلة أراجيزة الأخلاقية فقال فى كلمته التى قرظ بها فلسفة أخلاق أحمد الزين : ( هذا فيض من غيض أسوقه بين يدى ما أنا فيه الساعة من النظر فى أرجوزة الأخلاق الموسومة بقلائد الحكمة للشاعر المطبوع أحمد الزين فقدجمعت فى أقل من ألف بيت ما تشتت من شمل الكلم وما تفرق من درر الحكم ولا غرو فقد نبغ الزين

(١) المرجع السابق ١٢٠ : ١٢٤ .

(٢) سبقت ترجمته .

عبقريًا بطبيعته كبيرًا على حداثته مبرزًا وهو في سن العشرين على فحول المعوقين وهذا المحصول الشعري في هذه المرحلة الشباب إنما هو صدى لإحساس الشاعر بكيانه ووجودة وقد ساعده على ذلك حفظه الكثير من عيون الأدب فجرى على لسانه وصايا أخلاقية سماها ( قلائد الحكمة ) كما شهد لأحمد الزين بهذا الفضل الشاعر المرهف إسماعيل صبري :

| | |
|---|---|
| إذا كنت – يا زين –زين الأدب | فإن كتابك زين الكتب |
| قلائد طوقت جيد البيان | بهن وحليت جيد العرب |
| خلائق تزرى بنفح الرياض | إذا ضحكت من بكاء السحب |
| وما المرء إلا خلاق كريم | وليس بما قد حوى نشب |

كما أشادت د. بنت الشاطيء في جريدة الأهرام الصادرة بتاريخ ١٩/١٠/١٩٥٣م بشعر أحمد الزين الاجتماعي فقالت : إن شاعرية أحمد الزين تبدو في اجتماعياته إذ تسمعه يصف حال مجتمعنا المريض وصفًا بارع النكتة لاذع الفكاهة مرير السخرية ولعلي لم أقرأ فيما طالعت من شعر حديث ما يفوق شعر الزين الاجتماعي دقة تحليل حس وقوة انفعال وبساطة أداء بل أكاد أشك في استطاعة النثر مع تحرره من قيود النظم أن يبلغ ما بلغه شعر الزين في هذا المجال وبحسبي هاهنا أن أنقل أبياتًا من قصائده الضمير ، وغربة النبوغ،وخدعة الثناء تجدفيها الدقيق اللاذع لأمراض ظلت تنخرفيجسم المجتمع(١) ومن الجدير بالذكر أن الأراجير التي جاءت في ديوانه ( قلائد

---

(١) راجع : المجتمع في شعر أحمد الزين – عبد الرحمن خليل – ص ٥٥ : ٦٢ بتصرف. قصص من التاريخ . أ. د. محمد عبد المعنم خفاجي ٢٥٤ : ٢٥٦ بتصرف . مقدمة ديوان أحمد الزين – أ. عبد الغني المنشاوي بتصرف .

الحكمة) وثيقة الصلة بشعره الاجتماعى حيث رصد فيها أمراض المجتمع بوعى فكرى وصياغة أدبية طيبة جعلت علامة مصر محمد فريد وجدى يستبشر بشاعرية أحمد الزين ونبوغه على حداثته ويتوقع أن يكون من حملة لواء العربية وأن يعيد عصر أبى تمام(١) وأبى الطيب(٢) فتكون له إمارة الشعر وما سبق ذكره يمثل الأضواء التى تكشف للمتلقى لبنات البناء العام التى شكلت صورة أراجيز شاعرنا والمراد بالصورة تناسق الدلالات اللفظية والمعنوية وانسجامها فى نسيج تعبيرى حى ينقل بدقة ومصداقية تجربة الشاعر ويحدد نوعها إلى جانب أن الصورة تنقل للمتلقى كيفية الحركة وطبيعة الهيئة ودرجة الصوت عن طريق التجسيم والتشخيص وبهذا تكون

---

(١) هو حبيب بن أوس الحارف الطائى أبو تمام الشاعر الأديب أحد أمراء البيان ولد فى جاسم ( من قرى حوارن بسوريا ) ورحل إلى مصر واستقدمه المعتصم إلى بغداد فأجازه وقدمه على شعراء وقته فأقام فى العراق ثم ولى بريد الموصل له تصانييف منها ( فحول الشعراء ) ، و ( ديوان الحماسة ) ، و ( مختار أشعار القبائل ) الإعلام – الزركلى – ص ١٦٥ جـ٢ – بيروت .

(٢) هو أحمد بن الحسين بن الكوفى الكندى أبو الطيب المتنبى الشاعر الحكيم واحد مفاخر الأدب العربى فى العصر العباسى له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعانى المبتكرة ولد بالكوفه فى محلة تسمى ( كنده ) وإليها نسبته ونشأ بالشام ثم تنقل فى البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام الناس قال الشعر صبيًا .
جذب المتنبى نظر النقاد فكتب عنه الجرجانى ( الوساطة بين المتنبى وخصومه ) والخاتمى ( الرسالة ) الموضحة فى سرقات أبى الطيب وساقط شعره ) ، والبديعى (الصبح المنبى عن حيثية المتنبى) ، والصاحب بن عباد (الكشف عن مساوىء شعر المتنبى) والثعالبى ( أبو الطيب المتنبى وما له وما عليه ) ، و د. طه حسين(مع المتنبى) .
الإعلام – جـ١ – ص١١٥ – طبعة بيروت .

الصورة التى هى الشكل فى النص الأدبى شاملة للعبارة أى الفكرة والخيال والعاطفة والموسيقى كما أنها ترمى إلى تآلف وتناسب الشكل مع المضمون وقد ذهب(١) د. إبراهيم ناجي إلى معنى آخر فى الصورة حيث ذكر أن الشعر يجب أن يكون أسلوبه معبرًا بالصور فيرسم الأسلوب مواقف الشاعر وأفكاره وتجاربه وانفعالاته رسمًا معبرًا قويا واضحًا بحيث تصبح فكرة الشاعر مصوره فى صورة تزخر بالعاطفة والتجربة والانفعال وكأنك أمام مناظر تصوير مؤثرة ومن نبض التعايش الحى لصور الأراجيز الأدبية تتجلى السمات الآتية :

## مطلع الأراجيز :

يوحى استهلال الأرجوزة عند أحمد الزين بطبيعة الموضوع وكيفية تناول الأفكار كما يهدى إلى منهج الشاعر فى عرض صورته الشعرية وبهذا يكون المطلع المرآة الصافية التى تعكس مكنون الأرجوزة وقد وفق شاعرنا فى مطلع أراجيزة حيث استطاع جذب مشاعر المتلقى وإثارة حاسته الدينية والوجدانية والاجتماعية ففى أرجوزة الأخلاق بدأ الشاعر . المطلع الآتى :

الحمـــد لله كمـــا      أولـى الجمـيل منعما(٢)

ثم الصـــلاة أبـدا      علـى النبـى أحمـدا

---

(١) النقد العربى الحديث أ. د. محمد عبد المنعم خفاجى من ص ٤٦ : ٥٣ بتصرف - مكتبة الكليات الأزهري ، الأسلوب - د. أحمد الشايب

أصول النقد الأدبى د. أحمد الشايب طبعة ١٩٦٠م

أسس النقد الأدبى - د. أحمد بدوى - طبعة ١٩٦٤م ، فى النقد الأدبى د. شوقى ضيف - طبعة ١٩٦٢م ، ثقافية الناقد الأدبى د. محمد النهويهى الطبعة الثانية بيروت ١٩٦٩م .

(٢) ديوان أحمد الزين ص١٣٧ .

من حاز حسن الخلق وساد كل الخلق
وبعد فالأخلاق ميدانها سباق

والمتذوق للمطلع يدرك أن الشاعر يترنم بحسن الخلق وجمال الصفات والسلوكيات النبيلة التي يجب أن يتزين بها المسلم الكريم وقد تجلى ذلك من قوله:

من حاز حسن الخلق وساد كل الخلق
وبعد فالأخلاق ميدانها سباق

حيث ربط بين خلق الرسول صلى الله عليه وسلم وبين ميدان الأخلاق ليوحي بأن روافد هذا الميدان لابد أن تنبع من نهر أخلاقيات المصطفى صلى الله عليه وسلم لأن فيها الهدى والشفاء والرحمة والعزة والقوة كما أن فيها سر خلود العلا والمجد والقيم السامية الشريفة التي ترقى بالبشرية في كل زمان ومكان والمتذوق للأرجوزة يجد أنها ارتبطت بعنوانها ومطلعها فقد تغنى المنشيء بالعلا والمجد والمنى وحسن الخلق وحسن الأعمال وقيمة المثل العالية التي تبني كيان الإنسان بعزة وشرف .

وفي مطلع أرجوزة الوفاء قال :

إياك أن تغدر بالميعاد فإنه من خلق الأوغاد(١)
وأحرص على الوفاء في المواعد مهما تقاس فيه من شدائد
وأصبر ولا يثنك عنه ثان فإنه من كرم الإنسان
إن الوفاء سيد الأخلاق تعلو به لو كنت في أخلاق

---

(١) الديوان ص١٤٠ .

والمطلع يوحى بمنزلة الوفاء كما يوحى بحسن آثاره وجمال الالتزام به وأبيات القصيدة نغمة حية فى لحن أخلاقى كريم ينبع من قيم الحق والخير والجمال والمتذوق يشعر بحاسته الأدبية أن المطلع استدعى معانى الأرجوزة وأفكارها ودلالات إيقاعها الوجدانية والأخلاقية ويمتد خيط المطلع إلى أرجوزة ( فى الاستكثار من الإخوان والإقلال منهم ) قال فيها :

| | |
|---|---|
| ليس من الفضائل | أشبه بالرذائل(١) |
| كرغبة الإنسان | فى كثرة الإخوان |
| يقول من لا يعلم | لا تكثرن منهم |
| عليك بالإقلال | تعش رخى البال |

يدل عنوان الأرجوزة ومطلعها على أن شاعرنا يطرح قضيتين منبعهما كيفية العلاقة بالإخوان وصورها التى تنبت بذور الخير وقد استطاع المنشىء بحسه المرهف وقدرته الأدبية وطلاقته التعبيرية به حشد أبعاد رؤيته فى المطلع الذى كشف بوضوح عن المعانى والأفكار وهذا ما يجده المتلقى فى أرجوزته ( أداب المعلم ) .

| | |
|---|---|
| لاتمت العلم بترك بذله | ولاتعلمه لغير أهله(٢) |
| تضيعه كغارس الترجيل | ضلالة منه بأرض النيل |

فالشطر الأول من المطلع كشف للمتذوق أن أحمد الزين سيتغنى بفكرة تتناول الحث على العلم وسبل تحصيله كما يتناول فكرة أخرى محورها لمن

(١) الديوان ص١٤٣ .
(٢) الديوان ص١٤٨ .

يكون العلم ؟ والمتذوق للنص يدرك قدرة المنشيء فى نشر شعاع المطلع فـى رحاب الأرجوزة وكأن كل حرف منه يوحى بصورة لفكرة حيـة تمس إيمانـه بها تغذى من فيض تجربة صادقة دفعته إلى الإيحاء بمطلع أرجوزتـه ( آداب المتعلم والحث لى طلب العلم )(١)

| | |
|---|---|
| لاتله بالمـــــال وبالأولاد | عن طلب العلم والاسترشاد |
| فإه ذخـــائر الإمـــلاق | وثروة تزكو علـــى الإنفاق |
| وعدة مـــن غير الليـــالى | وخير ما ثمرته مـن مـــال |

والمتذوق يدرك أن المننشيء يبين أسباب انشغال الإنسان عن العلم ويحذر منها مع كشف منزلة العلم والتغنى بشرفه والمطلع واضح الألفاظ جيد الاستهلال يوحى بالأفكار التى تجيش فـى وجدان المنشيء وتغذى عواطفـه وبجد المتلقى الكريـم أن المطلـع يتسم بقوة الدلالـة علـى موضـوع النـص . ويمضى موكب الحديث عن المطلع فيشعر المتلقى بقوة التناسق والتجانس بينه وبين الجو النفسى العام للقصيدة ففى أرجوزة ( آداب الإخوان ) :

| | |
|---|---|
| أنصت إلـى حديث مـن تكلمّا | وإن تكن منـــه بذاك أعلمـــا(٢) |
| لا تشـــتغل عنه بما ســـواه | ولا تمـــار فـــى الذى يراه |

يشرق المطلع بنور الود بين الإخوان والأصدقاء وبالأصول التـى تضيء استمرار الوصال وتعمل عى توثيق الروابط الطيبـة والمتذوق للنص يقف على تمام توائم المطلع مع عناصر الصورة بحيوية وإيحاء صادق .

---

(١) الديوان ص١٥١ .
(٢) الديوان ص١٦٥ .

ومما سبق يتبين تمتع مطلع أراجيز أحمد الزين بالوضوح وصدق الإيحاء وعمق الترابط بينه وبين فحوى القصيدة التى يدل نسقها على أنها تنتمى إلى الشعر التعليمى(١) الذى يرمى إلى التهذيب ويوافقه بحر الرجز لما فى نغماته من سرعة صوتية تترجم بيسر وسهولة التزاحم الفكرى التعليمى تشوبه شحنة عاطفية صادقة ملحة تصبو إلى نشر السمو الأخلاقى والوعى الثقافى.

## التكرار(٢) :

أمن أحمد الزين بأن سعادة المجتمع تنبثق أنوارها من التمسك بالقيم العالية وقد أحب شاعرنا مثالية الخلق وسمو السلوكيات ولهذا تفاعل معها تفاعلاً صادقًا ولد عنده الرغبة المفعمة فى سيادتها ولهذا يجد المتلقى ظاهرة التكرار واضحة فى أراجير شاعرنا التى أراد بها توكيد الالتزام ونداء لصحوة أخلاقية تهدى إلى تدعيم أركان المجتمع على أسس طيبة وتكرار شاعرا يبرز فى تكرار الأفكار والمعانى التى يتمنى غرسها ففى قصيدة ( آداب المعلم )(٣) قال أحمد الزين :

---

(١) ظهر هذا الفن فى العصر العباسى الأول على يد صفوان الأنصارى الذى تحدث فى شعره عن فضل الأرض وما تحمل من كنوز ومعادن كريمة وقد ذاع هذا الفن على يد أبان بن عبد الحميد الذى نظم فيه فقها وتاريخًا وقصصًا كثيرًا .
العصر العباسى الأول د. شوقى ضيف الطبعة الثانية ص١٩٠ ، ١٩١

(٢) التكرار : تأكيد للردع والانذار وزيادة التنبيه على ما ينفى التهمة والإيقاظ من سنة الغفلة ليكمل تلقى الكلام بالقبول كما يراد به التواجع أو إظهار التعظيم أو التنويه بشأن المذكور .
أنوار الربيع – تحقيق شاكر هادى شكر – ٣٤٥ : ٣٥٠ طبعة ١٩٦٩م .

(٣) ديوان أحمد الزين ص ١٤٨ .

وكن بمــن علمتــه رءوفًا لكى يرى منك أبا عطوفًا

ولا تسـله فهم ما لا يفهم ولا تقد بالعنف مـن تُعـلِّم

الصـعب بالشــدة لا يقاد فارفق به يسلس لك القياد

يبين المنشيء فى الأبيات السابقة للمعلم المنهج الأخلاقى الذى يجب عليه اتباعه مع تلاميذه ورواده ومنبعه التحلى بروح الأبوة التى تتسم بالعطف والتسامح والرغبة فى وصوله إلى أرقى درجات البناء والإنسانى ليصبح أرفع منه منزلة كما يحب على المعلم احترام قدرة التلميذ بعدم تعريضه للحرج مع تجنب عنف المعاملة ويبين الشاعر أن الرفق هو سيد الموقف حيث يبدد ظلمات الصعاب والأفكار السابقة نداء يحث المعلم على حسن معامله طلابه انطلق بعدها الشعر يترنم بالأخلاقيات التى يجب أن يغرسها المعلم فى تلاميذه من خلال العلوم والمعارف التى تبنى شخصية مسلمة مصرية تفوح بعطر المدنية ولقد اقتنع الشاعر اقتناعًا عظيمًا بأفكاره السابقة ولهذا كررها فى نفس القصيدة فقال :

وانصحه بالتعريض فى الخطاب فإنــه أروض للصــــعاب

لا تظــهرن للصــحاب عيبه فإنه يهتــك حجـــب الهيبــة

فلا أرى فــى كشــفه انتصاحًا لكننــى أرى به افتضـــاحًا

وليس هذا من سـمات الفضـل بل إنه خـرق وسـوء فعـل

يزيده حرصـــًا على الإصرار وإنــه داعيـــة النفـــار

وارفــق به ولا تكن شـــتامًا ولا تقــده للهــدى إلزامـًا

والمتذوق يدرك تكرار الأفكار والمعانى مما يدل على أنها مسيطرة على نفسية الشاعر ولهذا كررها بالتفصيل مع اختلاف الصورة التعبيرية ففى قوله:

ولا تسله فهم ما لا يفهم ولا تقد بالعنف من تَعلَّم

يدرك المتذوق أن الشطر الأول ضم بين طياته الأبعاد التى ترمى إلى احترام قدرة الطالب وعدم التعريض به أو تحقيره لأن هذا سيدفعه إلى الإصرار على الإهمال ويمزق حبال الود بينه وبين أستاذه وهذا ما كرره بالتفصيل فى :

وانصحه بالتعريض ....

لا تظهر للصحاب ....

فلا أرى فى كشفه ....

وليس هذا من ....

وأرفق به ولا تكن شتامًا ....

لقد صور المنشىء الفكرة أولاً مجملة وتعرض لغيرها ثم ألحت عليه الفكرة الأولى تعرضها مفصلة ليبين آثارها التى ظن أن فى إيجازها تقصير يغض من حيوية الصورة وعمق تأثيرها وكما يحدث تكرار المعانى والأفكار فى القصيدة بقصد الحث على الالتزام فقد يحدث بهدف العبرة والعظة والإرشاد ففى قصيدة ( فى الكلام والصمت ) قال شاعرنا :

قل حسنا لتسلما أو استمع لتغنما(١)

ثم تغنى فى نفس القصيدة قائلاً :

واحرص على أن تسمعا أكثر من أن تُسمعا

(١) الديوان ص١٤٦ .

يدرك المتذوق أن المراد بالصورتين دعوة صريحة ترمى إلى سلامة المنطق وحسن القول أو الصمت كما يشعر أن مغزى الشاعر هو العبرة والإرشاد كما يجد المتقى أ الصورة مكررة ولكن بالتأمل يتبين اختلاف دلالة الصورة الأولى عن الثانية ففى الأولى بيان بأن سلامة المنطق وحسنه مرآه لرجاحة العقل واتزان الفكر والثانية بيان بأن سلامة المنطق والحرص فى القول ضرورة اجتماعية تحمى صاحبها وتنير له طريق الرشاد والصواب حتى تتبين الرؤية فيحكم بين أصحاب الجدال حكمًا عادلاً طيبًا وبهذا يكون تكرار الصورة لعلة اجتماعية ووجدانية دليلاً على غزارة المعانى .

وقد يكون التكرار لرفض سلوك أدرك الشاعر أنه السبب فى تحطيم العلاقات الإنسانية مثلما حدث فى قصيدة ( آداب الإخوان )(١) .

| | |
|---|---|
| إياك أن تقـاطع الصديقا | وإن تبت حبـله الوثيقـا |
| فإنه ليس رقيقًـا يعتـق | متـى هفا أو زوجة تطلق |
| وإنه ليـس مـن الآداب | قطيعة الخلان والأصحاب |
| وليس من معايب الإنسان | أقبـح مـن قطيعة الخلان |

عندما يتذوق المتلقى الأبيات السابقة يجد رفض الشاعر لسلوك القطيعة وقد تجسد رفضه فى تكرار المعنى :

إياك أن تقاطع الصديقا ....

وإنه ليـس مـن الآداب      قطيعة الخلان والأصحاب

---

(١) ديوان أحمد الزين ص١٦٥ .

ففى البيت الأول أمعن فى التحذير من القطيعة باستخدام أداة التحذير (إياك ....) ولكن لم يشبع هذا التحذير رغبته فى رفض سلوك القطيعة فقبحه ليمعن فى بث النفور منه وجعله نقص فى آداب الإنسان وأقبح عيوبه :

وإنه ليس من الآداب قطيعة الخلان والأصحاب

وليس من معايب الإنسان أقبح من قطيعة الخلان

ويلاحظ المتذوق الكريم تكرار لفظه القطيعة ثلاث مرات وفى كل مرة تعكس صورة معنوية مختلفة تحث على تجنب هذا السلوك ففى الأولى تقترن بالتحذير وفى الثانية بنقص الأدب وفى الثالثة تدل على القبح .

وبهذا يتبين أن ظاهرة التكرار فى أراجيز أحمد الزين ضرورة معنوية تشبع احتياجه الوجدانى والاجتماعى وقد أراد بها نشر السمو الأخلاقى بين أفراد المجتمع المصرى كما ورد التكرار فى إطار العبرة والعظة والإرشاد والحث المباشر على التمسك بالقيم الأخلاقية وتكراره للمعانى والأفكار يختلف فى الصورة التعبيرية حيث يعكس الأحاسيس والمشاعر والعواطف ويجسد الآثار الناجمة عن السلوكيات بحيوية وصدق مما يجعل ظاهرة التكرار مقبولة.

ومن الجدير بالذكر أن أحمد الزين يصور الفكرة والمعنى بأسلوب موجز ثم يكررهما بالتفصيل الذين يضفى عليها الإشراق .

**الإطناب(١) :**

ومن السمات الفنية التى ظهرت فى أراجيز أحمد الزين بجلاء ظاهرة الإطناب وقد استطاع بها بث رؤيته الأخلاقية وتصوره للرقى من وحى القيم الإسلامية التى تدعم الروابط الإنسانية وتحافظ على كيان البيئة ومن صور الإطناب فى أراجيزه ما ورد فى قصيدة آداب الأصدقاء :

| | |
|---|---|
| أرى القطا أسرابًا | فأطلب الأصحابا(٢) |
| إن الصحاب عدة | ذخيرة فى الشدة |
| هم زينة الإنسان | وسلوة الأحزان |
| هم حلية المغطل | وهم سلاح الأعزال |
| إن نابك الزمان | فإنهم أعوان |
| فتى بلا إخوان | عين بلا إنسان |
| هم نعمة لا تكفر | ومنه لا تنكر |

يتغنى الشاعر بضرورة الأصدقاء وأهميتهم للإنسان فبين أنهم عدة وذخيرة وزينة وسلوة وحلية وسلاح وأعوان ونعمة ومنة والمتذوق للصورة السابقة يدرك أن الإطناب ورد لتوكيد فضل الصديق وبيان أهمية وجوده فذكر شاعرنا بأن الأصدقاء زينة تمنح الفخر وسلوة تذوب بين أحضانها الأحزان وحلية يتباهى بها وحيد الأهل وسلاح يهب القوة والعزة ونعمة جديرة بالحفاظ

---

(١) الإطناب : زيادة اللفظ على المعنى لفائدة أو هو تأدية المعنى بعبارة زائدة من متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده .

جواهر البلاغة – أحمد الهاشمى – طبعة ١٩٦٣م المطبعة التجارية ص٢٢٦ .

(٢) الديوان ص١٦٠ .

عليها ومنة تستحق الحمد والشكر ويشعر المتذوق مما سبق أن ظاهرة الإطناب فى أراجيز أحمد الزين تهدف إلى توضيح الفكرة وتقرير المعنى والترغيب فى الإيمان بفضل الأصدقاء وقد ورد الإطناب جيد الصورة خصب التعبير صادق الإيحاء يثير فى المتلقى حرارة المشاركة فلا يشعر بالسأم أو الملل مما يدل على حيوية نابعة من تفاعل المنشىء مع فكرته التى دفعته إلى الإطناب .

**الاستطراد(١) :**

برزت سمة الاستطراد فى أراجيز أحمد الزين وقد نبعت نتيجة لرغبة الشاعر الصادقة فى شحذ الفكر بكيفية السلوكيات الطيبة التى تشرق على المجتمع بجمال الخير وبركة الاستقرار النفسى والاجتماعى وقد ورد الاستطراد فى أراجيز الشاعر بصورة مقبولة ترمى إلى توثيق الأفكار والمعانى ففى قصيدة ( آداب المجالس )(٢) تغنى عن الأصول التى يجب الالتزام بها وتمثل السلوكيات الطيبة وقد استهل الشاعر الأرجوزة بالتحذير فقال :

إياك أن تستخدم الجليا ... ولو تكون السيد الرئيسا

واستمر فى سرد السلوكيات الفاضلة والأخلاقيات النبيلة إلى أن ترنم بقوله :

من أكثر المجىء والذهابا ... إلى الصحاب ضيع الصحابا

والناس من داناهمو لا يكرم ... فادن قليلاً وتسل عنهمو

---

(١) الاستطراد : هو أن يخرج المتكلم من الغرض الذى هو فيه إلى غرض آخر لمناسبة بينهما ثم يرجع فينتقل إلى إتمام الكلام الأول .
جواهر البلاغة - أحمد الهاشمى - المكتبة التجارية طبعة ١٩٦٣م ص٣٦٥ .

(٢) ديوان أحمد الزين ص١٥٧ .

| | |
|---|---|
| ولا تكــن كلا علــى الإخــوان | فإنه أدعـــى إلــى الهجــران |
| واحــذر مــن الإعجـاب والمراء | واتـق ذكـر الأكـل والنســاء |
| وشـــارك القــوم إذا ما طــربوا | مـن مطـرب وأعجب إذا ما عجبوا |
| ولا تشـــذ عنهمـــو فــى مذهب | لكن إذا لم ترض شـــيئًا فأعـــزب |
| وودع القــوم علــى اشــتياق | إليهمـــو إن كنـت ذا أخـــلاق |
| ولا تودعهـــم وداع القــــالى | فإنه مــــن خـــلق الأرذال |

وبالوداع المشرق الذى يحفه شوق إلى لقاء منير يظن المتلقى أن شاعرنا ختم الأرجوزة ولكن أحمد الزين استطرد بعد الوداع فقال :

| | |
|---|---|
| ولا تكــن لهم ذلول المنكب | وحــاذر الإبعــاد بالتجنب |
| إياك والإمعــان فــى المتاع | فإنه مــن خــلق الرعــاع |
| ولا تمــد الطـرف للفراش | ولا إلـــى الآثاث والــرياش |
| ولا تقــل بكم شــريت ذاكا | فربمـــا استعير ما أدراكا ؟ |
| إياك والغيبــة فــى المحافل | فإنهـــا منقصـــة للفاضـــل |
| فإنمـــــا أنت إذا فعـــلت | تنبــىء عن ضعفك لو عقلت |

ويستمر شاعرنا فى التغنى بالسلوكيات التى يجب أن يتزين بها الجليس وتتجسد فى أدب الكلمة ولطف الحركة وحياء النظرة بغض البصر .

وعندما يعيش المتذوق فى ملامح استطراد أحمد الزين يجد إنـه يضفى على الصورة الشعرية سحر الحيوية .

**الاقتباس(١) :**

يسبغ الاقتباس على الصورة الأدبية الحيوية والجمال ومن اقتباس : شاعرنا اللطيف ما ورد فى أرجوزة (آداب عامة للأصدقاء )(٢).

وضن بالإخاء قبل الخبر فإنما الأخلاق رق الحر

وحب من أحببته هو ناما عساك أن تهجره يومًا ما

والمعنى الذى يرمى إليه الشاعر الاتزان فى المشاعر وتجنب المبالغة فى حب الصديق أو بغض العدو والصورة مقتبسة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم " أحبب حبيبك هو ناما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما )(٣) .

**التضمين(٤) :**

ورد التضمين فى أراجيز أحمد الزين بصورة طبيعية تشعر المتذوق بأن ما جاء به من تضمين ما هو إلا ترجمة عن إيمان عميق تسترجع جذورًا ثابته من روضة الماضى وتعلن استمرار المنهج الموروث لتفتح فكره وذكاء حسه فقد تغنى أحمد الزين بقوله :

---

(١) الاقتباس : هو أن يضمن المتكلم منثورة أو منظومه شيئًا من القرآن الكريم أو الحديث على وجه لا يشعر بأنه منهما وقد أجاز البلاغيون تغير اللفظ المقتبس بزيادة فيه أو نقص أو تقديم أو تأخير . أحمد الهاشمى ص٤١٥ جواهر البلاغة .

(٢) الديوان ص١٦٢ .

(٣) أدب الدنيا والدين - الماوردى - ص١٧٦ : ١٧٨ .

(٤) التضمين : هو أن يضمن الشاعر كلامه شيئًا من مشهور شعر الغير وأحسن التضمين أن يزيد المضمن فى كلامه نكتة لا توجد فى الأصل كالتورية والتشبيه جواهر البلاغة - أحمد الهاشمى - ص٤١٦ .

واعمل بما أنت إليه ترشـــد وأنته عمـــا أنت عنه تبعـــد(١)

لا تحم وردًا أنت منه ناهــل ولا تحـــله وأنت عاطـــــل

والمعنى السابق تغنى به أبو الأسود الدؤلى فقال :

( لا تنه عن خلق وتأتى مثله )(٢) .

فقد ترنم أبو الأسود بفكرة أخلاقية تحافظ على كيان الإنسان وهى فكرة ثابته تمس الأصول الأخلاقية فى كل زمان ومكان ولهذا ضمنها أحمد الزين أبياتـه الأخلاقيـة وتغنـى بهـا مـن وحـى قيثارتـه الشـعرية الواعيـة المرهفـة والمتذوق لصورة التضمين يجد أن شاعرنا أخذ المعنى وأضـاف إليـه صـورة شعرية تنم عن خصوبة خياله فقال :

لا تحم وردًا أنت منه ناهــل ولا تحـــله وأنت عاطـــــل

فصور كيفية تجنب الإنسان السلوكيات الفاسدة التى يحاربها واعتمد فـى صورته على إبراز طبيعة الحركة مما يدل علـى أن شـاعرنا متجدد الملامح الشعرية يستقى من الماضى ويعبر بروح الحاضر الذى يغذى الشـاعر بـالفكر والأحاسيس حتى يخرجها المنشىء بوحـى رؤيتـه إلـى صـورة ناطقـة بـالخلق والإبداع وقد نتج من معايشته للقرآن الكريـم وأحـاديث المصطفى صلـى اللـه عليه وسلم انتشار الملامح الإسلامية السامية التى تجعل من أراجيزه بذرة مـن بذور الأدب الإسلامى الواقعى ويجد المتذوق الكريم هذه الملامح منثورة بيـن أراجيزه وعلى سبيل المثال ما ورد فى أرجوزته آداب متفرقة(٣) .

---

(١) ديوان أحمد الزين ص١٤٩ .

(٢)

(٣) آداب متفرقة ص١٨٣ .

| | |
|---|---|
| مما حفظناه من الآثار | وما سمعناه من الأخبار |
| أن أمرأ أتى إلى محمد | يسأله عن دينه ويهتدى |
| فأدركته رعدة وهيبه | لما رأى محمدًا وصحبه |
| فإنه كان مهيب المحضر | إن تلقه كأنه فى عسكر |
| قال له النبى : ماذا ترهب | منا وقد جئت إلينا ترغب |
| هون عليك ما أنا جبار | ولا أنا بين الورى قهار |
| أمى كانت تأكل القديدا | أكرم بهذا خلقًا حميدًا |
| وهكذا كل عظيم القدر | دان إلى الناس قليل الفخر |

وقد كان لهذه اللمسات الإسلامية روعتها فى الإيحاءالأخلاقى والوجدانى مما دفع إلى إحداث المشاركة بين المتلقى والصورة التى تناولت بحيوية الهيئة فى ( مهيب المحضر ) ، و ( كأنه فى عسكر ) والحركة فى (آدركته رعده ) كما بينت الطبيعة الصوتية للحوار فى ( ماذا ترهب ) ، و(هون عليك ما أنا جبار ) .

**الحكمة :**

يرمى مقصود الحكمة إلى القول البليغ الموجز الصائب الذى يصدر عن عقل وتجربة وخبرة بالحياة ويتضمن حكمًا مسلمًا تقبله العقول وتأنس به الأفئدة وتنقاد له النفوس والمشاعر وقد كان للعرب فى الجاهلية حكماء عرفوا بأصالة الرأى ودقة التفكير والفهم الصحيح للحياة وأحداثها وتجاربها وتنطلق ألسنتهم بالحكمة الرائعة كلما حدث حادث أو نزل خطب أو أخذ رأيهم فى مسألة(١) وقد انتشرت الحكمة فى أراجيز أحمد الزين بمالها من بعد نظر

(١) مادة / حكم / لسان العرب

وحكم صائب وتجربة صادقة واعية وكان انتشارها استجابة لطبيعة الأراجيز الأخلاقية ويوثق هذا المفهوم اطلاق شاعرنا عليها اسم ( قلائد الحكمة ) ويجد المتذوق الكريم أن فحوى الأراجيز نبع من وحى البيئة المصرية وترجم النداء الفكرى والاجتماعى والوطنى لشاعرنا الذى عبر بدوره عن أمال أبناء مصر فى إصلاح حال البلاد ولن يتحقق إلا بصحوة أخلاقية واعية تفجرها رغبة صادقة ويتبين للمتذوق منهج الأرجوزة وعناصرها حيث يستهلها شاعرنا بمطلع يدل على طبيعة الموضوع ويعقب بعرض الأفكار والمعانى ثم يختمها بالحكمة التى توافق ما عالج من موضوع انبثقت منه الأفكار والمعانى الأخلاقية ففى أرجوزة ( الوفاء ) افتتحها بقوله :

إياك أن تغدر بالميعاد　　　فإنه من خلق الأوغاد(١)

وختمها بقوله :

من لم يصن ما عهد إلا له　　　فليس مأمونا على سواه

وفى أرجوزة ( آداب المعلم )(٢) افتتحها بقوله :

لاتمت العلم بترك بذله　　　ولا تعلمه لغير أهله

---

ومن الممكن أن ترد مادة ( ح ل م ) فى اللغات السامية إلى معنى المنع والفصل ومن فصل الشيء ومنعه يشتق معنى التوضيح والتمييز والحكم والحكمة أى العلم والتفقه أو بعبارة أدق القول الفصل .

راجع قصة الأدب فى الحجاز فى العصر الجاهلى أ. د. محمد عبد المنعم خفاجى ، د. عبد الله عبد الجبار . طبعة ١٩٨٠م – مكتبة الكليات الأزهرية . ص٢٥٩ بتصرف .

(١) الديوان ص١٤ .

(٢) الديوان ص١٤٨ .

وختمها بقوله :

لا تزدهيك زينة الحياة فكل مجموع إلى شتات

وكل نعمة إلى زوال لابد للظل من انتقال

وفى أرجوزة ( آداب الأصدقاء )(١) :

افتتحها بقوله :

أرى القطا أسربًا فاطلب الأصحابا

إن الصحاب عدة ذخيرة فى الشدة

وختمها بقوله :

ما أقصر الأياما وأسرع الحماما

فاغتنم الزمانا وواصل الإخوانا

والمتذوق لخواتيم الأراجيز يدرك أن ما ورد بها من حكمة يلقى الضوء بجلاء على طبيعة الموضوع وكيفية علاج المنشىء له كما يدرك درجة حس الشاعر وصدق تجاوبه وحيوية فكره وقد اتسمت حكمته بالوضوح وقرب المأخذ مع عمق المعانى وخصوبة الصورة ولهذا تتصف أراجيزه بحسن الابتداء وبراعة المطلع(٢) وحسن

(١) الديوان ص١٦٠ .

(٢) حسن الابتداء : هو أن يجعل الكلام رقيقًا سهلاً واضح المعانى مستقلاً عما عداه مناسبًا للمقام بحيث يجذب السامع إلى الإصغاء . قال ابن رشيق : إن حسن الافتتاح داعية الإنشراح ومطية النجاح وتزداد براعة المطلع حسنًا إذا دلت على المقصود بإشارة لطيفة وتسمى براعة استهلاك وهو أن يأتى النظام أو الناثر فى ابتداء كلامه بما يدل على مقصوده منه بالإشارة لا بالتصريح .

الانتهاء وجمال الختام(١) ومن الجدير بالذكر أن أراجيز أحمد الزين تمتعت بسحر الطبع حيث تجنب تكلف البديع الذى شاع لدى كتاب وشعراء عصره مما أدى إلى تدهور الأدب فلم يأت البديع فى أراجيزه إلا بصورة نادرة مثل قوله :

العلم لن يعطى منه قله إلا لمن يعطية منه كله(٢)

فقوله ( قله – كله ) من الجناس(٣) الذى يشبع نغمات رقيقة تكسب المعنى حيوية ونضارة وقد ضاعف من لطف نغمات أراجيز شاعرنا اتفاق صوت الروى مع صوت الحرف الأخير من الشطر الأول للبيت واختلاف أصوات الروى فى أبيات الأرجوزة وعلى سبيل المثال :

| | |
|---|---|
| ذلل قياد النفس للتعلم | واخفض جناح الذل للمعلم |
| فلا ينال العلم بالتعالى | فالسيل حرب للمكان العالى |
| واعمل بما يراه لا تناضله | وكن له أرضًا يجدك وابله |
| إياك أن تخجله إن ضلا | واجعل له عذرًا إذا مازلا |
| فأى عضب صارم لا ينبو | وأى طرف سابق لا يكبو |
| لا تؤذه بكثرى السؤال | ولا تسابقه إلى المقال |
| وأبغ ثراء العلم حيث كانا | فالله لم يخصص به إنسانًا |

---

(١) وحسن الانتهاء ويقال له حسن الختام وهو أن يجعل المتكلم آخر كلامه عذب اللفظ حسن السبك صحيح المعنى مشعرًا بالتمام حتى تتحقق براعة المقطع بحسن الختام. جواهر البلاغة – أحمد الهاشمى – طبعة ١٩٦٣م ص٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(٢) الديوان ص١٥٢ .

(٣) الجناس هو تشابه لفظين فى النطق واختلافهما فى المعنى . جواهر البلاغة – أحمد الهاشمى طبعة ١٩٦٣م ص٣٩٦ .

| | |
|---|---|
| لا تزدهيك شهرة الإنسان | ولا تقل أخذ عن فلان |
| فكم رفيع الذكر وهو جاهل | وكم إمام فيه وهو خامل(١) |

واختلاف صوت الروى فى الأرجوزة يوحى بتنوع الأحاسيس واختلاف المشاعر وغزارة الأفكار وتعددها وقد ساعدت سرعة أنغام بحر الرجز على حدوث حالة الإشباع الوجدانى والاجتماعى لدى الشاعر مما أدى إلى إجادته الفنية فى عرض القيم الأخلاقية عبر صياغة أدبية مشرقة الديباجة قوية النسج لطيفة العرض جيدة المعانى . فقد كانت أراجيز أحمد الزين أنشودة حية فى ملحمة القيم الأخلاقية(٢) السامية تميزت بالتناسق التعبيرى والانسجام التشكيلى الذى تدفق من سهولة الألفاظ ووضوح العبارة وخصوبة الخيال والصدق العاطفى الذى نبع من إيمان الشاعر بفكرته وقضايا مجتمعه الدينية والقومية والوطنية والمتلقى لأراجيز شاعرنا يدرك قدرته الفنية على توظيف الألفاظ مما أدى إلى قوة الأداء الأدبى كما يدرك قدرة أحمد الزين على إثارة مشاعر المتذوق من خلال الدلالات الاجتماعية

---

(١) الديوان ص١٥٤ .

(٢) لأبى العتاهية أرجوزة سماها ذوات الأمثال ضمنها كثيرًا من الحكم والأمثال وتبلغ أربعة آلاف بيت ومنها:

| | |
|---|---|
| حسبك مما تبتغيه القوت | ما أكثر القوت لمن يموت |
| الفقر فيما جاوز الكفافا | من أتقى الله رجا وخافا |
| ما انتفع المرء بمثل عقله | وخير زاد المرء حسن فعله |
| ما زالت الدنيا لنا دار أذى | ممزوجة الصفو بأنواع القذى |
| إن الشباب حجة التصابى | روائح الجنة فى الشباب |

البناء الفنى للقصيدة العربية أ. د. محمد عبد المنعم خفاجى – مكتبة القاهرة بالأزهر الطبعة الأولى ص٨١ .

والفكرية والسياسية يضاف إلى ما سبق أن أراجيز شاعرنا تتميز بسمة الواقعية(١) التعبيرية الصادقة حيث استمدت روافدها من حياة المفتن والمجتمع ولهذا عكست بجلاء بعض الملامح الحية الذاتية والاجتماعية للمنشيء.

كما أن المتذوق للأراجيز يجد تمتعها بالواحدة الموضوعية حيث تترابط المعاني والأفكار لتترنم بموضوع واحد تتشابك عناصره بحيوية وجدانية واجتماعية وإنسانية سامية تبرزها صورة أدبية ناطقة وعلى سبيل المثال أرجوزة صحبة الكتاب :

## صحبة الكتاب

| | |
|---|---|
| إن عـزت الأصـحاب | وقـلت الأحبـاب(٢) |
| وأعـوز النصـير | وأبطـأ المجيـر |
| وكثـر اللئـام | وقـلت الكـرام |
| وغـاض مـاء الـود | وفـاض نكث العهـد |
| حتـى ذوى الإخـاء | وأمحـل الوفـاء |

(١) تشير كلمة الواقعية إلى المذهب الواقعي أو الاجتماعي الذي يرى أن الأدب والفن ليس مما تجود به قرائح الأفرراد وأن مصدره الجماعية وروح الشعب فهو ثمرة إحساسها ونتيجة تفكيرها والواقعية الواقع أو شريحة منه وقعت في المجتمع كما هي فإذا كان وجه المجتمع شائها أو قبيحًا أو ذميمًا توجهت إلى ترقيقه أي إنها تعلن في فنية أدبية بالمضمون التقدمي .

راجع : الأدب المقارن – غنيمي هلال . الطبعة الثانية ص٣٩٢ ، قضايا النقد الأدبي الحديث أ.د محمد السعدي فرهود ص١٥٧ ، النقد العربي الحديث ومذاهب النقد أ. د. محمد عبد المنعم خفاجي ١٢٧ وما بعدها بتصرف.

(٢) الديوان ص١٧٤ .

| | |
|---|---|
| فلا تـــرى صــفيًا | ولا أخــا وفيـــًا |
| عــونًا علــى الزمــان | ومعقــل الإخــوان |
| إن تـدعه لم يأتــل | ليـس بنكـس ذمــل |
| فاتــرك الأصــحابا | واصــطحب الكتــابًا |
| فهو الجليس الصــالح | وهو الصــديق الناصــح |
| وداده لا يخـــلق | وحبــة لا يمــزق |
| وحبــله موصـــول | إن قاطع الوصــول |
| ليس يرائى صــاحبًا | ولا يــرد طــالبًا |
| يزيد فــى نــواله | ما زدت فـى ســواله |
| يجزل فــى الإحســان | وليــس بالمنــان |
| لا يســتعيد ســائلاً | ولا تــراه ماطــلا |
| مــؤدب لا يصــغرك | ومحســن لا يحقــرك |

وتستمر الأرجوزة تتغنى بصحبة الكتـاب فتبرز محاسنه التـى يتواجهـا الوفاء الجميل والود المتجدد والعطاء النبيل والمتذوق للأراجيز يجد استقلال كل أرجوزة بموضوعهـا وتناسقها وانسجامها الفكرى والوجدانى مـن نغمـة المطلع إلى نغمة الختام تتشرعبيرها من خلال أصوات موحية بطبيعة الموضوع ودرجة تفاعل الشاعر مع الصياغة التشكيلية النابغة من إيمانه النفسى بفكرته .

وبعد :

فـأراجيز أحمد الزين إسلامية المنبع والروح أزهرية زهراء تفـوح بالروح المصرية ضمـت بين طياتها القيم الرفيعـة والسلوكيات النبيلة عبر نسيج تشكيلى بديع جعلها نموذجًا حيًا للأدب الإسلامى المتميز الذى تشبع مـن روح الأزهر الشريف .

## نتائج وتوصيات البحث

البحث الأدبى ثمرة من ثمار إيمان الباحث بظاهرة ما تفاعل معها بصدق حيث تنفس أفكارها ونبض قلبه بوحى أبعادها حتى أصبحت تسرى فى عروقه مسرى الحياة وقد كان بحثى (القيم الأخلاقية فى أراجيز أحمد الزين) استجابة لنداء عميق ينادى القيم الإسلامية التى يتفرع منها غصون الأخلاقيات الرفيعة فتظلل المجتمع الإسلامى بظلال السعادة الوارفة وتغرس مشاعر الحب والولاء والانتماء للإسلام وللوطن المصرى العزيز وللأزهر الشريف الذى يعد منبع البناء الدينى الوجدانى والاجتماعى والفكرى لأبناء الوطن وبدوره الإيجابى نستطيع حماية الإسلام والحفاظ على عزته ليقف بصلابة ووعى وبصيرة ضد أى تيار يهدف إلى حجب الرؤية الصحيحة للقيم الإسلامية الناضرة التى وضعها الحق جل علاه لتكون أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خير أمة أخرجت للناس ولما سبق تأججت فى نفسى الرغبة فى إعداد بحث أدبى يتغنى بالقيم الأخلاقية ويكون منبعه أحد أبناء الأزهر الشريف ليتجلى دوره فى البناء الإسلامى الرشيد ويكون دعوة لأبناء الأزهر لتجديد عهد الرواد الذين أعلنوا أن الأزهر موطن الوطنية الحرة والقومية الواعية وتاج الفكر الإسلامى وقد وفقنى الحق سبحانه لضالتى فوقع اختيارى على أراجيز أحمد الزين الشاعر الإسلامى الأزهرى المرهف الحس المتوقد الوجدان الذى ثار على اختلال معايير المنهج الأخلاقى الناتج من تعرض مصر الحبيبة لطغيان الإنجليز وفتن .. الدخيل فترجم رفضه للفساد ورسم المنهج السوى المتمثل فى القيم الإسلامية الشريفة التى ترقى بالمجتمع فى ملحمة حية تناولت شيمة الوفاء وعلاقة المعلم بالمتعلم والصديق بالأصدقاء والأخوان وآداب المجالس وصحبة الكتاب وحسن معاملة الناس وكانت

ملحمته مناجاة لصحوة دينية اجتماعية أخلاقية تتميز فيها الأصول الإسلامية والعربية مع السمات المصرية العريقة .

ولما كان مجتمعنا الإسلامي المصرى يتعرض لغزو فكرى دخيل وتيار اجتماعى غريب يرمى إلى ذبذبة الكيان المصرى وبالتالى تشويش الرؤية الإسلامية بين أبناء مصر باعتبارها منارة للإسلام كان من واجبى تجديد ميثاق أحمد الزين وإبراز عناصر أراجيزه الأخلاقية بقصد التحذير من تناسى قيمنا وسط خضم متلاطم الأمواج وسحب داكنة هدفها تضليل النشء وجذبهم إلى ساحة الفوضى التى تنتهى بهم إلى الهلاك وإذا كان واجبى الدعوة إلى الفضيلة عبر الأبحاث الأدبية فإن هذا الواجب يضاعف لأننى من أبناء الأزهر الذى يثمر ثمار الخير المتمثلة فى غصنين يرفرف كل منهما على الآخر أولهما رواده من الكتاب والشعراء والمفكرين وثانيهما من الباحثين الذين يحاولون مناقشة أعمال الرواد مناقشة موضوعية تكشف الستار عن أهداف أعمالهم التى تمثل دعوة سامية تجسد درجة الاعتزاز بالتراث كما تبلور درجة الولاء الرواد الذين يرسمون بأقلامهم الشريفة سبل الحياة الراقية التى لا يكتشف مكنونها إلا عن طريق رواد البحث وبهذا يتبين أن نهر العطاء الأدبى ينبثق من رافدين أولهما المنشىء الذى خلق بإبداع الأثر الأدبى والمتذوق الذى يقوم بتحليل الأثر كما يتبين أن للأزهر الشريف ريادة التجاوب مع التجارب الإنسانية والاجتماعية ونتضرع إلى الله أن يكون المنبع الخصب للباحثين الذين ينقبون عن أعمال رواده حتى تتكامل دائرة الضوء التى تربط بين الرواد والباحثين والمتلقى للقيم الأخلاقية الواردة فى أراجيز أحمد الزين يجد أنها نداء فطرى ودعوة خالدة يجددها الزمان بصرخته العالية ضد الانحرافات التى تحدث نتيجة لتغلغل شوائب دخيلة تصدع جدار

الاستقرار الاجتماعي مما يدفع إلى الاضطرابات الأخلاقية كما يجد المتذوق أن نتائج البحث تكشف النقاب عما يأتى :

١ – تجاوب أبناء الأزهر بصدق وحيوية مع أحداث المجتمع مما يدل على أن الأزهر قلب مصر النابض .

٢ – تجسد سمة الواقعية فى أراجيز أحمد الزين والتى وافقت طبيعة الموضوعات الأخلاقية .

٣ – أن موضوع القيم الأخلاقية من الموضوعات الحية التى تناسب فكر النشء وتساعد على تصفية أفكارهم من شوائب التيارات الأجنبية التى تذبذب جذور العقيدة السوية ولهذا يجب أن تعرض القيم عبر الآثار الأدبية الجيدة التى تتسم بالصدق والوضوح والالتزام الفكرى والفنى .

٤ – أن القيم الأخلاقية الواردة فى أراجيز أحمد الزين تنتمى إلى الشعر التعليمى الذى يرمى إلى تنمية الفكر وتغذيته بالمعارف المختلفة كما يرمى إلى الوعظ والإرشاد والنصح .

٥ – أن القيم الأخلاقية التى تغنى بها أحمد الزين دعوة إسلامية تعمل على حماية سلوكيات الشباب وتحذرهم من الفوضى التى تسبب اقتلاع جذورهم .

٦ – ضرورة الاهتمام بالمعلم الأزهرى خاصة والمعلم المصرى عامة وإعداد دورات تدريبية تعليمية وتربوية هدفها الارتقاء بالمستوى السلوكى للمعلم لأنه القدوة الحية للتلاميذ والطلاب .

٧ – الاهتمام بمستوى الطالب الأزهرى خاصة والمصرى عامة بعقد ندوات توعية هدفها توعيته بأهداف العلم وقيمته وبالأصول الأخلاقية الواجب

اتباعها مع معلمه وتعتمد هذه الأصول على الاحترام الجميل والتقدير النبيل لمجهود المعلم .

ومن الجدير بالذكر أن دعوة الاهتمام بالمعلم والمتعلم الأزهرى صرح بها البحث من خلال تغنى أحمد الزين بالأصول الأخلاقية والتعلمية لهما وقد جسد بصدق وحيوية هذه الأصول لأنه من أبناء الأزهر الذين شاهدوا بعين فاحصة واعية عيوب القاعدة التعلمية بالأزهر ولعل دعوة أحمد الزين عبر القيم الأخلاقية نداء لتصحيح القاعدة الذى بزغ نورها الآن .

٨ – تنتمى أراجيز أحمد الزين إلى الأدب الإسلامى الذى يهتم بغرس المثل السامية والسلوكيات الشريفة النابعة من القيم الإسلامية العالية .

٩ – يقترح البحث تدريس هذه القيم والسلوكيات الواردة فى ديوان أحمد الزين وغيره بالمراحل الأولى للتعليم ( الابتدائية والإعدادية ) حيث تخصص لها الحصص الدراسية المستقلة تعرض فيها ما يتميز من الآثار الموروثة بالدعوة إلى الفضيلة إلى جانب الأعمال الأدبية الحديثة ويجب أن تنبع هذه الآثار من القيم الإسلامية حتى تتسم بطابع الجلال كما يقترح البحث تخصيص محاضرات فى الكليات الجامعية النظرية والعلمية حتى لا تجف عيون المعنويات ويتلاشى السمو الوجدانى فيفقد الشباب اتزانه لطغيان الماديات البحتة وشبابنا الآن فى حاجة ملحة إلى توعية واقعية صادقة تنبثق من القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم حرصاً عليه من التيارات الفاسدة .

١٠ – يجب على الكتاب والشعراء إعداد الأعمال الأدبية التى تعرض بموضوعية قضايا العصر الأخلاقية وطرح الحلول التى تتفق مع الشريعة الإسلامية .

١١ - تخريج دعـاة يتسـمون بحسـن العـرض ولطـف المناقشـة والذكـاء الاجتماعى القادر على جذب شبابنا الذى يسقط صريعاً بين المثاليات والماديات ويقع هذا على عاتق الأزهر الذى يجب عليه تخريج دعـاه لا يكون مقرهم المساجد فحسب بل يجب توظيفهم بـالأجهزة المختلفـة للدولة وبصفة شرعية فى المجالات الثقافية والاجتماعية والزراعيـة والصناعية ويتم هذا فى إطار تعاونى متكامل بين الأزهر الشريف والإعلام المصـرى حرصاً على سلامة الدعاية التى تتفق مع القيم الإسلامية .

١٢ - يجب على دعاة الأزهر الإلمام بالأعمال الأدبية التى تتناول قضايا المجتمع المصرى والعالمى حتى يسهل عليهم تقدير أبعادها الأخلاقية وأثرها على النشء والشباب .

١٣ - يجب على المنشىء ارتشاف روافد نتاجه الأدبى من وحى الشريعة الإسلامية كما يجب على الباحث تحليل الأعمال الأدبية وتقدير قيمتها الوجدانية والاجتماعية والفكرية ومن وحى تعاليم الإسلام لأنه شريعة الأخلاقيات الفاضلة والسلوكيات النبيلة والقيم الخالدة خلود الإسلام .

١٤ - أن القيم منهج الله بثها فى كتابه المبارك رحمة لعباده ولهذا يجب عليهم التمسك به والعمل بما فيه إيماناً بقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وإن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذالكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾(١) صدق الله العظيم

---

(١) سورة الأنعام : الآية ١٥٣

# المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أ. د. إبراهيم أنيس . دلالة الألفاظ . مكتبة الأنجلو ١٩٩١م .
- ابن حزم - الأخلاق والسير - تحقيق أ. د. الطاهر مكى .
- ابن رشيق - العمدة - دار الجيل لنشر - بيروت .
- ابن عبد ربه - تأديب الناشئين - تحقيق محمد إبراهيم - مكتبة القرآن الكريم .
- ابن ماجة - سنن ابن ماجة - طبعة بيروت .
- ابن مسكويه - تهذيب الأخلاق - مطبعة الجمالية بمصر .
- ابن منظور - لسان العرب - طبعة دار المعارف .
- الألوسى - روح المعانى - طبعة بيروت .
- البخارى - صحيح البخارى - دار إحياء الكتب العربية .
- أحمد الزين - ديوان أحمد الزين - مطبعة لجنة التأليف والنشر ١٩٥٢م.
- أحمد الشايب - أصول النقد الأدبى - الطبعة السادسة ١٩٦٠ .
- د. أحمد الشرباصى - فى عالم المكفوفين - الطبعة الأولى١٩٥٩م .
- د. أحمد عكاشة - الطب النفسى المعاصر - الطبعة الرابعة .
- د. أحمد هيكل - تطور الأدب الحديث فى مصر - الطبعة الرابعة ١٩٨٣م - دار المعارف .
- إحسان عباس - تاريخ النقد عند العرب - بيروت ١٩٨١م .
- أرسطو - فى الشعر - تحقيق د. شكرى عياد طبعة ١٩٦٧م .

- أرنولد بنت - الذوق الأدبي - ترجمة د. علي الجندي - دار النهضة بمصر - طبعة ١٩٥٧م .

- أنا استازي ، جون فولي - سيكولوجية الفروق بين الأفراد والجماعات الطبعة الأولى - ١٩٥٩م .

- بروكلمان - تاريخ الأدب العربي - ترجمة د. عبد الحليم النجار - دار المعارف بمصر طبعة ١٩٦٢م .

- الترمذي - سنن الترمذي - دار الفكر - بيروت .

- جورجي زيدان : تاريخ التمدن الإسلامي - مطبعة الهلال بمصر ١٩٠٢م ، تاريخ آداب اللغة العربية طبعة ١٩٥٧م .

- حسن إبراهيم - تاريخ الإسلام السياسي - الطبعة الثالثة ١٩٥٥م .

- د. حسين نصار - ديوان ابن الرومي-هيئة الكتاب - طبعة١٩٧٤م .

- الرافعي - تاريخ الحركة القومية - مكتبة النهضة طبعة ١٩٣٠م .

- رضا كحالة - معجم المؤلفين - بيروت .

- الزركلي - الأعلام - بيروت .

- د. سامية عبد الرحمن-القيم الأخلاقية-الطبعة الأولى- ١٩٩٢م مكتبة النهضة .

- سيد قطب - النقد الأدبي أصوله ومناهجه - طبعة ١٩٩٣م - دار الشروق.

- شكري فيصل - المجتمعات الإسلامية - بيروت .

- أ. د. شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي - دار المعارف - الطبعة العاشرة .

- فى النقد الأدبى - دار المعارف بمصر ١٩٦٢م .
- العصر العباسى الأول - دار المعارف - الطبعة الرابعة .
- العصر العباسى الثانى - دار المعارف - الطبعة الثالثة ، الأدب العرب المعاصر فى مصر - دار المعارف - الطبعة الرابعة .
- د. صلاح قنصوه - نظرية القيم فى الفكر المعاصر - الطبعة الثانية ١٩٨٤م - مكتبة مدبولى .
- د. طه حسين - فصول فى الأدب والنقد - دار المعارف ، الطبعة الرابعة.
، من حديث الشعر والنثر - دار المعارف - طبعة ١٩٦١م .
- عباس العقاد - قيم وأفكار إسلامية - دار الوفاء للنشر .
- عبد الرحمن خليل - المجتمع فى شعر أحمد الزين - نشر المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .
- د. عز إسماعيل - الأسس الجمالية فى النقد العربى الطبعة الأولى ١٩٥٥م .
، التفسير النفسى للأدب - طبعة ١٩٥٥م .
- د. على إبراهيم - فصول فى الأدب والنقد - طبعة ١٩٧٩م .
- د. فؤاد البهى - الأسس النفسية للنمو - دار الفكر العربى - الطبعة الرابعة .
- د. ماهر حسن - المذاهب النقدية - مكتبة النهضة .
- الماوردى - أدب الدنيا والدين - الطبعة الرابعة .
- د. محمد إبراهيم - القلق الإنسانى - مصادره وتياراته - طبعة ١٩٨٠م .

- أ. د. محمد عبد المنعم خفاجي : النقد العربي الحديث ومذاهبه - مكتبة الكليات الأزهرية .

، البناء الفني للقصيدة العربية - مكتبة القاهرة بالأزهر الطبعة الأولى .

، الأدب العربي الحديث - مكتبة الكليات الأزهرية - طبعة ١٩٨٥.

، الأدب العربي الحديث ومدارسه - مكتبة الأزهر .

، قصص من التاريخ - المطبعة المنيرية - الطبعة الثانية .

- د. محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث - دار النهضة - الأدب المقارن طبعة ١٩٦١م .

- أ. د. محمد فرهود - قضايا النقد الأدبي الحديث طبعة ١٩٧٩م - دار الطباعة المحمدية بالأزهر .

- د. محمد فوزي - البناء الاجتماعي - الطبعة الأولى - ١٩٧٩م .

- د. محمد مندور - في الميزان الجديد - الطبعة الثالثة - مكتبة النهضة .

- د. محمد النويهي - ثقافة الناقد الأدبي - الطبعة الثانية - بيروت ١٩٦٩م.

- د. مختار حمزة - سيكولوجية المرض وذوي العاهات .

دار المعارف بمصر طبعة ١٩٥٦م .

- د. مصطفى سويف - الأسس الفنية للإبداع الفني-دار المعارف-١٩٥٩م .

- د. نجوى حسين-المجتمع المصري قبل الثورة-هيئة الكتاب طبعة١٩٩٥م.

**المخطوطات :**

- أحمد الزين الشاعر الناقد - حسن عبد السلام إبراهيم - رسالة دكتوراه - كلية اللغة العربية بالقاهرة - جامعة الأزهر - ١٩٧٨م رقم ١٤٢٨ .

# فهرس

رقم الإيداع ٩٥/٥٦٦٠
I.S.B.N. 977-00-9700-4